

أنور السادات

قصة الثورة كاملة

دار الهلال

قصة الثورة كاملة

بقلم
أنور السادات

دار الهلال

مقدمة

بقلم أنور السادات

كنت أكتب وأروى للشعب قصة ثورتنا ، وفى كل مرة كنت أسرد للشعب ـ وليس لغيره ـ حقيقة واحدة ، وهى ان الثورة لم تقم الا من أجل شىء واحد .. من أجل أن يحكم الشعب نفسه بنفسه ..

ورويت للشعب كل الحقائق .. قلت ان الثورة ألغت الأحزاب ، وأسقطت الدستور، لأنها ثورة وليست انقلابا .. ثورة تستهدف اقامة نظام دعقراطى صحيح ، لا نظام مزيف يقوم على الخديعة والتغرير بالشعب ، حتى يتمكن المزيفون والمستغلون والمضللون من نهبه والسيطرة على حياته . نحن لم نكن نريد البطش بالشعب بل بأعدائه .. ومضيت فى حلقات عديدة أروى للناس فى مصر وفى خارج مصر حكاياتنا

فرويت قصة العرض الذى تقدم به لنا عم ناريمان يوم أن قام الجيش ليضرب ضربته ، وكان العرض من فاروق الملك السابق .. يطلب منا فيه تأليف الوزارة .. فكان ردنا هو طرد عم ناريمان من مبنى القيادة فى كوبرى القبة

ثم بعد ذلك رويت كيف رفضنا فكرة الحكومة العسكرية ، تلك الفكرة التى كان السيد سليمان حافظ يدعونا الى تنفيذها فى كثير من الأحيان

كانت أهدافنا ـ اذن ـ واضحة .. ومحددة ، وأصررنا عليها ولم نتراجع .. وتلك الأهداف كما تحدثت عنها تحت هذا العنوان ، هى اقامة نظام ديمقراطى سليم مستمد من حاجات الشعب ، ونابع من مصالحه .. لا من حاجات الاقطاع والمستغلين والارستقراطية المصرية التى تريد أن تعيش عالة على الناس وجهدهم

وتحدثت فى حلقات هذه القصة التى تراها فى الصفحات الآتية ، عن العقبات التى صادفناها ، وعن المؤامرات .. وعن الذين وقفوا فى الطريق ليعطلوا زحف الثورة المصرية ، وكيف اننا كنا قد قررنا أن يكون الزحف أبيض ، وأن يكون بلا دم .. حتى اذا اعترض الزحف قاطع طريق ، كان حتما اذن أن تضرب الثورة بقبضتها الحديدية .. فالمسألة لم تكن تمسنا بل كانت تمس مستقبل ملايين المصريين الذين فى الأغلال

وفى الطريق مضينا .. والتقينا بكثيرين من الأعداء .. الرجعية المتربصة بالبلاد .. الأحزاب التى قامت فى كنف النظام الملكى الاقطاعى وفى حماية قوات الاحتلال ...

والتقينا بالخونة والعملاء .. وبالانتهازيين وفلول النظام الذى سقط .. كنا نريد أن ينتهى الزحف الأبيض على الأعداء فى ساعة واحدة لا فى ثلاث سنوات

لكن المسألة لم تكن فى يدنا .. فقررنا أن يستمر الزحف مهما كانت العقبات .. فنحن نعرف ما نريد ، لم نكن نريد الا اقامة النظام الديمقراطى.. لا العسكرى كما قال المزيفون

ولقد حددت الثورة موقفها ، ولم يعد أمام الشعب الا أن يستعد ليحكم نفسه بنفسه

***

ان التاريخ اليوم يسجل الانتصار الأكبر للثورة المصرية

لم يعد أمام الشعب الا أن يستعد لمواجهة الانتصار الكبير الحاسم على اعدائه ، بكل رغبته فى العدل والحق والحرية

ان آلاف السنين التى مرت بأبناء البــلاد ، وهم يجوعون ويمرضون ويمتهنون ، قد كتب عليها أن تصبح منذ الآن تاريخا ، يحفظه الشعب بعد انطلاقه . فلا جوع ، ولا عرى ، ولا ضياع فى كنف الحرية ، والشعب اليوم قد حصل عليها !

ان الحكم القومى الذى سيسود لن يجد المزيفون لهم مكانا فى ظله ، والمجتمع سوف يصبح اشتراكيا ، لا تفصل بين طبقاته أسوار عالية رهيبة ، ولا يعلو مواطن على الآخر كأنه اله ينحنى أمامه العبيد

ان الحزبية كانت تصنع هـذا كله ... ولم تكن للطوائف الكادحة والعاملة والمنتجة فى نوادى الأحزاب ، الا الوعود ثم الخديعة

أما اليوم .. فالبلاد بلادهم يملكون كل شىء فيها ، بعد أن مهدت أمامهم الثورة الطريق ... وأزالت منه الصخور والأشواك

كنا نقول دائما للمزيفين : نحن لسنا صناع استبداد ، فعندما حددنا فترة الانتقال كنا نعنى ما نقول ، وكنا قد حددناها ليس من أجل البطش بالشعب ، فتلك ليست صناعتنا ... بل أوجدناها للقضاء على الزيف ، على التركة العفنة التى خلّفها لنا نظامهم الباطش ، القائم على أعمدة الاستعمار والاقطاع والاستغلال والارستقراطية المتعالية

وكان حتما على الثورة أن تقوض أركان ذلك النظام ، قبل أن تفتح الأبواب أمام الشعب لينطلق نحو مستقبله . كان حتما على الثورة أن تحدد فترة للانتقال ... يتم خلالها تطهير الأرض من الأدران ، فيقف الشعب بعد ذلك فوقها آمنا لا تحوطه مؤامرة ، أو تتربّص به الخديعة

***

ان التاريخ يطوى اليوم صفحاته المليئة بالذل والارهاق والضياع ، يطويها ليفتح صفحات أخرى ، يسجل فيها بدء حياة جديدة لشعب منتصر، متحرر كريم ، أراد أعداء الانسانية وقف زحفه فهزموا ... وتشتتوا ... واجتاحهم الطوفان الكبير !

لا حزبية ..

فالشعب هو الحزب الكبير ..

لا زعامات مصنوعة ..

لا زيف ولا باطل ..

بل مجتمع اشتراكى متحرر وحكم قومى لا يشوبه طغيان . قلنا هـذا

الكلام مرات عديدة .. قلناه تحت هذا العنوان الجليل ... لكن المزيفين كانوا دائما يجدون ما يشوهون به الصيحة الطاهرة المخلصة النابعة من أعماق الشعب

واليوم .. ماذا سـيقول المزيفون ، بعد أن أصبحت البلاد ملكا خالصا لأبنائها .. لكل الأبناء ! ؟

ماذا سيقول المزيفون .. والشعب منطلق .. والشعب منتصر ! ؟

***

ان الرئيس جمال عبد الناصر قد أطلقها صيحة تنبض بالفرحة والانتصار.. صيحة تحمل الأمل الكبير المضىء للشعب ، والنذير لأعدائه ..

فمن أراد أن يحيا فى كنف الحكم القومى وفى مجتمع اشتراكى لا تفصل بين طبقاته فوارق شاسعة ..

من أراد هذه الحياة التى تمجد الانسان وتخدم ارادته وعمله وكفاحه

من أراد الحرية والعدل والحق ..

من أراد الشرف والعمل الكريم والأمن والرخاء ..

من أراد أن يمضى فى طريق لايعترضه فيه باطش أو مستغل أو مستبد ..

من أراد أن يصنع مستقبله فى حمى الاشتراكية ..

من أراد أن يرفع رأسه بين العباد ..

كل هؤلاء عليهم اليوم أن يصلّوا شاكرين للاله القادر العادل رعايته التى حمت الثورة المصرية حتى أتمت زحفها الكبير .. !

انور السادات

الفصل الأول

ماهى السياسة
وماهى الديمقراطية؟

ما هى السياسة ؟

هل هى علم يدرس ، مثل الميكانيكا ، أو مثل الطب والكهرباء ، فينبغ فيها الأذكياء ويتبحر فيها ذوو المواهب ويمارســها أصــحاب الكفاءات ويعرف أسرارها خريجو المعاهد التى تدرس فيها السياسة كما يدرس الطب والكهرباء ؟ ..

ولكى نناقش المسألة ببساطة أكثر أقول : هل السياسة مهنة أو حرفة يمارسها المرء ، مثلما يمارس أى عمل آخر ، تخصص فيه وفهم قواعده ؟

اذا قال لك أحدهم ان فلانا هذا سياسى داهية ، وألمعى لا يشق له غبار ، فلا تستمع على الاطلاق لهذا الكلام ، لأن السياسة ليست حرفة يجيدها انسان ويصبح عالما بخباياها ، بينما يفشل فيها آخر !

صحيح انه توجد فى كل بلاد الدنيا معاهد تدرس فيها السياسة وعلوم السياسة ، لكن تلك المعاهد لا يتخرج منها ساســة على الاطلاق .. بل يتخرج منها موظفون يحدد لهم العمل الذى يقومون به ويظل عملهم ثابتا لا يتغير ، بينما العالم من حولهم يدبر شئونه ويغير من نظمه

الساسة الحقيقيون

فمن هم الساسة الحقيقيون ؟

انهم الشعب .. !

فالسياسة هى الحاجة .. والشعور بالحاجة هو الذى يدفع المرء الى الكفاح من أجل تحقيق حاجاته .. هنا تصبح المسألة سياسة !

فلا المعاهد ولا كل مدارس الدنيا يمكنها أن تحدد حاجات الناس .. الذى يحدد هذه الحاجات هم أصحاب الحق فيها !

وعندما يقود أحد أبناء الشعب بلاده فى طريق الديمقراطية ــ مثلا ــ وينجح فى قيادته تلك ، ويحقق الانتصارات دواما ، فليس معنى هذا ان ذلك الزعيم سياسى لا يشق له غبار ، وعالم متبحر أزرق الناب ، معنى

هذا ان هذا القائد يعرف حاجات الشعب الذى يقوده ، ويعرف مصالحه ، ويعرف أعداء هذا الشعب الذين يقفون فى طريقه ..

ومعرفة الحاجات والمصالح والأعداء لا تحتاج الى دراسة فى معهد أو دبلوم من الجامعات .. بل تحتاج فقط الى العيش وسط المجموعة وهى تمارس كفاحها اليومى من أجل الرزق .. أى يجب أن يكون القائد من نفس الطبقة التى تمثل أغلبية هذا الشعب ، وتمثل حاجات ومصالح وأهداف هذه الغالبية التى عاش بينها ومارس معها الكفاح اليومى .. فشعر بمشاعرهم ، وفهم أهدافهم ، وآمن بها لأنها أهدافه هو ، وتجرع كل حقيقة سيطرت على حياة هذه المجموعة .. لأنها هى نفسها حياته هو ..!

فاذا أراد تحقيق هذه الحاجات ، وسعى الى تلك الأهداف ومضى حتى النهاية فى هذه الطريق ، فهنا .. وهنا فقط يقال ان فلانا هذا .. سياسى .. ! أى انه يعمل من أجل الشعب ..

السياسة هى الشعور بالحاجة

السياسة — اذن — هى الشعور بالحاجة ، وممارستها لا تكون بتلقى العلوم عنها فى المعاهد والجامعات ، بل تكون بالرغبة والاصرار والنضال من أجل تحقيق حاجات الناس .. أى الثورة .. !

فقبل ٢٣ يوليو المشهور كان يوجد فى مصر رجال قالوا عنهم انهم زرق الأنياب ، وساسة دهاة تلقوا علوم السياسة فى جامعات أوربا ومعاهد لندن.. وبالرغم من هذا لم يستطع هؤلاء الا أن يصنعوا شيئا واحدا .. هو العمل جنبا الى جنب مع أعداء البلاد .. !

فهم — اذن — كانوا خونة زرق الأنياب وليسوا سياسيين ، هم لم يشعروا بحاجات الشعب ، ولم يؤمنوا بالشعب .. !

هل عرفت ما هى السياسة .. ! ؟

انها الحاجة ..

فاذا حاولت تحقيق حاجاتك ومضيت فى هذه الطريق حتى النهاية فأنت سياسى .. أزرق الناب ، ولا يشق لك غبار !

ما هى الديمقراطية ؟

اغلق على نفسك الباب ، وانفرد بنفسك دقائق قليلة ، ثم وجه اليها هذا السؤال : ما هى الديمقراطية ! ؟

لكن قبل أن تفعل ذلك نود أن نعرف من أنت ! ؟

فربما كنت من تلك الفئة التى لا تعنيها الديمقراطية على الاطلاق ، بل الذى يعنيها هو تغليب مصالحها على مصالح أغلبية الشعب ..

بصراحة يجب أن لا تكون اقطاعيا ، أو من حملة الرتب .. باشا مثلا ..

ويجب أن لا تكون من حكام أسرة محمد على .. والانجليز

ويجب أن لا تكون من حاشية ذلك العهد البائد وحوارييه ..

يجب أن لا تكون منتميا الى الفئة التى استفادت من وجود الاحتلال ، ومن وجود الباشوات ، ومن وجود الرجعية .. اعنى أعداء التطور !

وأخيرا لكى تجيب على هذا السؤال اجابة صحيحة دون أن تخطىء أو تتجنى ، عليك أن تكون أحد أفراد الشعب الذين قاسوا من العهد الماضى .. أى تمثل غالبية الشعب

بعد ذلك حاول أن تجيب على السؤال .. ما هى الديمقراطية ! ؟

الديمقراطية بالنسبة لك أيها المواطن الذى لا تجد عملا ..

الديمقراطية بالنسبة لك أيها المواطن الذى لا تجد علاجا ..

الديمقراطية بالنسبة لك أيها الفلاح المريض الكادح المعروق ..

الديمقراطية بالنسبة لك أيها العامل المتطلع الى الضمانات والمكافأة المجزية ! ؟ ..

الديمقراطية بالنسبة لك أيها الموظف صاحب الأسرة ، وصاحب الآمال العديدة فى التعليم والصحة والأمن .. ! ؟

الديمقراطية بالنسبة لكل الطبقات التى استغلت ، لمصلحة أفراد قلائل ، عاشوا فوق أرضنا خونة ومترفين وخاملين ومخادعين .. !

اجل .. ما هى الديمقراطية بالنسبة لنا نحن الشعب .. ؟

هل أجيب أنا على السؤال نيابة عنك يا صاحب الحاجة أيها العامل ، وأنت يافلاح ، وياطالب الحق المسلوب ! ؟

الديمقراطية بالنسبة لكم هى تحقيق مصالحكم ، لا مصالح الأقلية ..

الديمقراطية هى انتزاع الحقوق المسـلوبة ، واسترداد الأرض من غاصبيها .. !

الديمقراطية هى التخلص من القيود ، تلك التى كانت فى رقابنا ، وحول أذرعنا ، وعقولنا أيضا .. !

الديمقراطية هى استقلال الوطن ، وسيادة الأمة ، والمساواة ، والعدل ، هى تقرير المصير .. !

وفى اللحظة التى قامت فيها ثورة ٢٣ يوليو ، كانت الديمقراطية هى الطريق ، طريق هذه الثورة الذى اتجهت اليه بكل ما تملك من رجال وسلاح وايمان ..

لأنها لم تكن ثورة خاصة بفئة معينة ، بل هى نفس الثورة المصرية التى قامت من قديم ، وهدفها التخلص من أعداء الشعب ، واقرار الحق والعدل والمساواة ، وسيادة الأمة

نحو الديمقراطية

من أجل هذا مضت الثورة المصرية بعد انتصارها فى ٢٣ يوليو بخروج الجيش الى المعركة .. جنبا الى جنب مع الشعب

أقول مضت نحو الديمقراطية دون تردد

وكان عليها لكى تحقق هذه الديمقراطية ، ولكى تعلن الدستور المتضمن نصوصها وأسسها جميعا ، أن تتخلص أولا من أعداء الديمقراطية أى أعداء الدستور ، وهم أعداء الشعب ..

وكان العدو الأول هو الملك .. بل هى الأسرة التى كانت تحكم ..
وانتصرت الثورة على العدو الأول .. وبهذا أرست الثورة أولى قواعد الديمقراطية ..
ثم كان جلاء القوات المحتلة عن بلادنا هو الانتصار الثانى للثورة .. بل للديمقراطية ، اما الانتصار الثالث للديمقراطية فكان قانون الاصلاح الزراعى ..
وبعد ذلك مضت الثورة ترسى قواعد النظام الديمقراطى الذى سيسود البلاد ، بعد فترة الانتقال ، وتعد له الضمانات التى تكفل قيامه وحمايته وازدهاره ..

***

ولم يكن رفض الثورة الارتباط بحلف عسكرى مع الدول الكبرى الا ايمانا بالديمقراطية ، والتصميم على قيامها فى جمهورية مصر ..
ذلك لأن الحلف العسكرى كان سيجعل الشعب وأرض الشعب وموارد الشعب فى خدمة مصالح تلك الدول الكبرى وتحقيق المنافع لها .. !
وفى ظل الحلف العسكرى المذكور كانت مصر ستصبح دولة تابعة ، والديمقراطية من المحال ارساء قواعدها وتحقيق مضمونها ، الا فى الدولة التى لا تخضع لسيطرة أجنبية ، أو لتوجيه من خارج حدودها .. !
اصرار الثورة اذن على موقفها من الحلف العسكرى ، كان الغرض منه حماية النظام الديمقراطى الذى ستحكم به مصر بعد فترة الانتقال ، وبالتالى حماية مصالح الشعب ..
ويوم أن أعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن صفقة الأسلحة المشهورة ، لم يكن ذلك يعنى ان جيش مصر قد زاد عتاده ، أو ان جيش مصر قد أصبح أقوى الجيوش .. بل كان معنى ذلك ، ان جمال عبد الناصر يعد البلاد للحكم الديمقراطى ، على أسس متينة قوية ..
لقد واجهت الثورة مشكلة تسليح جيش الشعب بعزم مستمد من ارادة هذا الشعب ومن وحى أهدافه ..

طلبت الثورة السلاح لجيشها من أمريكا ومن انجلترا ومن فرنسا ومن كل مكان ، ورفضت أمريكا وساومت ، وترددت انجلترا ، ثم أعطت وعودا لا حصر لها ..

وفى نفس الوقت أعطوا اسرائيل ما تريده من سلاح .. !

كان السلاح هو « الكارت » الأخير فى يد الدول الكبرى ، للضغط على مصر ، ومحاولة السيطرة عليها ، والتمكين لنفوذهم فيها ..

ومعنى ذلك ان مصر كانت ستخضع للسيطرة الأجنبيـــة ، ثم التدخل والتوجيه من الخارج .. وبهذا يصبح من المحال أن تحقق الثورة المصرية هدفها .. وهو الديمقراطية الصحيحة ..

***

ويوم قرر جمال عبد الناصر أن يحرق هذا « الكارت » الذى تدخره الدول الكبرى للضغط والسيطرة علينا .. ويوم أن قرر شراء السلاح بدون قيد ولا شرط ، من الدول التى قبلت بيع كل ما نحتاجه من سلاح بلا قيد ولا شرط .. بلا بعثات عسكرية ووثيقة امن متبادل ، وخضوع لما تمليه مصالح الأجانب ، فى هذا اليوم سجل التاريخ لجمال عبد الناصر خطوة أخرى كبيرة فى الطريق الذى يسلكه لارساء قواعد الديمقراطية فى بلاده !

لقد كان معنى عدم تسليح الجيش ، والوقوف ازاء مناورات الدول الكبرى موقفا سلبيا ، هو ان الثورة المصرية لن تجد السلاح الذى تحمى به أهدافها .. ثم حدودها التى تتاخم حدود أعداء ، اعتدنا منهم الغدر والضعة والاطماع !

صفقة الأسلحة اذن ، التى عقدتها مصر بلا قيد ولا شرط مع دول أخرى لم تتـــاور ولم تحاور ، حطمت بها الثورة التـــدخل الأجنبى ، والسيطرة الأجنبية والمناورات كلها فى وقت واحد وبضربة واحدة .. ومعنى ذلك هو أن مصر تمضى فى طريق الديمقراطيـــة .. والا فكيف كانت الديمقراطيـــة ستجد أرضا تنبت فيها وتزدهر ، وهذه الأرض لا تحميها قوة تفوق قوة الأعداء المتربصين بهذه الأرض .. والطامعين فى السيطرة عليها .. !

وبعد هذا .. بعد القضاء على أسرة محمد على ، وبعد جلاء القوات المحتلة ، وبعد القضاء على الاقطاع ، وبعد ابعاد السيطرة الأجنبية برفض الحلف العسكرى ، وبعد حرق « الكارت » الأخير فى أيدى الدول الكبرى للضغط علينا ، بعد صفقة الأسلحة ، وبعد أن أصبح لمصر جيشها الوطنى القوى الذى سيحمى الحدود والأهداف .. وثورة الشعب ، أعلن جمال عبد الناصر الدستور الجديد للجمهورية المصرية ..

لا ديكتاتورية

لا ديكتاتورية اذن ولا حكم فرد ، ولا سيطرة لطبقة على طبقات ، ولا مصلحة الا مصلحة الشعب .. !

ان الخطوات التى تمت خلال أعوام الانتقال ، لم تكن لتمهد على الاطلاق الا لشىء واحد .. هو الدستور الذى يجعل الديمقراطية السليمة مصونة من كل سوء ! والا فما معنى أن تتم كل هذه الخطوات الجبارة نحو التقدم والتحرر ! ؟

هل تمت لكى يتمكن الباشوات والأجانب والخونة وعملاء الاستعمار والانتهازيون من حكم الشعب ! ؟

أم هل تمت لكى يسود الظلم والاستغلال والبطش بالحقوق ! ؟

أم لكى يفسح الطريق للسيطرة الأجنبية والتدخل فى شئون الشعب ..

انها خطوات تمّت للتخلص من كل هذا ، وللقضاء على كل هذا ..

لأن الديمقراطية هى حماية مصالح الشعب ..

هل عرفت اذن ما هى الديمقراطية ! ؟ .. انت أيها العامل ويا فلاح ، ويا صاحب الحاجة ، ويا طالب الرزق والعلم والصحة والأمن ! ؟

افتح اذن الباب واخرج الى الطريق ، فلن يقطع عليك الطريق عدو من هؤلاء الذين بطشوا بك فى الماضى ..

لا سبيل أمام الأعداء للبطش بك أو بحقوقك فى كنف النظام الجمهورى الديمقراطى !

الفصل الثانى

الثورة والديمقراطية

عاصرت كما عاصر أبنــاء هــذا الشعب تفسيرات مختلفة متباينة لكلمة الديمقراطية طوال ربع قرن مضى ، بل حتى اليوم ..

ففى الماضى كان فاروق يطلق على نفسه الحاكم الديمقراطى ..

ورأينا كيف كان تفسيره لهذه الكلمة حين اتضحت الحقائق المخزية فى محاكمات محكمة الثورة . وكيف ان الملايين من أبناء هــذا الشعب كانوا لايجدون القوت الضرورى فى الوقت الذى توافق فيه الحكومات المتتالية ــ من جميع الأحزاب والرجالات والزعماء ــ على انفاق مليون ونصف مليون من الجنيهات على اصلاح وتزويق مركب يسعد فيه فاروق بالسفر والرحلات .. لقد اعتمد هذا المبلغ بوساطة برلمانات الشعب التى كانت تمثل الأغلبية حينا والأقلية حينا آخر ..

وبعد أيها القارىء .. أليست هذه البرلمانات وذلك اللون من الحكم هو الديمقراطية ؟ ..

وكان فاروق الحاكم الديمقراطى يحكم هــذه البلاد من أقصاها الى أقصاها بوساطة خادمه الأمين .. ولذلك رأينا حكامنا الأفاضــل يحنون الجباه لهذا الخادم ، بل ان واحدا من أولئك الرجال ــ وهو مصطفى النحاس ، الذى كانت البلاد تأمل أن يكون على يديه الخلاص فى يوم من الأيام ــ لم يتورع عن أن يؤكد ولاءه لفاروق الحاكم الديمقراطى ــ فى نظره ــ بطريقة فذة فى ذاتها حين طلب أن يقبّل يده وهو زعيم الأغلبية فى ذلك الوقت ، والذى أسفرت الانتخابات عن فوزه على خصومه فوزا ساحقا .. ثم اتبعها بما لايخرج عن الكفر حين توجه ببصره وقلبه فى رمضان الى كابرى ، حيث يلهو فاروق ، وطلب من المصريين أن يتوجهوا الى هذه القبلة الماجنة فى خشوع وولاء ..

أليست هذه تفسيرات للديمقراطية .. عاصرناها جميعا وانتهت بهذه البلاد الى الدرك الذى كاد يودى بكل شىء فى هذه البلاد لولا قيام هذه الثورة ؟

وفى الماضى القريب ، بل القريب جدا ، سمعت وسمع معى الشعب بأكمله وسمعت شعوب كثيرة ، أقول سمعنا تفسيرا جديدا لهذه الكلمة المظلومة فى محاكمات محكمة الشعب على لسان أقطاب جماعة الاخوان المنحلة ..

***

فقد قاموا يدبرون انقلابا داميا مسلحا بالقتل والنسف والخطف ، وحين أراد أحدهم أن يبرر هذا العمل قال انه فى سبيل اقامة الديمقراطية ! .. ديمقراطية من نوع جديد يسيطر فيها جهاز سرى على رقاب العباد من أبناء البلاد ــ تماما كما يسيطر على أفراد الحزب لصالح رجل واحد ــ هو المرشد العام المقدس ..

وكان أبرع تفسير لهذه الكلمة هو ما لجأ اليه محمد نجيب حين أراد أن يبرر سبب قبول مجلس الثورة لاستقالته فى فبراير عام ١٩٥٤ ، فراح يؤكد انه كان ينادى بالديمقراطية ومجلس الثورة بأكمله لايريد الديمقراطية ! ..

والعجيب ان هذا التفسير انطلى على كثيرين وأصبح نجيب فى نظرهم بطل الديمقراطية العظيم ..

وانى لأذكر جيدا كيف انه بعد أن عاد نجيب فى فبراير عام ١٩٥٤ ، وكنا قد بلونا طريقته فى أن يجلس بيننا فى مجلس الثورة فيقر ما نقر ، ثم يخرج فيشيع فى كل مكان انه لم يوافق على كذا وعارض فى كيت ، بحيث اخرج الاخوان وقتها اسطورة الأب الشـفوق الرحيم . وأظن قرائى يذكرون مقالتى التى نشرتها فى حينها وتحدثت فيها عن نجيب يوم أن صدر قرار محكمة الثورة بسجن فؤاد سراج الدين ، فذهب اليه اخوته قبل التصديق على هذا الحكم بوساطة مجلس الثورة فما كان منه الا أن بكى معهم وقال : « ان قرار المحكمة ظالم وان سراج الدين بطل من أبطال الوطنية » . ثم جاء الى مجلس الثورة وكانت امضاؤه على التصديق أول امضاء تجدونه محفوظا لدى المحكمة الى يومنا هذا ..

أقول كنا قد بلونا طريقة نجيب هذه فلم نعقد اجتماعات مجلس الثورة بعد عودته ، كما كنا نعقدها فى الماضى وحدنا ، وانما جعلناها اجتماعات

للمؤتمر المشترك لكى يجلس معنا الوزراء جميعا . فقد كانت الأحداث فى ذلك الوقت تمس السياسة العامة التى هى من اختصاص المؤتمر المشترك

وأذكر جيدا تلك الجلسات المتتابعة التى عقدناها فى دار البرلمان ومعنا جميع الوزراء وكانت أولاها يوم أنجاء سليمان حافظ الى جمال عبد الناصر بما سماه طلبات محمد نجيب . وقد كانت تتلخص فيما يأتى :

١ — حق الفيتو على قرارات مجلس الثورة مع اعطائه الحق فى حضور جلساته

٢ — حق الفيتو على قرارات مجلس الوزراء مع اعطائه الحق فى حضور جلساته

٣ — حق تعيين قواد الوحدات فى الجيش ابتداء من قائد كتيبة وما يماثلها من باقى الوحدات

٤ — جميع تنقلات الضباط واتداباتهم تكون بواسطته

٥ — على الجيش أن يحلف يمين الولاء لشخصه وأن يوقع الضباط ومجلس الثورة على وثيقة بهذا القسم

٦ — أن لايرشح مجلس الثورة عند عودة الحياة البرلمانية للبلاد أحدا لرئاسة الجمهورية غيره ، وأن يضمن له كرسى رئيس الجمهورية

وجلسنا فى دار البرلمان على هيئة مؤتمر مشترك ولم يحضر محمد نجيب وعرض سليمان حافظ هذه الطلبات على المجتمعين ، وتكلمنا أمام الوزراء فى أن هذه الطلبات تعنى فرض ديكتاتورية تهون أمامها ديكتاتورية فاروق « الحاكم الديمقراطى » واننا لم نقم بهذه الثورة لكى ينتهى الأمر بالبلاد الى دكتاتورية محمد نجيب أو أى شخص خلاف محمد نجيب

وتكلم الوزراء مستنكرين هذا الوضع وطلبوا أن يحضر محمد نجيب لكى تناقش هذه الأمور معه . فقام سليمان حافظ الى التليفون واتصل بمحمد نجيب وأبلغه رغبة المجلس فى أن يحضر ، وحضر فعلا

وبدأت المناقشة من جديد بحضور محمد نجيب

وتكلم جمال عبد الناصر وأبدى وجهة النظر هذه فيما يختص

بالديكتاتورية التى يريد محمد نجيب فرضها واستحالة الموافقة عليها . وأنهى كلامه بأن هناك أحد حلين لا ثالث لهما :

الأول : أن يعود محمد نجيب الى رئاسة مجلس الثورة وتسيير الأمور كما كانت على شرط أن تنتفى الأسباب التى من أجلها قبل المجلس استقالة محمد نجيب فى فبراير والتى تتلخص فى طلباته التى حمّلها لسليمان حافظ

الثانى : اذا لم يقبل ذلك محمد نجيب فالمجلس لا يقبل بتاتا هـذه الديكتاتورية ، ويكون الأصوب بدلا من أن نختلف أن تجرى انتخابات فورا وأن تسلّم البلاد الى الحزب الذى يفوز فى الانتخابات بصرف النظر عن ماهية ذلك الحزب . ولكننا لن نقيم بأيدينا ديكتاتورية بعد أنحطمناها

***

وهنا يجب أن أقف قليلا ..

فقد رفض محمد نجيب أن يعود أول الأمر الى رئاسة مجلس قيادة الثورة بحجة ان هذا المجلس مكروه . ورفض أيضا أن يتنازل عن طلباته التى أرسلها مع رسوله سليمان حافظ ..

أما فيما يختص بالحل الثانى ، فقد طلب أن يناقشه قبلأن يبدى رأيه فيه

ولما طلب تفصيلات عن هذا الحل قال جمال عبد الناصر : ان هذا الحل يعنى اننا يجب أن نعلن اليوم انهاء الأحكام العرفية واباحة تشكيلالأحزاب وترك كل شيء كما كان قبل الثورة لكى تجرى الانتخابات ويتسلم الحزب الذى يفوز زمام الحكم

وهنا استفسر محمد نجيب عن وضـعه فى هـذا الحل فقال له جمال : سيكون كوضعنا تماما ، فسوف نعتزل الحكم ، ومن يريد أن يدخل الحياة السياسية فى البلاد فليدخل وكل واحد حر ..

وهنا ظهرت براعة نجيب كبطل من أبطال الديمقراطية

فقد رفض أن يوافق على هذا الحل . وطلب مناقشة حل فرعى آخر هو أن يحتفظ برئاسة الجمهورية وأن يشكل وزارة مدنية برئاسته أيضا الى جانب رئاسة الجمهورية ويبقى مجلس الثورة ، ولكن بشروطه التى طلبها

وهى أن يكون له حق الفيتو على قراراته

كان نجيب يطلب هــذا فى نفس الوقت الذى كان يشيع فى كل مكان داخل القطر وخارجه أن موضوع الخلاف بينه وبين مجلس الثورة هو الديمقراطية .. وملأت تصريحاته فى هذا الشأن الصحافة فى كل مكان

وهذا تفسير جديد للديمقراطية ..

فكل ماكان يعنى نجيب هو أن يحتفظ برئاســة الجمهورية ورئاســة الوزارة معا الى يوم القيامة حتى ولو كلفه هــذا أن ينادى أمام الشعب بالديمقراطية والجمعية الاستشارية لكى يصبح فى نظرهم بطلا من أبطال الديمقراطية فى سبيل الوصول الى أغراضه ..

***

هذه ألوان من التفسيرات لكلمة الديمقراطية المظلومة فى بلدنا الطيب ..

ترى ما هو التفسير الذى تريده الثورة لهذه الكلمة ؟ ..

وهل هذه الثورة تريد الديمقراطية أم تريد الديكتاتورية ؟

وهل حكومة الثورة فى يومنا هذا حكومة ديمقراطية أم هى حكومة ديكتاتورية أم هى نوع من الحكم خلاف كل هذا ؟ ..

الثورة ديمقراطية أم ديكتاتورية ؟

حديث الديمقراطية طويل ، وهو حديث الناس جميعا اليوم بلا جدال . ولكن كانت هناك اشاعات تستهدف اثبات أمر معين ، وهو ان الديمقراطية لها أعداء فى مصر ، وان مجلس قيادة الثورة هو عدوها الأوحد .. !

الناس جميعا يطلبون الحرية ، ونحن فقط الذين تنفر منها ونبغضها ولا نؤمن بها !

جمال عبد الناصر ، وكل واحد من أعضاء المجلس ، ليس الا ديكتاتورا تتلمذ على الفاشيين ويريد أن يحكم بالكلمة المجردة !

أليس هذا هو ما يريده تجار الاشاعات ؟

وياله من موقف تاريخى عجيب !

ان الحريات وكل مقومات الديمقراطية قد ضاعت من شعب مصر .. اغتصبها منه جمال عبد الناصر ورفاق جمال عبد الناصر !

كان الشعب حرا فاستعبد ..

كان الشعب فى مصر يستمتع بكل حقوق البشر منذ آلاف السنين وجاء جمال عبد الناصر ورفاقه يوم ٢٣ يوليو المشهود من عام ١٩٥٢ ، وفى ذلك اليوم من العام المذكور تم تجريد الشعب المصرى من حقوقه كلها التى كان يستمتع بها .. فسُلِبَ منه رغد العيش واستقرار الحال !

كانت فى مصر قبل ٢٣ يوليو ديمقراطية يعيش الشعب فى كنفها سعيدا حرا ، ويباشر فى ظلها سلطاتها المقدسة ، ويجد الملايين من أبنائه فرصا متساوية ، وكانوا جميعا ينعمون فى ديارهم بتلك الديمقراطية ؛ ثم جاء ٢٣ يوليو فكان يوما مشئوما .. فَقَدَ فيه الشعب كل شيء !

جاع وتعرى واضطهد وعذب ولم تعد له حقوق .. لأن الديمقراطية ذهبت ، وجاءت الديكتاتورية .. جاء الطغيان والاستبداد .. والحكم المطلق !

أليس هذا هو ما يريده تجار الاشاعات من تصوير للموقف ؟

وهو موقف تاريخى عجيب كما قلت ..

لكن لماذا نظلم التاريخ ، والخصوم هم الذين يقولون هذا الكلام ؟ وسوف يقولون أكثر منه طالما ان الذين يحكمون البلاد الآن لايبيحون لهم ما كان يبيحه لهم النظام الذى سقط

نحن اذن أعداء للديمقراطية ، كما هو واضح من كلام هؤلاء ، ومعنى هذا ان الشعب فى مصر لن يحكم حكما ديمقراطيا ، فاذا رفض فهو يناصب الديمقراطية العداء ، ويريد أن يبطش بالشعب

وجميل جدا أن يطالب اناس فى بلد ما حكومة هذا البلد بالحريات والديمقراطية ، فهى حقوق مشروعة ، يكافح الانسان من أجلها ، ويبذل دمه فى سبيل الحصول عليها

لكن ما رأيكم يا طلاب الديمقراطية فى مصر .. ويا أبطال الكفاح

الشعبى ويا من تلطمون خدودكم حسرة على الشعب المصرى الذى جرده جمال عبد الناصر ورفاقه من كل الحقوق يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، أقول ما رأيكم دام فضلكم فى ان الحكومة القائمة الآن فى البلاد ليست حكومة بالمعنى المتعارف عليه .. بل هى ثورة !

ومطالبة هذه الحكومة بالحريات والانتخابات والدستور وكل الحقوق معناه ان قيادة الثورة ليس لها وجود لأنها ـ أى القيادة ـ من المحتم عليها أن تحقق ـ هى ـ للشعب ما يطلبه بأسلوبها الذى بدأت به عملها التاريخى .. لأنها ثورة كما قلت وليست حكومة !

ثورة لأنها لم تستدع ليتولى قادتها الحكم بناء على أمر من «ولى الأمر» كما كان يقضى نظام الحكم الذى كان قائما !

بل تولت ـ هى ـ الحكم لتقلب ذلك النظام وتغيره ... وقد فعلت !

***

ليس جمال عبد الناصر ورفاقه أعضاء حزب من الأحزاب يحكمون مصر فيطالبهم البعض بكذا وكذا ... لا

ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حكاما ... بل قادة لثورة ... والفرق كبير بين الثوار والحكام !

والثورة لها أهداف حققت بعضها ... وباقى الأهداف سيتحقق قطعا على مر الأيام ... طالما ان الثوار يتولون زمام الأمور ، ولا أقول الحكم .. بل انى أعلنها أكثر صراحة انجمالعبد الناصر ورفاقه يمكن أن يقبلوا أى شىء ما عدا شيئا واحدا .. وذلك الشىء هو انهاء الثورة .. قبل أن تتحقق كل أهدافها !

ولا أريد أن أكرر وأعيد فأتحدث عن أهداف الثورة ... فقد تحدثنا عنها كثيرا جدا ... فلم تعد خافية على أحد !

ومن بين تلك الأهداف .. بل هدف الثورة الأخير وأملها الضخم هو ارساء أسس النظام الديمقراطى الذى يجعل الشعب يحكم نفسه بنفسه

واذن ما هو التفسير الذى تريده الثورة لكلمة الديمقراطية ؟

وأقول : ان الثورة تفسر الديمقراطية بأعمـالها وبخطواتها التى تتم فى العلن

الثورة تفسر الديمقراطية بالكفاح العملى من أجلها

فهى عنـدما تقضى على النظام الملكى العفن ، وترسى قواعد النظـام الجمهورى .. فتلك خطوة نحو الديمقراطية كان الشعب حتما سيخطوها لو لم تقم الثورة فى ٢٣ يوليو ... وكان سيخوض معركة دموية حتى يتهاوى ذلك النظام العفن ، ولكن جمال عبد الناصر ورفاقه حقنوا تلك الدماء .. باعتمادهم على الجيش فى هدم ذلك النظام ... سلميا ... أو بالقوة ان كان الأمر استدعى قوة !

***

والثورة تفسر الديمقراطية بالقضـاء على الاستعمار ... ففى تحطيمه خطوة كبرى نحو الديمقراطية يخطوها الشعب ، وقدكان الشعب سيخطوها حتما ذات يوم ... وكان سيضحى بالآلاف من أبنـائه فى ساحة المعركة المجيدة لو كانت قد نشبت .. لكن جمال عبد الناصر ورفاقه وفروا على الشعب أرواح شبابه وأطفاله ونسائه وشيوخه ... وتم جلاء القوات المحتلة ــ سلميا ــ تماما مثلما تم جلاء فاروق بنفس الطريقة

بنفس الأسلوب الجديد الذى لم يسبق لثورة ما فى أى مكان من العالم ان اتبعته فى نضالها ... اذ ان ثورة مصر ظهرت قيادتها بين صفوف القوات المسلحة ... وضمنت وقوف تلك القوات وراءها .. والشعب أيضا وقف معها !

والثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على الاستغلال والظلم الاجتماعى

والاقطاع كان يمثل فى مصر هذا الاستغلال والظلم ... وقضت عليه ــ سلميا ــ بلا دم ، كان سيسيل فى القرى اذا كان الشعب قد خاض معركة مباشرة ضد الاقطاع فى عقر داره !

والثورة تفسر الديمقراطية بالوقوف فى وجه الأرستقراطية المصرية التى كانت تحكم بأبنائها من الباشوات والبكوات والأساتذة والسماسرة ..

وحالت الثورة ـ نهائيـا ـ بين هؤلاء وبين الشعب ! والثورة تفسر الديمقراطية بالقضـاء على التعصب وحكم السمع والطـاعة .. أى على الجماعات التى تريد أن تحكم باسم الدين .. لا باسم أى شىء آخر

وقد حدث .. وتمت الخطوة الكبرى فى سبيل الديمقراطية

تلك خطوات الثورة التى فسرت بها الديمقراطية

فما هو تفسير خصوم هذا النظام للديمقراطية ؟ !

لسنا شيوعيين

تحدثت عن تفسير « الثورة » للديمقراطيـة ، وأوضحت مدى فهم مجلس قيادة الثورة لمسألة حكم الشعب

وقلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حزبا من الأحزاب التى تولت ـ أخيرا ـ الحكم ، ثم أصبح لزاما عليهم أن يخضعوا لنفس المؤثرات والعوامل والقيم التى كانت تسيطر على حكومات ما قبل ٢٣ يوليو

قلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ثوار وليسوا حكاما

أى ان جمال عبد الناصر ورفاقه ـ ما دام هذا وضعهم ـ يصبح من المحال مطالبتهم بشىء معين له علاقة بالأوضاع التى يجب أن تسود البلاد

ولا أعنى انه ليس من حق أحد أن يطالبهم بشىء معين ، لا .. بل اعنى ان مجلس قيادة الثورة الذى تولى حكم البلاد بعد أن قام بقلب نظـام الحكم يجد نفسه أمام أمر واقع لا مفر منه ، وهو الاستمرار فى قيـادة « الثورة » التى قامت فى هذه البقعة من العالم يوم أن سقط النظام الملكى والمضى حتى النهاية فى عملية « قلب نظام الحكم القديم » واقتلاع جذوره من أرض البلاد .. مسألة أصبحت ضرورة تاريخية لايمكن الخلاص منها .. لا بمنشور يحوى سبابا فى الثورة ، ولا بجهاز سرى يضم مجموعة من المشعوذين

وسأناقش هنـا بهدوء تام ، وبصراحة تامة أيضا مسألة عودة الحيـاة النيابية والدستور والحريات .. الخ

سأناقش موضوع الديمقراطية التى يزعم أبناء العهد الماضى وخدامه ان جمال عبد الناصر ورفاقه اغتصبوها من الشعب المصرى يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ..

ولعل هذا التعريف يعجب بعض الناس الذين يتهموننا بالفاشية ..

وأعود من حيث بدأت ، فأقول اننا لسنا شيوعيين ، بل لم نعرف ما هى معتقدات أتباع ماركس ولينين وستالين بالتحديد . وبالرغم من هذا فانى أنقل هنا كلاما قاله أحد القادة الشيوعيين ، وذلك القائد يتزعم بلادا تزيد مساحتها على مساحة أوربا مجتمعة .. اعنى الصين عملاق آسيا الجبار ..

وفى الصين قامت ثورة .. فكيف نجحت ؟ !

هل لأن الذين قادوها من أتباع ماركس ولينين وستالين ، أم لأنهم كانوا صينيين أولا وآخرا ؟

الرأى الأخير هو الصحيح .. بدليل ان ماوتسى تونج نفسه عندما أراد أن ينادى بمبادىء معينة لم يجد سوى مبـادىء الزعيم الوطنى الصينى الكبير صن يات صن ... ولم يحدث أبدا فى الصين خلال قيام الثورة أن وقف فرد أو جماعة فى وجه قادة الثورة هنـاك ، وطالبوهم ببرلمـان أو بدستور أو بحرِّيات

***

كانت كل الجماهير تتجه أولا وآخرا الى اقتلاع جذور النظام القـديم الذى حكمت به الصين آلاف السنين ، ثم بعد ذلك يمكن أن يقام النظام الذى يتفق ومصالح الجماهير الشعبية

قال ماوتسى تونج ، وهو يوضح موقفه أمام الشعب الصينى :

« ان المجتمع الصينى الحالى ما زال مستعمرا وشـبه مستعمر وشـبه اقطاعى ، وان الأعداء الأساسيين للثورة الصينية هم القوى الاستعمارية وشبه الاقطاعية .. وبما أن واجبات الثورة الصينية هى أن تحقق الثورة الوطنية والثورة الديمقراطية للقضاء على هذين العدوين ، وبما أن القوى اللازمة لهذا العمل تلقى أحيانا مساعدة البورجوازية الوطنية وجزء من

البورجوازية الكبيرة ... ومع ان البورجوازية الكبيرة قد خانت الثورة وأصبحت عدوتها ، الا ان الثورة يجب ألا توجه ضد الرأسمالية على العموم أو ضد الملكية الرأسمالية ، وانما ضد الاستعمار والاحتكار الاقطاعى ، وتتيجة لهذا نجد ان طبيعة الثورة الصينية فى الوقت الحالى ليست الاشتراكية البروليتارية ، وانما الديمقراطية البورجوازية ... وهذا الطراز الجديد من الثورة يتحقق فى الصين ، وفى جميع البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة ، ويجب على الصين أولا أن تحقق هذه الثورة وليس غيرها ، واذا لم نصل الى تحطيم الأفكار الرجعية فلا يوجد أمل فى الانتصار ... واذا وضعنا فى اعتبارنا الموقف الوطنى والدولى ، ومهما كانت الصعوبات التى نقابلها فى طريق المقاومة ، فان الشعب الصينى سيصل نهائيا الى النصر ..

« ان وحشية القوى المظلمة فى الداخل والخارج قد سببت بؤس الشعب الصينى ، لكن ذلك البؤس اذا كان يمثل القوة الباقية للظالمين فهو يمثل أيضا اجرامهم الأخير ، ففى نفس الوقت يقترب انتصار الجماهير شيئا فشيئا ، تلك هى الحالة فى الشرق ... تلك هى الحالة فى العالم »

انتهى كلام ماوتسى تونج ..

وأود أن يقرأ الشيوعيون فى مصر هذا الكلام ، فهم من بين الذين يتهموننا بالفاشية ...

وثورة الصين قامت بالدم ... خاض الشعب الصينى معارك هائلة طاحنة رهيبة ومات مئات الألوف من شبابه وشيوخه ونسائه وأطفاله

كانت الدماء فى الصين تجرى كالأنهار فى السهول وفى القرى وحول المدن ..

وكان لابد أن يحدث هذا لكى تمضى الثورة الصينية فى طريقها المعلوم.. لأن القوات المسلحة فى الصين لم تقم بالثورة ... فقيادة الثورة كانت خارج صفوف تلك القوات

أما فى مصر فقد حدثت الثورة بأسلوب جديد .. وتولت قيادتها مجموعة

من ضباط الجيش .. فحقنت الدماء .. ولم تتعرض مصر للخراب والنسف والموت

ومضت الثورة فى طريقها المعلوم بلا دم ... وتولى جمال عبد الناصر رئاسة الحكومة لا باعتباره رئيسا لحزب مصرى معين أو باعتباره رجلا من رجالات السياسة ... بل باعتباره قائدا للثورة المصرية التى قامت فعلا فى البلاد وبدأت تعمل فى العلن لا فى السر كما حدث فى الصين ... ومن أجل هذا يخطىء الذين يطالبون جمال عبد الناصر ورفاقه بانتخابات أو بأى شيء ... فجمال ورفاقه يمثلون الثورة المصرية وليس الحكومة المصرية ... والوضع مختلف بين الثورة المصرية والثورة الصينية ...

ولكن الخلاف هنا فى أسلوب الثورة .. وفى قيادتها .. ففى الصين كانت الثورة دموية مسلحة ضد جميع القوى الاستعمارية والاقطاعية والرجعية ، وفى مصر كانت الثورة « سلمية » بيضاء .. لأنها كانت مؤيدة بوقوف القوات المصرية المسلحة معها .. فاذا قررت الثورة المصرية تحقيق هدف من أهدافها حددته فى الحال ، وعملت من أجله .. فاذا لم يتحقق الهدف سلميا ، كانت القوات المسلحة فى حل من استعمال القوة بتأييد من الشعب !

***

وهكذا مضت الثورة المصرية فى طريقها المحتوم .. فاذا وقف فى طريقها فرد أو جماعة وطالبوها ــ باعتبارها حكومة ــ بشيء ما ... كان الوضع غريبا وشاذا ويستحيل قبوله أو التسليم به ... لأن قيادة الثورة هى التى تحدد ماتراه متفقا مع مصالح الشعب لا مصالح أعدائه !

ولنتصور ــ مثلا ــ تشانج كاى شيك يقف أثناء قيام الثورة الصينية ويطالب ماوتسى تونج بانتخابات وببرلمان وبحريات الخ ..

فبماذا كان سيفسر طلبه ؟ !

هل يفسر بأنه موقف وطنى من تشانج كاى شيك ضد قوى الفاشـية والديكتاتورية .. أم يفسر بأنه محاولة من تشانج كاى شيك لتعطيل الثورة الصينية ثم القضاء عليها بعد ذلك ؟ !

وبالرغم من اننا لسنا شيوعيين ، فالموقف واحد فى الحالتين ، موقف مجلس قيادة الثورة من رجال السياسة والسماسرة والرجعيين فى البـلاد ، الذين يريدون تصفية الثورة المصرية باجراء انتخابات فى الحال ، وبدستور فى الحال ، وبحريات فى الحال .. لكى يعودوا الى أماكنهم

وتلك الأماكن أبعدتهم « الثورة » عنها .. فكيف اذن تعيـدهم مرة ثانية ! ؟

كيف تعيد الثورة الأوضاع القديمة ، والثورة لم تقم ولم يتعرض رجالها للموت الا من أجل القضاء على تلك الأوضاع ! ؟

وقد أوضحت فى الفصل السابق موقف الثورة من الديمقراطية ، فقلت ان الثورة تفسر الديمقراطية بأعمـالها .. تفسرها بالقضاء على الحكام الأغراب عن هذا الشعب والارسـتقراطية المصرية الممثلة فى الباشـوات والبكوات والأساتذة السماسرة ، وتفسرها باقامة أسس صحيحة لنظام جمهورى سليم ، وتفسرها بالقضـاء على العصابات الفاشية مثل جمـاعة الاخوان المسلمين ، وتفسرها برفع مستوى الفلاحين المصريين وهم الذين قامت الثورة من أجلهم بالتحديد .. لأنهم أغلبية الشعب !

ثم أخيرا تفسرها باعداد العدة لتصنيع البلاد وهى بلاد زراعية ..

***

وحتى تنتهى الثورة من تفسيراتها « العملية » للديمقراطية ستقرر فى الحال أن يحكم الشعب نفسه بنفسه .. لا بالهضيبى ولا بالبدراوى ولا بالنحاس ولا بسراج الدين .. ولا بأى فرد أو جماعة من تراث الماضى .. تراث ما قبل ٢٣ يوليو !

هذا هو تفسير الثورة للديمقراطية ..

أما ما هو تفسير الذين يتهموننا بالفاشية للديمقراطية فهو فى جمـلة واحدة : العودة الى الحكم !

تلك هى الديمقراطية فى رأيهم .. العودة الى الحكم أو يظل جمال عبد الناصر ورفاقه تلامذة للفاشيين !

فكيف اذن يظهر جمال عبد الناصر ورفاقه أمام الشعب والعالم بمظهر الفاشيين ، وفى نفس الوقت يعمل جمال ورفاقه على تحطيم أسس الحكم المطلق ! ؟

حكم القصر والبدراوى وسراج الدين والمشعوذين حفظة سـورة آل عمران ! ؟

كيف أصبح الثوار طغاة .. والطغاة أبطالا للحرية والديمقراطية ! ؟

كيف أصبح مجلس قيادة الثورة الذى عصف بالظالمين فاشـيا يسـتمد أفكاره من هتلر وموسولينى وكل الطغاة ، وأصبح محمود أبو الفتح تاجر الرأى والسيارات بطلا شعبيا تماما مثلما أصبح حسن الهضيبى ! ؟

هذا هو موضوع الفصل التالى

الثورة والرجعية

كيف أصبح الثوار أعداء الظلم والاستبداد ديكتاتوريين طغاة وأصبح تجار الرأى والدين والوطنية أبطالا للديمقراطية ؟ !

كيف حدث هذا ؟

كيف تقلب الأوضاع هكذا ؟ !

وأين كان هؤلاء الأبطال قبل ٢٣ يوليو ؟ !

لماذا لم يقودوا الجماهير فى ثورة تهدم صرح الظلم والطغيان ؟ !

أين كان محمود أبو الفتح ، وحسن الهضيبى ، وسراج الدين ، والنحاس وكل القطيع السياسى الذى أصبح بعد ٢٣ يوليو رمزا للديمقراطية والحرية والوطنية والعدالة الاجتماعية ؟

أين كان الذين ينادون اليوم بالديمقراطية والحرية يوم كان يحكم البلاد ديكتاتور اسمه فاروق ؟ !

لماذا لم يفعل محمود أبو الفتح مثلما يفعل الآن فى ربوع أوربا .. لمـاذا لم يقم الدنيا ويقعدها وينادى بتخليص البـلاد من قبضة الحكام الطغاة والاقطاع والباشوات والسماسرة ؟ !

ولماذا لم يعد حسن الهضيبى جهازا سريا مسلحا ينسف به قصر عابدين

ورياسة مجلس الوزراء حيث كان يربض أعداء الشعب الحقيقيون وجلادوه ؟ !

لماذا لم يترك سراج الدين سيجاره الضخم لحظة ، ليصرخ فى الناس أن قوموا لتحرروا مصر من هذا الأخطبوط الرهيب الذى يبطش بمصائركم ؟ !

ولماذا .. ولماذا ؟ !

لا توجد الا اجابة واحدة على كل هذه الأسئلة .. وهى ان حكم أسرة محمد على والباشوات والسماسرة كان هو الحكم الديمقراطى الدستورى المجيد الذى يرضى عنه كل هؤلاء الساسة وأذنابهم وأعوانهم وخدامهم ..

أما اليوم فهم فى محنة .. ويريدون أن يشترك الشعب معهم فى تقويض صرح الثورة التى قلبت نظام حكمهم ، وبطشت بمستقبلهم ، وأبعدت قبضتهم الدنسة عن رقاب ذلك الشعب !

واليوم هم أبطال الديمقراطية ، ونحن أعداء لها !

فكيف حدث هذا ؟ !

مرة أخرى أقول انى سأناقش المسألة بهدوء تام وبصراحة تامة ، وسأحاول ضبط أعصابى وأنا أسجل الحقائق .. وهى حقائق كان من المفروض أن يعرفها الشعب فلا يكون فى حاجة الى من يذكره بها .. لكن الظروف كانت تحتم علينا نحن الذين ظهرنا فجأة على المسرح السياسى بلا مقدمات ، أقول حتمت علينا الظروف أن نسكت ونترك أبناء العهد الماضى يسموننا حكومة العسكريين ، لا حكومة الثورة ، ونترك أذناب العهد الماضى يصفوننا بأننا حكام جدد .. ونحن أبعد ما نكون عن هذه الصفة ، فليس الذى يغير نظام الحكم هم الساسة والحكام .. بل هو الشعب ، ممثلا فى قيادته التى ظهرت فى ٢٣ يوليو ، وعزلت ملك البلاد ، سيد كل أبطال الديمقراطية ، وولى نعمتهم ، وصانع مجدهم !

سيد حسن الهضيبى الديمقراطى الحر ، وسراج الدين الدستورى العريق ، ومحمود أبو الفتح البطل الشعبى الباسل

وكل ربيب للقصر والحكم الذى سقط هو الآن رائد للحرية وللديمقراطية والدستور ! ..

أى لعنة يمكن أن تحل بمصر أكثر من هذه اللعنة .. وأى مصيبة كبرى يمكن أن تطبق على البلاد اذا ما سلمنا ببطولة ذلك القطيع السياسى الديمقراطى وأصغينا الى هذيان أفراده ! ..

أقول : كيف حدث هذا ؟.. كيف قلبت الأوضاع ومسخت الحقائق !.. اذن اسمعوا ...

مرة أخرى أعود الى الصين ...

الى حيث قامت ثورة ، وتغير نظام .. وأقيم حكم جديد

وأحب أن أقول اننى اخترت الصين بالذات ، لأن تلك البلاد عندما قامت ثورتها كانت مثل بلادنا .. مستعمرة فيها حكام خونة واقطاع واحتكار .. وذل وحفاة وعراة وجياع ..

وعلى الرغم من ان الذين قاموا بثورة الصين تختلف معتقداتهم عن معتقداتنا ، الا انهم ــ أى ثوار الصين ــ لم يصنعوا أكثر مما صنعنا .. حتى الآن .. فزعيمهم يقول :

« ان الاصلاح الزراعى هو المحور الرئيسى للثورة الديمقراطية الجديدة للصين »

والاصلاح الزراعى فى الصين قضى على الاقطاع ، ولم يفعل أكثر مما فعلناه نحن بذلك العدو حليف المستعمر ..

وقد وجد ثوار الصين من يقول لهم : أنتم طغاة .. أنتم تريدون ديكتاتورية !

كانت ثورة الصين تبطش بأعدائها دواما .. وكانت تمضى فى طريقها الملىء بالدم والبارود والدمار ولا أحد يستطيع أن يقف فى طريقها .. فالشعب معها ، والشعب شعر انها قامت لتحرره لا لتجعله يؤمن بمعتقدات معينة !

ولو كان الشعب فى مصر قد خاض مع الجيش معركة مسلحة ضد القصر والاقطاع وكل أعداء الشعب لعرف أهداف الثورة فى الحال ولما وجد من يضلله أو يخدعه ... ولكن الوضع فى مصر بالنسبة لقيادة الثورة

كان مخالفا لوضع قيادة الثورة فى الصين ، فكان علينا نحن أعضاء مجلس قيادة الثورة أن نتجاهل ما يقال عنا ، وما يشيعه أعداء الشعب عن أهدافنا .. كنا نعتمد على الوقت .. فالأيام كفيلة بتوضيح أهدافنا وحقيقة ثورتنا .. لا المعارك

وأعود الى الصين فأقول انه بالرغم من المعارك الدموية التى مرت بها الثورة فى الصين الا ان قادتها وجدوا من يقول عنهم انهم طغاة ويريدون ديكتاتورية .. وقال ماوتسى تونج بالحرف الواحد لأعداء الثورة :

« يقال لنا : تقيمون ديكتاتورية .. نعم ياحضرات السادة . أنتم على حق فنحن بالفعل نقيم ديكتاتورية ، ان الخبرة التى تكونت للشعب الصينى خلال عشرات السنين ، تبين لنا ضرورة اقامة ديكتاتورية تحرم على الرجعيين حق التعبير عن آرائهم ، فللشعب وحده حق التعبير ، وحق التصويت ، فمن هو هذا الشعب ؟ !

فى المرحلة الحالية يتكون الشعب من الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، والبورجوازية الصغيرة ، والبورجوازية الوطنية ، وباتحاد هذه الطبقات تكونت حكومة لهم من أجل اقامة ديكتاتورية على خدام الاستعمار ، ومن أجل سحق الاستعمار وأعوانه والذين ارتبطوا بمصالحه ، فلا يسمح لهم بالتصرف الا فى داخل حدود معينة ، فاذا تجاوزوا تلك الحدود بالقول أو بالفعل فسيمنعون وسيعاقبون فى الحال ، فلا بد من تأسيس النظام الديمقراطى بين الشعب ، فيمنح حرية الكلام والاجتماع والتنظيم ، ولا يعطى حق التصويت الا للشعب دون الرجعيين ... فالديمقراطية للشعب . والديكتاتورية على الرجعيين. واذا لم نفعل هذا تنهزم الثورة وتقع الكارثة على الشعب وتفنى الدولة »

هذا ما حدث فى الصين ...

والذى حدث فى مصر بعد ٢٣ يوليو هو أن مجلس قيادة الثورة كان حتما عليه أن يحمى الثورة أو بمعنى أكثر وضوحا يحمى الشعب من الرجعيين .. وكان أول اجراء قام به مجلس قيادة الثورة بعد ٢٣ يوليو هو

عزل الحاكم فاروق .. فاذا كان طرد فاروق ديكتاتورية فليكن .. ونحن نفخر بها

ثم كان أن قرر مجلس الثورة اسقاط النظام الملكى واقامة النظام الجمهورى ، فاذا كان ذلك ديكتاتورية فما أروع ذلك وما أعظمه وما أتعس الديمقراطية اذا لم تقف الى جانب الذين أسقطوا ذلك النظام

واذا كان القضاء على الاقطاع ديكتاتورية فما هى الديمقراطية اذن ؟ قولوا لنا يا فلاسفة هذا العصر ويا حكماء الزمان !

ان الثورة كان لابد أن تمضى فى طريقها .. كان لابد أن تحقق للشعب حاجاته ، لابد أن تقضى على الظلم الاجتماعى والاستغلال والرجعية ، ويستحيل أن تحقق الثورة أهدافها ــ وهى بيضاء وليست دموية ــ الا اذا أخلى الطريق أمامها من كل الأعداء ..

فكيف يمكن ابعاد هؤلاء الأعداء من طريق الثورة ؟ !

هل ببرلمان سراج الدين أو بدستور أحزاب الاقطاع أم بحرية الصحافة.. صحافة « أبو الفتح » والأحرار الدستوريين وبقية الأذناب ؟ !

أم بمعركة دموية يباد فيها كل الأعداء ... كما حدث فى الصين ؟ !

أعداء الثورة

تساءلت فى حديثى عن الطريقة التى كان يمكن بها ابعاد الأعداء عن طريق الثورة ! ؟

كيف كان يمكن للثورة أن تسقط النظام الملكى وتحدد وضع البدراوى بالنسبة للشعب ، وكيف كان يمكنها أن تجنب البلاد خطر السادة الذين امتصوا دماء الملايين من المصريين ؟ !

فاذا وقفنا لحظة عند كل هذه الأسئلة عرفنا ان جمال عبد الناصر ورفاقه كان عليهم بعد طرد فاروق أن يبقوا على دستور عام ١٩٢٣ ، وهو دستور وضع على أساس النظام الملكى الاقطاعى

ثم كان علينا أن نجعل البرلمان يجتمع بنوابه الذين يمثلون الارستقراطية

المصرية ويعملون لحماية مصالحها .. وكان علينا أن نترك الأحزاب كلها بما فيها حزب عبد الهادى وحسن الهضيبى ، وحزب البيوتات الذى يضم ذوى الأصل العريق جدا .. الأحرار الدستوريين ..

وكان علينا أن نترك الصحافة تقول ما تشاء وتدعو الى ما تشاء .. ثم ماذا بقى بعد ذلك ؟ !

بقى أن نعود الى وحداتنا فى الجيش ونترك البلاد لنفس الأشخاص الذين حكموها قبل ٢٣ يوليو

أى ان ثورة الشعب المصرى تسلم قيادتها هكذا ببساطة الى النحاس وسراج الدين والهضيبى وابراهيم عبد الهادى وكل أفّاق دعىّ يريد أن يصبح زعيما بخطبة أو بوعد معسول !

أى ان جمال عبد الناصر ورفاقه ، وكل ضابط وكل جندى من الأحرار هؤلاء جميعا ما قاموا بثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، الا من أجل النحاس والهضيبى وعبد الهادى وهيكل وباقى الساسة الذين حكموا البلاد فعلا من قبل ولم يصنعوا ثورة ، ولم يرفعوا عن الشعب ظلما اجتماعيا ولم يملأوا معدة جائع ولم يمكنوا مريضا من الشفاء ! ؟

أى منطق هذا ؟

وفيم اذن كان كل هذا الجهد والعرق والتضحيات التى بذلها جمال عبد الناصر ورفاقه ومئات من الأحرار فى الجيش طوال أعوام قاسية مليئة بالأحداث والمفاجآت ؟ .. هل كانوا يعدون كل هذه الأعمال التاريخية الثورية لكى يحكم النحاس وسراج الدين وهيكل وعبد الهادى .. وهم الحكام الذين كان فاروق يجلسهم على مقاعد الحكم ؟ !

هذا .. اذا كانت الديمقراطية تحتم أن يترك كل شىء كما هو بعد طرد فاروق

يبقى البدراوى فى درين يشرب دم الألوف من المواطنين .. ويبقى كل باشا فى قصره يدوس بأقدامه على مستقبل الشعب

ويبقى سراج الدين يدخن سيجاره وهو يحكم مع أذنابه .. ويبقى الأمراء والأميرات فى مصايفهم وأوكارهم يستأنفون أكل لحم البشر، ويبقى ويبقى..
يبقى كل شىء ما عدا فاروق .. فهل هذه هى الديمقراطية ؟
وهل هذا ما كان يريده الشعب ؟
هل هـذا ما كان يحقق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى الطبقـات ، ويحقق الاستقلال والعزة والتخلص من القيود ؟ !
هل هذا ما كان يعجل بتصنيع البلاد ، وانفاق نقود الشعب فى مشروعات للشعب لا فى رحلات الى أوربا ، وفى اصلاح اليخوت والقصور واعداد صنوف المتعة والرفاهية لعصابة من الأفاقين العاطلين ؟ !
ثم .. هل كان النحاس وسراج الدين وعبد الهادى وهيكل وباقى القطيع السياسى بدستوره وببرلمانه ، والذى كنا سنتركه يحكم بعد طرد فاروق.. هل كان ذلك القطيع سيوافق على تحديد الملكية ، واعلان الجمهورية والغاء الألقاب ، ورفع مستوى الفلاح والعامل ، واعداد العدة لكفاح الاستعمار، ثم عدم الدخول فى أحلاف عسكرية ؟

***

وهل كان ذلك القطيـع يقبـل أن يخاطب أفراده بلقب « سيد » لا « باشا » أو « بك » أو صاحب رفعة ودولة ؟ !
وهل كان محمد نجيب اذا فرضنا انه سيكون معهم باعتباره ديمقراطيا .. أقول هل كان محمد نجيب قادرا على توجيه ذلك القطيع والسير معه فى ركب التقدم والمدنية ؟
وماذا أيضا ؟ !
هل كان يمكن ـ لو فرضنا اننـا استسلمنا لهذا القطيـع ولآرائه وتوجيهاته بعد ٢٣ يوليو ـ أن تتم الانتخابات فى البلاد وليس هنـاك سوى نفس النواب بدوائرهم التى تكاد تكون ملكا لهم بأرضها ، وبالناس الذين يعيشون فوق أرضها ؟ !
وأسئلة عديدة أخرى تتلاحق وراء بعضها أمامى وأنا أسطر هذا الكلام ،

ومطلوب من أدعياء الديمقراطية ولصوص الحريات أن يجيبوا عليها ..

مطلوب منهم أن يقولوا لنا ما هى الديمقراطية فى رأيهم ، اذا لم تكن دوائر انتخابية مسجلة بأسمائهم ؟ !

ما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن عيشا رغدا وأشهرا ناعمة فى أوربا وثيابا من باريس وقصرا فى الخلاء .. وكلابا تأكل أطيب أرزاق البشر ؟ !

ما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن حق عضو البرلمان فى أخـذ رشوة علنيـة من كل طالب وظيفـة ، ومن كل تاجر يريد الخروج على القانون ، ومن كل أرملة تريد عملا لوحيـدها ، ومن العامل والفلاح ، وحتى من أبناء السبيل ؟ !

وما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن تحكم العاطلين فى العاملين ، وسيطرة الأفاقين والمرتشين والخونة واللصوص والتجار والسماسرة على مصائر الملايين ؟ !

ثم ما هى حرية الصـحافة فى رأيهم اذا لم تكن التـجارة فى الورق والسيارات والتآمر مع المستعمر .. والتحدث باسم الاقطاع والمشعوذين ؟ !

أليست تلك هى ديمقراطيتهم التى يلطمون الخدود ويشقون الجيوب كمدا عليها ؟ !

***

وأعود الى السؤال السابق ، فأقول انه كان لا يمكن للثورة المصرية أن تمضى فى طريقها اذا اكتفت بخلع فاروق .. ثم تركت الأمور كما هى بعد ذلك

لو كان قد حدث هذا ، وترك جمال عبد الناصر ورفاقه الأمور بعد طرد فاروق كان حتما أن تقوم ثورة أخرى لتحقيق العدالة الاجتماعية .. الا اذا كان أدعياء الديمقراطية يرون ان العدالة الاجتماعية يمكن أن تتحقق على أيدى الباشوات والهضيبى وعبد العزيز البدراوى ؟ !

وفى هذه الحالة .. أكان من مصلحة الشعب أن يبقى جمال عبد الناصر

ورفاقه فى أماكنهم كمسئولين عن الثورة ، ليحققوا أهداف الشعب فى فترة انتقال حدودها من تلقاء أنفسهم .. أم كان من أصول الديمقراطية التخلى عن تلك الأهداف الشعبية لتتحقق أهداف سراج الدين والهضيبى وعبد الهادى وباقى القطيع ؟ !

وقد بقى جمال ورفاقه فى أماكنهم .. واستمروا فى عملية قلب نظام الحكم القديم شيئا فشيئا .. ومضوا يعملون أناء الليل وأطراف النهار .. فى الصيف وفى الشتاء .. فى البرد وفى القيظ .. يواجهون الأحداث ويعدون المستقبل للشعب . ولكى لا يعطلهم الأعداء وقطيع عهد أسرة محمد على ، اتخذوا موقفا حازما حيال كل نشاط يقوم به هؤلاء الساسة وأذنابهم .. وكان لابد من اتخاذ ذلك الموقف الحازم الصارم حتى لا تزحف الأفاعى مرة ثانية لتهدد حياة الشعب .. فأطلقوا علينا من أجل ذلك حكومة الضباط والعساكر ، وعندهم حق ، فنحن ضباط وعساكر فعلا ، لكن لسنا ساسة من نوعهم ، ولسنا حكاما ذوى كروش منتفخة بدم الشعب ، ولسنا من جيل قديم تربى فى أحضان الاستعمار وعاش فى كنفه !

***

لسنا سوى ثوار يريدون تحطيم قيود هذا الشعب بلا دم ، وبلا أشلاء تتناثر هنا وهناك ، وبلا بارود ينسف المدن والقرى ، وبلا مجازر فى الشوارع والميادين !

وقد مضينا فى الطريق ، وذلك الطريق كان ولا يزال مليئا بالأعداء .. وكل عدو منهم يريد أن يوقف زحف الثورة ، يريد وقف تطور الشعب ، يريد أن يبقى كعدو الى الأبد .. يعيش هو ولتمت الألوف تحت أقدامه !

فهل الديمقراطية ترضى عن هذا ؟ !

هل اذا وقف أبو الفتح ، ومصالحه مرتبطة بمصالح سراج الدين وباقى القطيع ، واتهمنا بأننا كذا وكذا .. هل نتركه يواصل نشاطه الاجرامى ضد ثورة الشعب باسم الديمقراطية ؟ !

وهل اذا حوكم جواسيس الانجليز أمام محكمة الثورة ، وصدر الحكم

باعدام شيخهم « كنج صبرى » .. واذا ألقينا بالمدعو « كريم ثابت » فى الليمان .. نصبح ضد الديمقراطية ؟ !

وهل اذا منعنا صاحب السيجار الفاخر والسياسى البارع فؤاد سراج الدين من التآمر على الثورة ووضعناه فى زنزانة بعيدا عن الشعب نصبح ضد الديمقراطية ؟ !

وهل اذا تركنا تجار الدين يقتلون جمال عبد الناصر ، ومئات غيره ، وتركنا الهضيبى ينسف دور الحكومة ومنشآت الدولة ويقيم حكومة تتاجر فى الدين .. هل اذا كنا سمحنا بهذا ، نصبح مع الديمقراطية ومع الدستور ؟ !

ان طريق الثورة كان مليئا بالأعداء .. وكان لابد من ابعادهم عنه ، ولا سبيل الى ذلك الا بمعركة مسلحة يلقى فيها كل عدو للشعب مصرعه .. ولكننا فضلنا أن نبعد هؤلاء الأعداء عن الطريق بقانون الثورة .. بالحزم والصمود وبالاصرار على أهدافنا ..

فضلنا هذا على المذابح والمجازر ، فهل لأننا نريد حقن الدماء .. نعمل ضد الديمقراطية ؟ !

وماذا لو كنا اقتحمنا قصر عابدين وتركنا الشعب يفتك بفاروق وبأسرته ، بدلا من اسقاطه بانذار وطرده بكلمة ... وتركنا الشعب يهاجم الاقطاعيين فى قراهم وفى قصورهم فيهدمها فوق رءوسهم ويأخذ الأرض التى هى من حقه .. لو كنا تركنا الشعب يحطم رءوس الباشوات والبكوات وأبناء الارستقراطية المصرية العفنة ، بدلا من الغاء ألقابهم ووقف نشاطهم..
هل لو كنا فعلنا كل هذا ، نصبح ديمقراطيين ومن أحباب الدستور ؟ !

الثورة وطريق الدم

انتهى حديثى عند نقطة هامة للغاية ، بالنسبة لتاريخ هذه الثورة .. ماذا كان علينا ان نصنع منذ قمنا بتلك الثورة حتى نصبح ديمقراطيين ، ونصبح أيضا مع الدستور ! ؟

هل كان علينا أن نخوض مجزرة يوم ٢٣ يوليو ضد كل الذين أراد الشعب الخلاص منهم ، الملك ، والاستعمار ، والباشوات ، والبكوات ، وملاك أرض الشعب ؟ !

وهل كنا حقا قادرين على ابادة كل هؤلاء الأعداء فى معركة واحـدة مشتركة حتى بالرغم من وقوف القوات المسلحة معنا والشعب ؟

لقد كان أمرا واقعيا فعلا أن تبيد الثورة كل أعداء الشعب والا كانت مهزلة لا ثورة

ان التاريخ يقول لنا ان كل ثورة فى أى بلد من بلاد هـذا العالم قد قضت على أعدائها بمجزرة يفقد فيها الطرفان ــ الشعب وأعداء الشعب ــ مئات وألوفا بل وملايين من الضحايا

ولكن ــ كما سبق أن قلت فى أحاديثى السابقة ــ الفرق بين الثورة التى قامت فى مصر وبين كل الثورات الأخرى هو أن قيادتها ظهرت بين صفوف القوات المسلحة .. أى ظهرت بين نفس الصفوف التى كانت تحمى أعداء الشعب

فالجيش كانت قيادته خاضعة للقصر والاقطاع والاستعمار .. لم تكن قيادة الجيش خاضعة للشعب على الاطلاق ، لكنها أصبحت فعلا خاضـعة للشعب فى صـباح ٢٣ يوليو ، ووجد أعداء الشعب ان القوة التى كانت تمكنهم من السيطرة على البلاد قد ضاعت منهم ، بل واتجهت الى ابعادهم عن طريق الشعب ! ..

***

وفوجىء العالم بثورة مصر تتبع أسلوبا جديدا فى القضاء على أعدائها لم تسبقها اليه ثورة أخرى فى أى بلد من بلاد العالم .. فهو أسلوب مستمد من واقع هذا البلد ومن ظروفه ومن امكانياته

فالجيش هو الذى يمثل قوة الثورة المصرية ، وأعداء تلك الثورة لايمكن أن يشتبكوا مع الجيش فى معركة .. فالنتيجة معروفة ! وكان عليهم أن يستسلموا ..كان عليهم ــ جميعا ــ أن يرفعوا الرايات البيضاء ويخضعوا

للأمر الواقع ، لارادة الثورة .. وقد كان ! لكن لأنهم لم يبادوا ويفنوا فى مجزرة ، ولأنهم بقوا على قيد الحياة يتنفسون ويأكلون ويشربون ويعيشون بين الناس ، خيّل اليهم أن من الممكن وقف الثورة بالمؤامرات ، ما دامت تنقصهم القوة التى يمكنها أن تصمد أمام القوات المسلحة !

وعندما تفشل تلك المؤامرات ، وعندما تدفن الثورة كل مؤامرة فى مهدها .. عندما تمنع الثورة مجزرة وتبعد شبح الفتنة ، يقال عن قادتها انهم يريدون ديكتاتورية !

كأن الديمقراطية هى وقف ظهور الشعب ، وكأن الديمقراطية هى ترك الباشوات ، وترك الهضيبى يلقن السذج سورة آل عمران وأحدث وسائل النسف والذبح

وكأن الديمقراطية هى أن يجلس محمود أبو الفتح فى مكتبه فى احدى عواصم أوربا ويوجه الصحافة لخدمة مصالحه .. وهو حليف الاقطاع والزعامات التى تعفنت !

وكأن الديمقراطية هى أن يوقف جمال عبد الناصر عجلة التطور التى بدأت تدور وتخطو نحو الحياة ويقول لباشوات مصر وبكواتها : تفضلوا واحكموا من جديد !

***

وعندما تضرب الثورة على أيدى الشيوعيين لأنهم تآمروا أيضا على الثورة مع الاقطاع وتجار الدين والمستعمرين وكل الأعداء يقال عن الثورة انها لا تؤمن بالديمقراطية ، ويقول عنها الشيوعيون انها حكومة الفاشست والسفاحين !

ماذا بقى بعد ذلك من مواقف للثورة ضد الديمقراطية ؟ !

ماذا صنعت الثورة غير هذا ضد ديمقراطيتهم المزعومة ؟ !

هل بطشت الثورة بمصير الشعب مثلما فعلوا ؟

ان البطش بالشعب هو المظهر الحقيقى للديكتاتورية

فهل الهضيبى هو الشعب ، وهل سراج الدين هو الشعب ؟

وهل الجاسوس كنج صبرى هو الشعب ، وهل كريم ثابت هو الشعب ، ومحمود أبو الفتح ، وعدلى لملوم ، وحافظ عفيفى ، وعبد الهادى ، وعملاء اسرائيل ، وعملاء كل الجهات الأجنبية .. هل كان هؤلاء الذين أوقفت الثورة نشاطهم ومنعتهم من الوقوف فى طريقها هم الشعب ؟ !

وهل من أجل موقف الثورة هـذا الذى تحمى به نفسها ـ وهى كما سبق أن قلت ثورة لا تريد الدم ـ يصبح قادتها من الذين لايؤمنون بالديمقراطية والدستور وحرية الصحافة ؟

***

وأعود الى موضوع الدم من جديد ، فأقول ان الثورة لو كانت بدأت فى فجر ٢٣ يوليو بمذبحة ضد القصر والاقطاع والاستعمار وعملاء الدول الأجنبية والباشوات والسماسرة ثم انتهت بانتصار شامل عليهم ، ثم لم يبق فى مصر عدو واحد يمكنه أن يعطل نهضة الشعب المصرى بعد انتصاره ، أقول لو كانت قيادة الثورة قد خاضت هذه المجازر كلها وانتصرت ثم منعت حرية الصحافة ومنعت الانتخابات والدستور وكل الحريات ، لو حدث هذا لأصبحت فى هذه الحالة فقط .. وفى هذه الحالة وحدها ، قيادة ديكتاتورية تؤمن بالحكم المطلق لا بالشعب !

ولكن للأسف الشديد ـ وأقولها بمرارة ـ لم يحدث أن قامت تلك المجازر بعد ٢٣ يوليو

لم تفرش دماء أعداء الثورة الشوارع وكل شبر فى البلاد حتى كان يمكن بعد ابادتهم بالسلاح أن يطمئن قادة الثورة على مصير أهدافهم الشعبية ، فيقام الحكم الديمقراطى فى الحال ، وتعاد كل الحريات فى الحال ، بعد أن خلت مصر من الأعداء !

لكن .. ليس معنى ان قيادة الثورة قد اتجهت فى طريق آخر غير طريق الدم هو أن مجلس قيادة الثورة كان غير مستعد للاتجاه فى هـذا الطريق منذ أول دقيقة قامت فيها الثورة

لا ــ وأقولها بملء فمى ــ فنحن كنا على استعداد لكل احتمال ، كنا على استعداد لخوض معركة فى ميادين القصور الملكية ، وفى قصور الباشوات ، والساسة الخونة والرجعيين ، وفى قرى الاقطاع وفى القنال

كنا سنفعل ذلك سواء من تلقاء أنفسنا أو بحكم الأمر الواقع ، وكان النصر سيحالفنا ، فالشعب وراء الجيش منذ انطلق ذلك الصوت من محطة الاذاعة اللاسلكية فى صباح ٢٣ يوليو

لكن بالرغم من ايماننا بأن النصر سيحالفنا لو خضنا معركة مسلحة ضد جميع الأعداء ، الا اننا كنا نضع فى حسابنا دائما مسألة الخسائر !

فماذا كان الشعب سيخسر لو خاض هو والجيش معركة كبرى واحدة ضد الاستعمار والقصر والاقطاع وباقى الأعداء ؟

ألم يكن محتملا أن تدمر قرى بأكملها ومدن أيضا ؟

ألم يكن محتملا أن يموت الألوف بل ربما الملايين من أبناء الشعب ؟

ألم يكن محتملا أن تتحول أرضنا الخضراء الهادئة الى ساحة حرب يحترق فيها الأخضر واليابس ويدمر فيها الاقتصاد بل والحياة نفسها ؟

وكما قلت ، كنا سننتصر حتما فى تلك المجزرة طال الزمن أو قصر .. لكن بعد النصر هل كان من الممكن اعادة بناء هذه البلاد بعد أن دمرتها الحرب ؟

***

واذا كانت هناك طريقة أخرى لتحقيق النصر للشعب فى ثورته غير الدمار والموت والفناء .. واذا اتبع مجلس قيادة الثورة هذه الطريقة وحقن دماء الشعب وحمى اقتصاد الشعب ومدن الشعب وقرى الشعب ...

اذا كان مجلس قيادة الثورة قد صنع هذه المعجزة ونجح فى اسقاط النظام الملكى بلا دم وأعلن الجمهورية بلا دم ، وقضى على الباشوات وحكمهم بلا دم

وقاد معركة الثورة فانتصر الشعب فيها دون أن تختفى من على ظهر الأرض مدينة مصرية واحدة بما فيها من ناس ومال وحياة ..

أقول اذا كان مجلس الثورة قــد حقق وسيحقق الانتصارات فى ثورة الشعب ، أيعد هــذا العمل التاريخى المجيد ضــد الديمقراطية .. وأية ديمقراطية ؟ !

ان الشعب لم يصب بسوء حتى يمكن أن يجد الذين يتهموننا بالفاشية دليلا واحدا على اتهامهم لنا ، وعلى تجنيهم علينا .. بل الذين أصيــبوا بالسوء هم أعداء الشعب .. هم كنج صبرى ، وكريم ثابت ، والبدراوى ، وسراج الدين، وابراهيم عبد الهادى، والهضيبى وعصابته الناسفة ، وعملاء اسرائيل ، وعملاء الدول الأجنبية على اختلافها

وهؤلاء هم الذين يتهمون مجلس الثورة بالديكتاتورية

وانى أقول لهم مثلما قال ماوتسى تونج لأعداء ثورة الصين :

« نعم ياحضرات الســادة ، اننا نقيم ديكتاتورية .. لكن على أعوان الاستعمار والاقطاع »

الفصل الثالث

الضباط الأحرار

بعد المحنة

عام ١٩٤٩ ، بعد المحنة الكبرى ، بعد أن عاد جيش البلاد من فلسطين ومعه المأساة الكبرى .. المأساة التى صنعها الخونة والسماسرة الذين حكموا الشعب وقتلوا جنوده وضباطه ومزقوا كرامته وسخروا من مقدساته .. فى ذلك العام بدأت مرحلة جديدة فى الموقف السياسى فى البلاد ، فبعد انتهاء معركة فلسطين بعد تلك المأساة التاريخية ، كان على أعداء الشعب أن يبحثوا عن مخرج لهم .. فسخط الشعب قد بلغ حدا يهدد بالانفجار ، وغضب الجيش بعد أن طعن من الخلف يجب أن يزول ..

وكان تنظيم الضباط الأحرار فى ذلك الوقت قد لحقته خسائر شديدة أثناء المعركة فى فلسطين ..

وكان حتما بعد المحنة أن يعوض التنظيم تلك الخسائر ، خاصة وانها ــ أى الخسائر ــ كانت قد بلغت الى حد أن الضباط الأحرار قد فقدوا الاتصال بعضهم ببعض ..

وقد بدأ الضباط الأحرار يعملون على الفور لاعادة الاتصال من جديد ، وكان هدفهم فى هذه المرة تكوين هيئة تأسيسية للضباط الأحرار ، ثم السيطرة على الجيش تماما بتنظيم ضخم متماسك يمكن أن يبعد شبح المآسى عن الجيش وعن الشعب

وتكونت الهيئة التأسيسية فعلا ، وكانت تضم فى البداية جمال عبد الناصر ، وكمال الدين حسين ، وحسن ابراهيم ، وخالد محيى الدين ، وعبد المنعم عبد الرءوف ..

ثم تضاعف نشاط الضباط الأحرار بعد تلك الخطوة مما حتم زيادة أعضاء الهيئة التأسيسية ، فانضم اليها عبد الحكيم عامر ، وصلاح سالم ، وجمال سالم ، وعبد اللطيف البغدادى ، وكاتب هذه السطور

وفى يناير عام ١٩٥٠ أجريت انتخابات رئاسة الهيئة التأسيسية ، وانتخب جمال عبد الناصر رئيسا لها بالاجماع

وعلى أثر هذا مضينا نستعد لخوض أضخم معركة فى تاريخ الشعب . بدأنا نعد أنفسنا للاشتباك مع الأعداء جميعا تحت سماء هذه البلاد ..

وقد كانت البلاد فى ذلك الوقت أشبه بمسرح كبير يشهد العالم فوق خشبته أعنف مأساة انسانية تعرض لها شعب من شعوب الأرض

لا عدالة ولا حرية ولا حق فى أرضنا ، بل فساد واستبداد وحكم مطلق وسماسرة يتاجرون بكل شىء ، بالسياسة وبالأرزاق وبالمستقبل نفسه .. مستقبل الملايين ، أما مستقبلهم هم فقد كانوا على ثقة من انه لا توجد قوة فى الوجود يمكنها زحزحتهم عن أماكنهم ..

فالاستعمار حليفهم ، والرجعية والاقطاع والبرلمان نفسه الذى يسيِّر الأمور ، كل هذا رهن مشيئتهم

لا يوجد غير الشعب

لم يكن فى مصر أبطال على الاطلاق يمكنهم خوض المعركة ضد هؤلاء الأعداء الطغاة سوى الشعب نفسه ، فكيف كان يمكن للشعب أن يخوض المعركة حتى يمكنه التخلص من قيوده كلها ..

لم تكن هناك قيادة شعبية يمكنها أن تعد الملايين لهذه المعركة .. فحزب الأغلبية الذى يضع الشعب فيه كل آماله قد جاء الى الحكم فى ذلك الوقت وخاض المعركة ــ فعلا ــ لكن ضد الشعب ..

فزعيمه ينحنى حتى يكاد يقول للحاكم بأمره فاروق تفضل اركب على ظهرى .. وأعوان الزعيم يعملون من أجل شىء واحد فقط ولا شىء غيره .. من أجل أن يبقوا كما هم باشوات وأصحاب ضياع وعقار وجاه وسلطان.. فمن اذن يمكنه أن يقود الشعب ويكتله ضد جلاديه ؟ ! .. الاخوان .. ان مرشدهم يدخل القصر ويخرج منه ليسبح بحمد الحاكم .. ويعلن على الملأ انه ملك كريم

السعديون .. انهم لا يمثلون سوى أنفسهم .. ومصالحهم مرتبطة ببقاء النظام كما هو.. بقاء الاقطاع والاستعمار والفساد والخيانة .. ببقاء الشعب

فى القمقم حبيسا لا يجد مخرجا ..

ماذا بقى من قيادات سياسية ؟ ..

بقى الأحرار الدستوريون ، وهم توائم للسعديين ..

من يتولى المعركة ؟ ..

كان لابد من معركة مهما كانت الظروف ، فمن المحال أن تبقى البلاد فريسة للحاكم وأعوانه وبرلمانه ودستوره ..

من المحال أن يبقى الجياع والعراة والمستعبدون الى الأبد تدوسهم أقدام العصابات الحاكمة ، ويفترسهم المستعمرون .. فكيف يمكن للمعركة أن تبدأ ؟ ..

كما قلت كان لابد من قيادة تتولاها ، وكما قلت كان لابد أن تكون قيادة من خارج صفوف حزب الوفد الذى انسلخ عن الشعب يوم أن ضمت قيادته الاقطاع ..

ومن خارج صفوف الاخوان الذين لايؤمنون الا بالهضيبى .. وبالسمع وبالطاعة .. وبولى الأمر الملك الكريم .. كان لابد أن تكون القيادة التى ستخوض بالشعب معركة الحياة والحرية غير مرتبطة بقصر أو بحزب من الأحزاب المذكورة ، أو بهيئة تتاجر فى الوطنية ، وفى كل شىء .. كان لابد أن تكون قيادة تربط مصالحها بمصالح الشعب حتى يمكن أن تصمد حتى النهاية لأن فى عدم صمودها الفناء لها .. وللشعب أيضا ..

فأين يمكن أن توجد تلك القيادة .. وكيف يمكنها لو وجدت أن تبدأ فى تكتيل الشعب وخوض المعركة بعد ذلك ؟

لقد سبق أن أكدت فى أحاديثى السابقة عن الثورة والديمقراطية ، أن ظهور قيادة للثورة المصرية بين صفوف القوات المسلحة هو أمر محتوم مستمد من واقع مصر ومن ظروفها المختلفة ..

وكان لا يمكن أن تظهر تلك القيادة خارج تلك القوات والا كانت مذبحة يفنى فيها الجيش والشعب قبل أن يفنى الأعداء ، فمَن غير القوات

المسلحة كان يمكّن الشعب من خوض معركته ضد أعدائه ؟ ! لأن القوات المسلحة كانت ـ فى هذه الحالة ـ ستنضم الى الجانب الآخر ، الى جانب القصر والاقطاع والاستعمار والرجعية ، ليس لأن وحداتها خارجة على الشعب ، بل لأن قيادتها كانت خاضعة لأعداء الشعب وكانت تعمل على حماية هؤلاء الأعداء ، فالطريق اذن هو تخليص الجيش من قيادته الخائنة الخاضعة للحاكم والتى تحمى النظام فى البلاد ، وبعد ذلك يمكن أن تبدأ المعركة على الفور .. يمكن أن تبدأ الثورة المصرية التى يؤيدها وتحميها القوات المسلحة ..

الثورة فى عام ١٩٥٠

وقد تكونت فعلا قيادة للثورة المصرية داخل الجيش .. وكان تنظيم الضباط الأحرار كما قلت قد كبر وأصبح نشاطه مضاعفا فى عام ١٩٥٠

وبدأت الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار تعد العدة للضربة الكبرى

كان كل فرد فى تنظيم الضباط الأحرار يؤمن بأنه اما النصر أو الموت ..

وكان كل فرد فيهم يستمد القوة والعزم بل والشجاعة من الشعب نفسه ، من مشاعر الجماهير وآمالها ورغباتها وسخطها العارم على الحكام ، ورغبتها الصادقة فى التحرر

وخرجت المنشورات السرية لتقض مضاجع قادة الجيش ورجال القصر والحكام ، وكانت المنشورات ثورية حددنا فيها أهداف الشعب بصراحة ..

لم نحدد فيها مطلبا للجيش أو لضباطه وجنوده ..

كل كلمة فى تلك المنشورات كانت مستمدة من اتجاهات الرأى العام فى البلاد .. فالشعب يريد العدالة الاجتماعية ونحن ننادى بها ، والشعب يريد القضاء على المستعمر وأذنابه ونحن نسجل ارادته ، والشعب يلعن الأحلاف العسكرية والدفاع المشترك ونحن نطبع مئات المنشورات لتؤيد وجهة نظر الشعب . ومضى كل منا يكتل ضباط الجيش فى جميع الوحدات استعدادا لبدء المعركة الشعبية ..

أما متى تبدأ المعركة ، فهذا ما يحدده تقديرنا للموقف بلغة العسكريين وقدر الموقف فعلا على أســـاس قلب نظام الحكم القائم واحلال نظام جديد مكانه . وحددت المدة لتنفيذ الخطة كاملة ــ فى عام ١٩٥٠ ــ بخمس سنوات .. أى ان الثورة كانت ستبــدأ عام ١٩٥٥ ... وليس فى يوليو عام ١٩٥٢ .. !

وفى يناير عام ١٩٥١ أجريت انتخابات جديدة للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار ، وأعيد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا لها للمرة الثانية ..

الشعب لا أولادنا ..

وبعد ذلك وبينما نحن نعد خطتنا لقلب نظام الحكم على أساس تقديرنا للموقف فى البلاد فى ذلك الوقت ، فوجئنا بالبكباشى عبد المنعم عبد الرءوف وهو ينادى بضم تنظيم الضباط الأحرار كله الى احدى الهيئات ..

ولم يجد عبد المنعم عبد الرءوف من يستمع اليه .. كنا جميعا نؤمن بالشعب كوحدة .. وارتباطنا به وبأهدافه ككل ، لا بهيئة ما مهما كانت أهدافها

وأصر عبد المنعم عبد الرءوف على اخضاع الضـــباط الأحرار لجماعة الاخوان المسلمين ، وقال وهو يحاول اقناعنا بوجهة نظره : ان جميع أعضاء تنظيم الضباط الأحرار يمكن أن يقبض عليهم قبل أن يتمكنوا من عمل شىء .. من يرعى أطفالهم وزوجاتهم وأهلهم ؟

وقال : ان انضمامنا لهيئة ما فيه ضمان لعائلاتنا فى حالة ما اذا أصابنا مكروه ، فالهيئة المذكورة تتولى رعاية عائلاتنا وأولادنا

وقلنا له جميعا : اننا مثله لنا زوجات وأولاد ، ويهمنا أن نطمئن على مصيرهم ، لكن المسألة ليست مسألة شخصية

فنحن نعد ثورة لا مؤامرة ! ..

ومصير أولادنا وزوجاتنا لا يعنينا لأن الذى نعمل من أجله هو مصـــير الشعب لا أشخاص الضباط الأحرار ...

وقلنا له : ان ارتباط الجيش بهيئة ما يعرض البلاد للفوضى ، فالجيش يجب أن يكون خاضعا للشعب ككل .. والا جعلت منه الهيئة المذكورة اداة لتنفيذ أغراضها هى .. وأهدافها هى .. وخططها هى ! ..

وقلنا له : نحن لا نستطيع أن نبيع أفكارنا ومبادئنا من أجل أطفالنا ..

وأصر الضباط جميعا على رأيهم ، فالجيش يجب أن يصان من نفوذ الهيئات والأحزاب ، الجيش هو جيش الشعب وليس جيش الهضيبى أو الوفد أو جماعة معينة

تنفيذ الخطة قبل موعدها ..

وكان نجاح فكرة تكوين تشكيلات داخل الجيش أكثر مما قدرنا ، ففى كل وحدة من وحدات الجيش أصبح لتنظيم الضباط الأحرار أفراد فيها ..

لم نكن نتوقع عندما قررنا تكوين تشكيلات بين صفوف القوات المسلحة أن تنجح الفكرة الى هذا الحد ، وكانت الأمور فى البلاد تتطور بشكل سريع ومثير ..

فقد ظهر مدى ايمان قيادة الوفد بالكفاح المسلح فكانت مهزلة القنال التى كان فؤاد سراج الدين يتولاها من مكتبه بالداخلية

ثم بدأ القصر يتآمر ، وبدأ الوفد يتراجع ، لكن الرأى العام كان فى حالة من اليقظة يصعب معها خداعه

وكان لابد من ضربة قاصمة تنهى المسألة قبل استفحالها ، فالضباط الأحرار كانوا قد بدأوا يساهمون فى معركة القنال رغم ارادة القصر وحكومة الوفد ..

واجتمعنا وتبين لنا اننا قد نضطر الى تنفيذ خطتنا قبل موعدها .. أى قبل عام ١٩٥٥

لمن يخضع الجيش ! ؟

كان نجاح تكوين تشكيلات للضباط الأحرار فى جميع وحدات الجيش هو أحد عاملين عجلا بتقديم موعد تنفيذ الخطة .. اما العامل الثانى فهو

الأحداث السياسية التى طرأت على الموقف فى البلاد بعد حريق القاهرة

وكان لابد من اختيار قائد للثورة .. لكى تبدأ الثورة معاركها مع أعداء الشعب فى العلن وعلى مشهد من العالم كله ..

هنـــا أود أن أقف قليـــلا ، فهنا تلعب الظروف دورها .. هنا تتحكم الصدفة ، ولا شىء غيرها فى الموقف

لقد كان من رأى جمال عبد الناصر وهو رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار والذى انتخب فى كل مرة رئيسا ، والذى كان عليه أن يقود الثورة فى العلن مثلما قادها فى السر قبل ٢٣ يوليو .. أقول كان من رأى جمال أن يكون قائد الثورة حاملا لرتبة كبيرة من رتب الجيش ، وكان هناك رأى واحد فقط فى الهيئة يعارض أن يقود الثورة واحد من خارج الهيئة التأسيسية .. لكننا اتفقنا ـــ جميعا ـــ فى النهاية على أن يتولى أحـــد الضباط الكبار قيادة الثورة ، واقترح جمال ثلاثة أسماء : عزيز المصرى ، وفؤاد صادق ، ومحمد نجيب

حقيقة فؤاد صادق

وبدأت الاتصالات بعزيز المصرى ، ولكن الرجل أصر على أن يظل أبا روحيا للثورة وأقنعنا برأيه

وبقى اثنان .. اللواء فؤاد صادق ، واللواء محمد نجيب ..

وذهب صلاح سالم لمقابلة اللواء فؤاد صادق ، ليعرف نواياه ..

وكان عثمان المهدى ـــ رئيس هيئة أركان حرب الجيش ـــ قد استقال من منصبه فى ذلك الوقت ، ولم يكن معقولا أن يفاتح صلاح فؤاد صادق فى أمر قيادته للثورة .. فهو كان مثل محمد نجيب لايدرى ان هناك تنظيما للضباط الأحرار

وأيضا لايدرى ان هؤلاء الضباط الأحرار قد أعدوا أنفسهم للقيام بثورة لقلب نظام الحكم ، كل ما كان يعرفه فؤاد صـــادق هو أن بعض ضباط الجيش الصغار لهم رأى معين فى الحالة ، وان هؤلاء الضبـــاط الصغار لايتعدى نشاطهم اعلان السخط والغضب والأسى ..

وأعود الى مقابلة صلاح سالم وفؤاد صادق ..
ذهب صلاح اليه فى بيته ، وقال له ان الرأى العام بين الضباط فى الجيش يرشحه لتولى منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، وقال له صلاح ان هؤلاء الضباط يمكنهم مساعدته لكى يتولى هذا المنصب فهم قوة ولهم نفوذ كبير ، وظل صلاح يحدثه عن هذا الرأى العام لهؤلاء الضباط فى الجيش حتى اقتنع فؤاد صادق وآمن بأنه سيعين رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش ..
وأثناء الحديث دق جرس التليفون ، ورفع فؤاد صادق السماعة ، وكان المتكلم هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ، وكان مصطفى على صلة ما بالقصر فى ذلك الوقت ، وقال مصطفى كمال لفؤاد صادق ان مرسوم تعيينه رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش سيوقعه مولانا فى الصباح
وظهرت على فم اللواء فؤاد صادق ابتسامة غريبة ، ونظر الى صلاح نظرة ذات مغزى . ثم قال وهو لايزال يمسك بسماعة التليفون : « بتقول إيه يا مصطفى ؟.. زعَّق شوية » وأشـــار فؤاد صادق لصلاح سالم أن يقترب منه ، واقترب صلاح وقرب أذنه من التليفون كما طلب منه اللواء صادق ، وسمع صلاح مصطفى صدقى يتحدث عن مرسوم تعيين فؤاد صادق الذى سيصدر فى اليوم التالى .. ثم وضع فؤاد صـــادق سماعة التليفون

عرف شخصيته

فى تلك اللحظة عرف صلاح شخصية فؤاد صادق
فالرجل شعر بعد أن أبلغه مصطفى صدقى بأمر تعيينه أن ــ الرأى العام ــ للضباط فى الجيش والذى حدثه عنه صلاح سالم لم يعد يعنيه ..
وقد كشف فؤاد صادق عن شخصيته أمام صلاح فجأة ، فبعد أن كان قد أبدى استعداده لتحقيق كل رغبات الضباط وحماية مصالحهم والوقوف الى جانبهم ، انقلب فجأة ــ وبلا مقــدمات ــ بعد أن عرف أن هؤلاء الضباط لن يكون لهم دخل فى تعيينه ، فقد عُيِّن والحمد لله ..

ان اللواء فؤاد صادق كشف عن حقيقة معدنه عندما قال لصلاح بعد مكالمة مصطفى بالحرف الواحد :

ـ اذا كنت بقيت رئيس أركان حرب الجيش فده بمجهودى أنا ... وبدراعى أنا

ثم قال لصلاح انه سيعمل على اقامة النظام الكامل فى الجيش ، وانه لن يسمح بأى نشاط ضد نظم الجيش

وصمت لحظة ثم عاد يقول لصلاح المذهول :

ـ لازم تفهم انت والضباط اللى معاك الكلام اللى بقوله ده .. لأنى أنفذ القانون .. وأنصحك انك واللى معاك تدوروا على مصالحكم ومستقبلكم ومستقبل أولادكم أحسن ! ..

ولم يتمالك صلاح نفسه فقال له وهو حزين آسف :

ـ دى آخر مرة أخش فيها بيتك ... السلام عليكم ! !

وهمّ صلاح بالانصراف ، وسمع فؤاد صادق يقول له وهو فى طريقه الى خارج البيت :

ـ بيتى مفتوح .. اللى يحب ييجى ييجى .. واللى ما يجيش هوه حر..

وعاد صلاح الى رفاقه يحدثهم بما دار بينه وبين فؤاد صادق ، المرشح الثانى لقيادة الثورة ، وكانت مفاجأة للجميع ! !

أما لماذا لم يعين فؤاد صادق فى اليوم التالى رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش ، وعيِّن بدلا منه فى اللحظة الأخيرة حسين فريد فلذلك قصة ثانية ، لعب فيها تشكيل الضباط الأحرار دورا حاسما ..

أين كان محمد نجيب ! ؟

كيف تم الاتصال بنجيب ! ؟

كيف ظهر على المسرح .. وهو الذى لم يكن يعد ثورة أو أى شىء ! !

لقد كان نجيب فى ذلك الوقت قائدا لسلاح الحدود .. ولم تكن له صلة ما بالحركة . ولم يكن يدرى مثل فؤاد صادق ان هناك فى الجيش

تنظيما ضخما يعمل تحت الأرض ويعد العدة للقيام بثورة لقلب نظـام الحكم ..

لم يكن يعلم شيئا بالمرة ، وكنا فى أواخر عام ١٩٥١ ..

وأعود مرة أخرى الى الصدفة العابرة ، الصدفة التى جعلت اسم نجيب يتردد على ألسنتنا وجعلت جمال يرشحه مع عزيز المصرى وفؤاد صـادق لقيادة الثورة

فقد صدر الأمر بنقل نجيب من سلاح الحدود الى سلاح المشاة ..

وعين حسين سرى عامر ذنب السراى مكانه .. ولم يكن لهذا النقل من مبرر

وتردد فى صفوف الجيش ان محمد نجيب قد يستقيل بعد اللطمة التى وجهت اليه ، وكان الشعور العام فى الجيش ضـد حسين سرى عامر .. لا لشىء الا لأنه ذنب للسراى ! !

ومن هنا كان العطف على نجيب

***

شعر الجميع انه ضحية لحسين سرى عامر ، ولو كان نجيب نقل أو أحيل الى المعاش وعين بدلا منه أى مدير آخر لسلاح الحدود لما حظى بتأييد الرأى العام فى الجيش على الاطلاق ، لكن لأن الذى عين مكانه هو ذنب للسراى فنجيب اذن يستحق العطف ، ويجب أن يقف الضباط الأحرار الى جواره . وفعلا حدث عقب أن سَرَى نبأ اعتزام نجيب تقديم استقالته أن اتصل به جمال عبد الناصر وقال له :

ـــ ان الضباط يطلبون منك أن تبقى كما أنت فى سلاح المشاة ولا داعى لتقديم استقالتك

وقال له جمال أيضا ان اللطمة التى وجهت اليه انما هى موجهة للجيش ، ولهذا فالجيش يعتزم رد اللطمة بأشد منها ! !

هكذا بدأ اتصال الضباط الأحرار باللواء نجيب ، فهو فى محنة وهم يقفون الى جواره باعتباره ضحية لذنب السراى ..

ومن هنا جاء ترشيحه لتولى قيادة الثورة ، ومن هنا بدأ القدر يفتح أمامه أبواب التاريخ !



الفصل الرابع

خطـة الثـورة

بعد البداية

وقفت فى الفصل السابق عند البداية .. بداية اتصال تشكيل الضباط الأحرار باللواء محمد نجيب ، وكان ذلك فى عام ١٩٥١ ، وذلك الاتصال تم لا على أساس مفاتحته فى موضوع قيادة الثورة ، بل لاقناعه بعدم تقديم استقالته بعد أن نقل من منصبه فى سلاح الحدود الى المشاة ، ليحل حسين سرى عامر عميل القصر مكانه بناء على رغبة القصر

وشرحت فى حديثى السابق كيف حظى اللواء نجيب بتأييد الرأى العام فى الجيش أو بعبارة أخرى بتأييد تنظيم الضباط الأحرار ، وهم كانوا على استعداد لتأييد أى ضابط كبير آخر أصابه سوء على يدى عميل السراى حسين سرى عامر !

***

وفى ذلك الوقت لم يكن محمد نجيب يعلم ماذا يجرى فى الجيش ! ؟

لم يكن يعلم ان فى الجيش تنظيما سريا ضخما يباشر نشاطه تحت الأرض استعدادا لقلب نظام الحكم .. !

ولم يكن يعرف انه كان ــ فى ذلك الوقت ــ المرشح الثالث لقيادة الثورة فى حالة ما اذا لم يتول قيادتها عزيز المصرى أو فؤاد صادق .. ؟

وفى الفصل السابق عرف القارىء كيف صمم عزيز المصرى على أن يبقى أبا روحيا لنا . وبذلك كان علينا الاتصال بالمرشح الثانى اللواء فؤاد صادق ثم اكتشف صلاح سالم حقيقته أثناء وجوده فى بيته ، وعرف مدى غروره وصلفه وأنانيته ، وعرف من أية طينة عجن ذلك الرجل !

وبعد أن ظهرت لنا حقيقة فؤاد صادق أسقطناه من حسابنا ؛ ثم جاء دور المرشح الثالث محمد نجيب ، وحدث ما رويته من نقله الى سلاح الحدود ، ثم اتصال جمال عبد الناصر به وتأكيده له ان الجيش يعتبر اللطمة التى أصابته موجهة للجيش نفسه ، وسيرد الجيش اللطمة بأشد منها ... للقصر !

وبعد اتصال جمال باللواء محمد نجيب ، استعد تنظيم الضباط الأحرار لرد اللطمة فعلا . واجتمعنا وقررنا أن تكون اللطمة عن طريق نادى الضباط !

اختبار قوة الاحرار

قررنا أن نخوض معركة انتخابات النادى لانتخاب محمد نجيب رئيسا لمجلس الادارة مع حرمان سلاح الحدود من تمثيله فى المجلس ، لأن مديره حسين سرى عامر خصم لنا .. ولأنه عين القصر المفتوحة فى الجيش .. !

ولم يكن غرض التنظيم من خوض معركة نادى الضباط الانتقام من حسين سرى عامر ورد اللطمة للقصر فقط ، بل رأينا ان هذه المعركة اذا انتصرنا فيها تكون بداية عظيمة للمعركة الكبرى القادمة .. معركة قلب نظام الحكم ، فمعركة الانتخابات اذا خضناها تكون أول معركة علنية يخوضها الضباط الأحرار ضد القصر ، وانتصارنا فيها يشعرنا بالثقة ، ويبعث فى نفوس جميع الرفاق فى التنظيم الاحساس بالقوة ، وليس هذا فقط فان الجيش بعد انتصارنا فى معركة النادى سوف تسرى فيه روح جديدة ، ويكون الانتصار اختبارا لروح التضامن بين القوات المسلحة كمجموعة واحدة تقف خلف تنظيم الضباط الأحرار

وقدرنا أيضا نتائج كثيرة أخرى لمعركة انتخابات النادى لو انتصرنا فيها ، فالملك سوف يشعر بهزيمة عملائه فى تلك الانتخابات بأن الجيش غير راض عن تصرفاته ، ويمكن أثناء هذه المعركة كشف الخونة وجميع عملاء القصر وهم الذين سيقفون ضدنا وضد الذين سنرشحهم للفوز فى معركة النادى ..

ومضينا نستعد للمعركة الأولى بيننا وبين القصر ، وشعر القصر بأن فى الجيش نشاطا مريبا ، وان فى الأفق سحبا تنذر بالشر ، فأصدر أمرا بتأجيل انتخابات نادى الضباط .. !

التنظيم يتحدى أمر التاجيل !

وقد كان علينا أن نمضى حتى النهاية لتنفيذ خطتنا كاملة ، ولم نبال

بقرار التأجيل . فصدرت الأوامر لجميع الضباط الأحرار بأن يتوجه أكبر عدد منهم الى النادى فى نفس التاريخ المحدد للانتخابات ، وكان محددا لها ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١

وفى الموعد المحدد كان فى نادى الضباط عدد كبير من الضباط الأحرار. وأعلنوا على الفور احتجاجهم على أمر تأجيل الانتخابات ، ثم طلبوا دعوة الجمعية العمومية للاجتماع بعد ثلاثة أيام بوساطة رياسة الجيش لتقرر ما تشاء !

ولم نكن نتوقع أن تستجيب رياسة الجيش لهذا التحدى ، لكن يبدو انها ــ أى الرئاسة ــ خشيت توتر الموقف فاستجابت للمطلب وتمت عملية الانتخاب !

وهنا وزع الضباط الأحرار كشفا بمن يرشحونهم للانتخاب . ومن ضمن هؤلاء الذين حددنا أسماءهم اللواء محمد نجيب .. وهو الذى لم يكن يعرف ماذا يجرى وراء الستار . وماذا نعده له نحن أفراد التنظيم من مفاجآت كبرى ستغير مجرى حياته .. !

ونجحت خطة التنظيم .. فكل الذين سجلنا أسماءهم فى قائمة الانتخابات نجحوا وبأغلبية ساحقة .. !

وليس هذا فقط ، بل لقد مضينا فى تحدى القصر الى أبعد مدى ، فرفض تعيين مندوب من سلاح الحدود فى مجلس ادارة النادى .. !

وكذلك كسبنا المعركة حسب الخطة الموضوعة ! وقد حدث ما توقعناه ، ارتفعت الروح المعنوية بين جميع أفراد القوات المسلحة ، وازددنا ثقة فى خطتنا وفى معاركنا وفى أعمالنا .. !

وجاءت الأحداث .. !

وأقبلت الأحداث لتدفع عجلة التاريخ بسرعة لم نكن نتوقعها ، فقد وقع حريق القاهرة ــ يناير سنة ١٩٥٢ ــ واجتمعنا على الفور لنغير خطتنا كلها . وكان الاجتماع فى منزل حسن ابراهيم ، وكنا قد قدرنا مدة خمس سنوات للقيام بالعملية الكبرى ، عملية قلب نظام الحكم ، لكن ذلك

الحدث الضخم كان أشبه بالنذير لنا .. وقدرنا الموقف فى ذلك الاجتماع مرة ثانية ، ثم قررنا أن نكون على استعداد خلال شهر واحد ... وبذلك تغيرت الخطة .. !

وأثناء حريق القاهرة صدرت الأوامر لجميع الضباط الأحرار الذين فى القاهرة بمقاومة أعمال التخريب ، كنا نعرف النتيجة ، فالقصر والاستعمار وأعوانهما سيمضون فى ضرب الحركة الوطنية بكل وسيلة . ولا سبيل الى مقاومة هؤلاء الأعداء الا بثورة ، لا بالتخريب والخطب الرنانة ، وقد وضح الموقف السياسى فى البلاد وضوحا تاما بعد حريق القاهرة ، وعرف من لم يكن يعرف انه لا توجد قيادة شعبية لثورة مصر ضد الاستعمار ..

فقيادة الوفد انتهازية وتمسك الحبل من الوسط ، فهى مع الشعب حينا وضد الشعب فى أغلب الأحيان .. !

وكانت وزارة على ماهر التى تكونت عقب حريق القاهرة عبارة عن خدعة أراد القصر والاستعمار بها التمهيد لحكم البلاد بالحديد والنار ثم تصفية الحركة الوطنيـــة نهائيا على أيدى الخونة والأذناب وأصحاب المصـــالح المتناقضة مع مصالح الشعب !

وفعلا لم تلبث وزارة على ماهر ان طارت فى فبراير .. أى بعد أيام من تأليفها !

حقيقة رشاد مهنا ..

وقبل أن أمضى فى سرد أحداث ما بعد حريق القاهرة ، أود أن أقف قليلا لأتحدث عن رشاد مهنا .. لأزيح الستار عن سر آخر غير سر محمد نجيب !

ان رشاد مهنا لم يكن فى تنظيم الضباط الأحرار ، لم يكن واحدا منا .. وعلاقته بنا سأتناولها بالشرح التام .. فقد حدث بعد انسحاب عبد المنعم عبد الرءوف من الجمعية التأسيسية للضباط الأحرار أن اقترح جمال عبد الناصر ضم رشاد مهنا بدلا منه ، وعارضت رأى جمال لأنى كنت أعرف شخصية ذلك الرجل .. من تاريخه ومن واقع تصرفاته !

لكن جمال ذهب فعلا الى رشاد مهنا وعاد ليقول لنا ان رشاد لم يصدق أن فى الجيش تنظيما سريا يعد العدة للقيام بثورة فى البلاد . كل ما كان يعرفه رشاد مهنا هو أن فى الجيش رأيا عاما ضد القصر فقط ، وقال لنا جمال أيضا ان رشاد مهنا رفض أن ينضم الى التنظيم وقال انه يفضل التعاون من بعيد لبعيد !

وهكذا تراجع رشاد مهنا فى عام ١٩٥٠ ، مثلما تراجع من قبل عام ١٩٤٣ .. ولذلك قصة سأرويها فيما بعد !

وأعود الى قصتنا فأقول انه بعد أن طارت وزارة على ماهر فى فبراير عام ١٩٥٢ ، ذهب جمال عبد الناصر مرة ثانية الى رشاد مهنا ، وفاتحه فى موضوع تنفيذ الخطة .. أى قلب نظام الحكم !

وهنا شعر رشاد مهنا ان المسألة جد ، وان الجيش فعلا يمكن أن يفعلها — اليوم — ويقلب النظام ، وقد وافق رشاد مهنا فى هذه المرة على الاشتراك فى تنفيذ الخطة ، وقال لجمال عبد الناصر ان معه ناسا ، أى وراءه رأى عام فى الجيش .. ! وقد وضع جمال خطة قلب نظام الحكم على أساس ان رشاد مهنا سيشترك فيها وان معه ناسا وصدرت الأوامر للضباط الأحرار بالاستعداد .. وكان ذلك فى مارس عام ١٩٥٢

رشاد مهنا يتراجع ..

وفجأة بعد أن أعددنا كل شىء للتنفيذ ، على أساس اشتراك رشاد مهنا معنا جاء ذلك الرجل الى جمال ليقول له انه نقل الى العريش ..

وعرفنا بعد ذلك ان رشاد مهنا قدم طلبا كتابيا الى رئاسة الجيش للخدمة خارج القاهرة .. ويبدو انه شعر بعد أن اتفق مع جمال على الاشتراك فى قلب نظام الحكم .. اقول انه شعر بالخوف فقدم ذلك الطلب ليبتعد عن هؤلاء الذين يريدون توريطه فى عملية قد تطير فيها رقبته !

وقد عدلت الخطة بعد تراجع رشاد مهنا وسفره الى العريش ، وكان لابد من تعديلها بحيث لا تعتمد على رشاد مهنا ، وألغيت الأوامر وأجلت العملية الى أجل غير مسمى

كان موقف رشاد مهنا صدمة لكل الضباط الأحرار، وأخرجنا رشاد مهنا من حسابنا نهائيا ، مثلما أخرجنا عبد المنعم عبد الرءوف ، وكان ذلك باعثا على ارتياحى أنا شخصيا لأنى كنت أعرف حقيقة رشاد مهنا أكثر من جميع الزملاء .. وكان رأيى دائما هو عدم الاتصال به أو الثقة فيه

محمد نجيب والرغبة السامية

مايو عام ١٩٥٢ ، وكنا فى رمضـــان ، طلب محمد نجيب عقـــد الجمعية العمومية لنادى الضباط بناء على رغبة سامية !

وعرض نجيب على الجمعية موضوع قبول عضو من سلاح الحدود ، ورفض الطلب بالاجماع ..

كان نجيب حتى ذلك التاريخ لايدرى ما يدور حوله .. لايعرف شيئا ولا يرى شيئا ..

ان آخر شىء كان يتوقعه محمد نجيب هو أن يقلب الجيش نظام الحكم

أقول كان لا يعلم حتى ذلك الحين ــ مايو عام ١٩٥٢ ــ ان فى الجيش تنظيما سريا ، ولم يعرف أى شىء عن الضباط الأحرار ، وانما كان يعرف جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم

ولم يكن يعرفهم على أساس انهم يعملون داخل تنظيم سرى يعد العدة للقيام بثورة ، بل كان يعرفهم على أساس ان لهم رأيا عاما فى الجيش فقط !

هكذا كان وضع قائد الثورة الذى حرر البلاد ، وطرد الملك وأعلن الجمهورية وحطم الاقطاع وقضى على تجار السياسة والفساد

هكذا كان حال اللواء محمد نجيب فى عام ١٩٥٢ أى فى عام الثورة ، رجلا مسالما يرى ان الرغبة السامية لها احترامها ويرى ان المسألة فى الجيش ليست ثورة بل رأيا عاما لجمال وصلاح وعبد الحكيم

هكذا كان حال الرجل الذى تحدث عنه العالم كله وأشاد بثورته المجيدة وببطولته الفذة ، وقيـــادته للشعب المصرى فى معاركه ضـــد الاستعمار والاقطاع .. ضد جلاديه

كان مثل أى رجل فى مصر وفى مثل سنه ، مثل أبى وأبيك ..

كان موظفا يجلس الى مكتبه من الصباح حتى الظهر وليس فى ذهنه أى شيء عن العدالة الاجتماعية أو عن الاستغلال والاستبداد ومحنة الاستعمار، كل الذى كان يشغل باله فى عام الثورة .. عام ١٩٥٢ هو نفس الشيء الذى كان يشغل بال أى موظف كبير فىمثل سنه .. ربما علاوة أو ترقية أو منصبا آخر غير منصبه فى سلاح المشاة !

لم يكن يخطر على باله ان التاريخ يعده ليكون أكثر من هذا .. ليكون على رأس ثورة .. ثم ليكون رئيسا لجمهورية البلاد .. لا رئيسا لسلاح الحدود !

ولم يكن يخطر على باله ان جمال وعبد الحكيم وصلاح الذين يراهم أحيانا كما يرى عشرات غيرهم من الضباط فى كل يوم ، يعدون العدة لكى يفتحوا أمامه أبواب التاريخ ثم ليقولوا له .. تفضل .. أنت زعيم !

هذا هو وضع محمد نجيب فى عام ١٩٥٢ ... فى عام الثورة ! ..

موظف كبير من موظفى الدولة .. أساءت اليه السراى عندما نقلته من وظيفته ، فقرر القدر أن يعوضه عن هذه الاساءة الهينة بوضعه على رأس الدولة !

جمال وعبد الحكيم فى القاهرة

وأعود الى القصة فأقول انه فى صيف ذلك العام بحث التنظيم أمر تنفيذ الخطة من جديد .. وتقرر تأجيل التنفيذ الى نوفمبر من نفس السنة .. سنة ١٩٥٢

وكان هناك أربعة من الهيئة التأسيسية للتنظيم خارج القاهرة وهم : جمال ، وعبد الحكيم ، وصلاح ، وكاتب هذه السطور .. كنا فى العريش ورفح

وفى شهر يوليو سافر عبد الحكيم عامر الى القاهرة فى اجازة مرضية ، وسافر جمال الى الاسكندرية فى اجازة أيضا ، ثم قطع جمال اجازته وعاد

الى القاهرة بعد أن سمع اشاعات عديدة عن الاجراءات التى سيتخذها الملك ضد الضباط الأحرار .. وبعد أن سمع ان هناك أوامر من الملك بسرعة البحث عن هؤلاء الضباط بين أفراد القوات المسلحة للبطش بهم ! ..

١٥ يوليو .. ونجيب لا يعرف !

وفى ذلك الوقت أى فى يوليو .. أى فى شهر الثورة ، كان محمد نجيب مريضا فى منزله ، وأيضا ليس فى ذهنه شيء عن أية ثورة .. !

ربما كان أمله الوحيد فى شهر يوليو أن يغادر فراشه الى عمله فى سلاح المشاة ، وكان أملنا نحن هو أن يغادر ذلك الرجل فراشه ليذهب الى قصر عابدين رئيسا للجمهورية !

أى موقف ذلك الذى مرت به الثورة المصرية فى ذلك الشهر من عام ١٩٥٢ ؟ ! ..

خطة الثورة توضع وقائد الثورة فى منزله لايعلم ! ؟ قائد الثورة فى فراشه والثورة نفسها تجهله .. قائد الثورة فى فراشه ، والثورة نفسها لا تدرى هل هو الذى سيوضع على رأسها ، أم سيكشف أحد حقيقته فى اللحظة الأخيرة ، مثلما اكتشف صلاح حقيقة فؤاد صادق .. ! ؟

لم يكن هناك وقت على الاطلاق أمام جمال ورفاق جمال لاكتشاف حقيقة محمد نجيب .. فنحن فى ١٥ يوليو .. ونجيب لايعلم شيئا بالمرة .. ثم يصدر الأمر بحل مجلس ادارة نادى ضباط الجيش

نجيب فى بيته لا يعلم

صدرت الأوامر بحل مجلس ادارة نادى الضباط فى ١٥ يوليو عام ١٩٥٢ ، كانت مفاجأة للجميع ، وان كنا نعرف ان القصر كان يتربص بمجلس الادارة المذكور بعد أن لمس مدى سيطرة ذلك المجلس على الموقف وتحديه للرغبات السامية ، ورفضه قبول عضو يمثل سلاح الحدود

ولم تصدر الأوامر فقط بحل المجلس ، بل وبتعيين مجلس ادارة مؤقت ، ليس للضباط الأحرار عليه سلطان أو نفوذ !

وشعرنا جميعا بأن الضربة الثانية ستوجه للضباط الأحرار ، وكان علينا أن نبدأ فى العمل فورا لنضيع على القصر فرصة البطش بنا

وفى ١٦ يوليو عقد اجتماع سريع حضره جمال وحسن ابراهيم وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين وبغدادى ، وكان ذلك الاجتماع هو أخطر اجتماعات الهيئة التأسيسية التى كان بعض أفرادها فى فلسطين ورفح فى ذلك الوقت ، وفى ذلك الاجتماع تقرر بدء المعركة الكبرى النهائية ، وكان يجب علينا أن نأخذ بمبدأ المبادأة حتى لا نؤخذ على غرة ، ويتوصل جواسيس القصر الى معرفة أشخاص الضباط الأحرار وتشكيلاتهم فى أسلحة الجيش المختلفة

الوقت سيد الموقف

وكانت هناك حركة تنقلات ضخمة فى الجيش ، وشعر التنظيم ان هذه الحركة انما الغرض منها هو تشتيت شمل الضباط الأحرار واحداث ارتباك بين صفوفهم .. وفعلا حدث ما كانت تهدف اليه رئاسة الجيش .. فقد بدأت التحركات بين وحدات الجيش على أثر صدور حركة التنقلات السريعة ، وشعر التنظيم بالخلل فى جهازه نتيجة تلك التحركات .. فهناك ضباط أحرار كان عليهم أن يتركوا أماكنهم الى غيرها نتيجة لتلك التحركات الجديدة

كانت فترة حاسمة فى تاريخ الضباط الأحرار ، وكان الوقت هو سيد الموقف .. ولابد من التماسك والتكتل ثم الوثوب على الأعداء قبل أن تحدث كارثة

كانت هناك خطتان .. نواجه بهما الموقف :

الأولى : هى البدء فى تنفيذ الخطة الأساسية ، أى القيام بقلب نظام الحكم ، واقامة نظام جديد .. فاذا لم يكن هذا ممكنا ـــ أى اذا ما جاءتنا أحداث جديدة أو ظروف طارئة ـــ تؤجل الخطة الأولى وتنفذ الخطة الثانية ، وهى كانت تقضى بالقيام بحركة اغتيالات على نطاق واسع

كنا فى ١٨ يوليو ، شهر الثورة .. وعندما استعرضت الخطة الثانية أعترض عليها جمال عبد الناصر

قال : « ان الاغتيالات لن تحقق أهدافنا ، لأن النظام سيبقى كما هو حتى لو نجحت خطة الاغتيالات »

وقال جمال أيضا : « ان هذه الخطة سوف تعطى فرصة لقوى الرجعية مجتمعة تقضى فيها على جميع الضباط الأحرار . وبهذا نكون قد ضيعنا الفرصة الكبرى على الشعب ، فرصة قيام القوات المسلحة وهى أمل البلاد الوحيد بقلب نظام الحكم »

١٩ يوليو ونجيب لا يعلم !

كانت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار توالى اجتماعاتها فى تلك الأيام التاريخية الرهيبة المليئة بالأحداث

وأبلغ جمال الهيئة انه يمكن تنفيذ الخطة الأساسية بالقوات الموجودة ، وقال ان ذلك يمكن أن يتم ليلة ٢١ و ٢٢ يوليو

كل هذا كان يحدث وكل تلك الأحداث التاريخية الكبرى كانت تقع واللواء نجيب فى بيته لايعلم شيئا ولا يرى شيئا .. بل لم يكن قد عرف ان فى الجيش تنظيما سريا سوف يقلب نظام الحكم .. وكنا فى ١٩ يوليو

وقد صدرت الأوامر لجميع الضباط الأحرار بالانتظار يوميا فى « مراكز تجمع » من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى منتصف الليل .. وأبلغوا بموعد التنفيذ ، وكل هذا واللواء نجيب فى بيته لايرى شيئا ولا يسمع شيئا ، بل ولم نكن قد فاتحناه حتى ذلك الوقت بمسألة قيادته للثورة .. على أى حال لقد كان كل شىء يعد له لكى يدخل من أبواب التاريخ ، لكى يحرر الشعب ، ويطرد الملك ويقضى على الفساد ويعلن الجمهورية ..

كنا جميعا نمهد له الطريق فى تلك الأيام نحو الخلود .. كنا نواصل ليلنا بنهارنا لكى يخرج من بيته ــ وهو لايعلم ــ ويقال له .. أنت زعيم رقابنا .. ومصائر أطفالنا وزوجاتنا .. كل هذا لكى يصبح اللواء الذى فى بيته على رأس الدولة وهو لايعلم

وكما قلت كنا فى ١٩ يوليو ، أى قبل الثورة بأربعة أيام

لنتأمل ــ اذن ــ فى هــذا الوضع التاريخى العجيب ، وليتأمل معنا العالم كله فى كيف يصبح الرجل ــ أى رجل ــ زعيما وقائدا لثورة شعبية فى أربعة أيام .. فى غمضة عين

أليس هذا شيئا أشبه بالسحر ؟ الا يذكرنا هذا بمصباح علاء الدين وخاتم سليمان ، والعملاق الذى يخرج من القمقم ليقول : شبيك لبيك عبدك وملك يديك !

لقد قلنا للواء نجيب هذا .. قلنا له شبيك ولبيك وكل ما تطلبه بين يديك .. وطلب أن يكون فكان

العمالقة على باب نجيب ..

قلت اننا كنا فى ١٩ يوليو ، وكانت الأوامر قد صدرت الى مجموعات الضباط الأحرار ، وكان على كل مجموعة أن تنفذ دورا معينا فى الخطة

وكان جمال عبد الناصر هو الذى وضع الخطة العامة وعاونه عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين ، وكان عبد الحكيم فى تلك الأيام ــ كما سبق أن قلت ــ فى اجازة مرضية

وتم وضع الخطة العامة ثم كلف عبد الحكيم بوضع الخطة التفصيلية واستعان عبد الحكيم بزكريا محيى الدين

وفى ٢٠ يوليو أى قبل الثورة بثلاثة أيام توجه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الى بيت محمد نجيب لابلاغه بأنه الزعيم والقائد ومحرر البلاد الذى سيقلب نظام الحكم

وطرق جمــال باب البيت ، وكان عند نجيب البكبــاشى جلال ندا والصحفى محمد حسنين هيكل .. وكانت الأنظار قد اتجهت الى نجيب فى ذلك الوقت بعد أزمة مجلس ادارة نادى الضباط

وأقول مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى الألف أن نجيب لم يكن يعلم لمــاذا جاء جمال وعبد الحكيم .. وربما ظن أن الاثنين جاءا لمواساته بعد حل

مجلس ادارة النادى ولتشجيعه كالعادة .. وتظاهر جمال وعبد الحكيم انهما جاءا للاستفسار عن صحة اللواء .. وبدأ الحديث فى موضوع آخر غير موضوع الثورة .. فلا أحد فى الحجرة كان يعلم ماذا فى رأس جمال وعبد الحكيم ، ولا أحد فى الحجرة ــ حتى نجيب ــ كان يتخيل انهما جاءا ليقولا لنجيب : أيها القائد .. انت زعيم الشعب

والحديث الذى دار كان حول موضوع نادى الضباط ، فقد كان ذلك الموضوع هو حديث الناس فى ذلك الحين . ودار الحديث ــ كما قلت ــ حول التصرف الذى يمكن أن يحدث بعد حل مجلس ادارة النادى .. وقال جمال عبد الناصر :

ــ احنا عاوزين نرفع قضية أمام مجلس الدولة .. ومحتارين مين اللى يرفعها ؟ ..

وقال جلال انه مستعد أن يرفع القضية باعتباره ضابطا على المعاش وعضوا فى النادى

***

ومضى جمال حتى نهاية الشوط فأخرج ستة جنيهات وأعطاها لجلال ندا كمصاريف للقضية .. ولم يتمكن جمال وعبد الحكيم من الانفراد بنجيب ، وكان عليهما أن يتظاهرا أمام ندا وهيكل بأنهما ما جاءا الا للاستفسار عن صحة نجيب

وظلا جالسين فترة طويلة ، والحديث يدور حول نفس الموضوع .. وحول القضية التى سيرفعها جلال ندا أمام مجلس الدولة .. وأخيرا لم يجد جمال وعبد الحكيم بدا من الانصراف .. دون أن يفاتحا « نجيب » فى مسألة الثورة .. وهو لم يكن يدرى ماذا فى رأسيهما

وبعد تلك الزيارة ــ فى ٢٠ يوليو ــ لمس جمال انه ربما يكون من الخطر على الثورة الاتصال بنجيب مرة ثانية .. اذ ربما كان فى ذلك الوقت موضوعا تحت المراقبة

وامام هذا الخاطر قرر جمال الاتصال بنجيب بعد نجاح الخطة .. أى بعد القيام بالثورة

ازمة النادى وازمة الحكم

وجاء يوم ٢١ يوليو .. ولم تكن الخطة التفصيلية قد فرغ منها بعد

وأجلت العملية من ليلة ٢١ ــ ٢٢ الى ٢٢ ــ ٢٣ حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الأحرار الذين لا زالوا فى الاجازة ، وكان كمال الدين حسين هو حلقة الاتصال بهم .. يبلغهم تطورات الموقف أولا بأول

فماذا حدث بعد ٢١ يوليو ؟ !

أى قبل الثورة بيومين اثنين ؟ !

ان نجيب لم يعرف .. كان لايزال ينتظر فى منزله حل أزمة نادى الضباط ، أما نحن فكنا ننتظر حل أزمة نظام الحكم



الفصل الخامس

أحداث الليلة الأولى

احداث الليلة الاولى

تأجلت عملية قلب نظام الحكم من ليلة ٢١ ــ ٢٢ الى ٢٢ ــ ٢٣ يوليو، حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الأحرار الذين كانوا فى الاجازة

وكمال الدين حسين كان حلقة الاتصال بين التنظيم وبينهم ، ليبلغهم تطورات الموقف أولا بأول ، بعد أن اتخذت الجمعية التأسيسية للضباط الأحرار قرارا ببدء الثورة

وكنت قد قلت فى الفصل السابق انجمالعبد الناصر وعبد الحكيم عامر ذهبا الى بيت اللواء نجيب يوم ٢٠ يوليو ، ليبلغاه ــ ولأول مرة ــ ان فى الجيش تنظيما سريا له تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة

ثم ليبلغاه أيضا ان هــذا التنظيم السرى الضخم قرر القيام بقلب نظام الحكم ، وانه ــ أى التنظيم ــ قد اختاره ليكون قائدا للثورة ، وان العملية ستبدأ بين لحظة وأخرى !

وفى بيت نجيب وجد الرفيقان زوارا عنده ، فلم يتمكنا من ابلاغه هذه الحقائق ودار الحديث حول الموقف بعد حل مجلس ادارة نادى الضباط ، وكان نجيب يجهل تماما الغرض الذى جاء من أجله جمال وعبد الحكيم ، كان يعتقد انهما ما جاءا الا لزيارته ، ولتشجيعه ــ كالعادة ــ بعد أن حل مجلس ادارة نادى الضباط

ومر الوقت والزوار مع نجيب ، والرفيقان يتحدثان عن كل شىء ما عدا ــ الثورة ــ وقلب نظام الحكم

ثم خرجا بعد أن أوهما الزوار ومحمد نجيب أيضا ان كل ما يشغل بالهما هو رفع قضية فى مجلس الدولة ، لعدم شرعية حل مجلس نادى الضبــاط وتعيين مجلس جديد له

وفى ذلك اليوم ــ ٢٠ يوليو ــ قرر جمال عدم الاتصال باللواء نجيب ، لابلاغه بأن الثورة ستقوم وانه قائدها الا بعد انتهاء العملية ونجاحها

لقد قال جمال ان بيت نجيب ربما كان موضوعا تحت المراقبة ، بعد أن ظهر أمام السراى كخصــم لحسين سرى عامر ، وفى هــذه الحالة يصبح الاتصال بنجيب قبل بدء العملية خطرا على الثورة

الوزارة الخامسة والاخيرة !

وبعد هذا ، أى فى ٢٠ يوليو ، تحدد موعد قيام الثورة نهائيا ليــلة ٢٢ ــ ٢٣ يوليو ، وصدر ذلك القرار بالموعد النهائى من أعضاء الجمعية التأسيسية الموجودين فى القاهرة ، ولم أكن موجودا يومها فى القاهرة وأيضا صلاح سالم وجمال سالم فقد كنا فى العريش ورفح

وفى ذلك الوقت ، عندما قررت القوات المسلحة قلب نظام الحكم فى البلاد كان حسين سرى قد استقال مع وزارته ، وهى الوزارة المشهورة التى كان كريم ثابت ــ باشا ــ وزيرا فيها

ودارت المشاورات كالعادة لتأليف الوزارة الخامسة بعد حريق القاهرة

وكانت حكومة حسين سرى فى قبضة السماسرة والخدم ، وكذلك كانت كل الوزارات التى تكونت بعد حريق القاهرة ، لايكاد أفرادها يستقرون على مقاعد الحكم حتى تتحرك أصبع سمسار أو خادم فيطيروا من فوق المقاعد كالدمى ...

كيف يحكم الشعب ؟

ان نظام الحكم فى ذلك الوقت كان يتهاوى من تلقاء نفسه والبلاد معه ..

والمسألة كانت : هل يحكم الشعب أم يحكم القصر عن طريق عملائه من أمثال كريم ثابت ؟ !

ان الشعب كان لايحكم على الاطلاق ، فكانت الوزارات التى تتكون تبدو كحكومات لشعوب أخرى تعيش فى بلاد أخرى غير مصر

فكيف ــ اذن ــ كان يمكن أن يحكم الشعب ، والقوات المسلحة هى التى كانت قيادتها تحمى النظام نفسه ؟ !

كان حتما ــ اذن ــ كما قلت فى أحاديثى كلها ، أن يتخلى الجيش عن

قيادته الخائنة المتآمرة مع القصر والاقطاع والاستعمار على الشعب ..

تلك القيادة التى خضعت للقصر وحكومة الوفد أيام معارك القنال ، فمنعت القوات المسلحة من خوض تلك المعارك جنبا الى جنب مع أبناء البلاد على اختلافهم

كيف ظهرت القيادة الجديدة ؟

وكما قلت وسأقول دائما ان الثورة المصرية كان عليها فى عام ١٩٥٢ ، أن تجد قيادة جديدة لها ..

قيادة غير وفدية ، لأن الوفد انسلخ من الشعب عندما ضمت قيادته الاقطاعيين

وغير قيادة السعديين والأحرار الدستوريين الذين يمثلون مصالح الساسة الذين خلقهم الاستعمار والقصر والرجعية المصرية ..

وغير قيادة الاخوان ، لأن الاخوان أهدافهم هى استغلال الدين لمصالح الرجعيين ..

أين — اذن — كان يمكن أن تظهر قيادة شعبية للثورة المصرية ؟ ..

وفى أى صفوف بين هذه الملايين المصرية المستعبدة يمكن أن يخرج زعماء يولون وجوههم شطر الشعب ويعطون ظهورهم للاستعمار والقصر !

ليس هناك سوى القوات المسلحة كما قلت ، فهى الصفوف التى تضم ألوف المصريين المسلحين ..

والضباط والجنود الذين تضعهم تلك القوات ليسوا مرتبطين — بأية مصالح — مع القصر والاقطاع وحاميهما الاستعمار ! ..

فقيادة الثورة المصرية تكون فى هذه الحالة خاضعة لمصالح الشعب ، ويمكن أن تمضى فى الطريق الذى يحقق تلك المصالح

وكانت منشورات الضباط الأحرار تعلن أهداف تنظيمهم الضخم الذى يعمل لقلب نظام الحكم فى البلاد ، وهى — أى المنشورات — كانت تحدد اتجاهات الشعب تماما ، فى السياسة وفى الاجتماع ، كانت المنشورات

صدى لما يعتمل فى صدور الملايين المصرية ! ..

وفى كل صباح كانت تلك المنشورات تحمل أهداف القيادة الجديدة .. الى الشعب والجنود والضباط

والضباط الأحرار كانوا قد انتشروا بالعشرات فى جميع وحدات الجيش ، حتى ان ادارة المخابرات وهى من أخطر أجهزة الجيش وأمنعها كان للضباط الأحرار أفراد فيها !

وأمام هذه الحقائق كلها تقرر قلب نظام الحكم بواسطة القوات المسلحة .. وتحددت ، كما قلت ، ليلة ٢٢ ـ ٢٣ للبدء فى العملية .. لقد ظهرت القيادة الجديدة !

فى مطار العريش

وفى يوم ٢١ يوليو .. فى ساعة مبكرة من الصباح كانت هناك طائرة تتجه من القاهرة الى العريش .. وهى نفسها الطائرة التى تسافر الى العريش عادة كل يوم ـ اثنين ـ لكن فى هذه المرة كان حسن ابراهيم فيها ، أرسله جمال عبد الناصر الينا .. صلاح سالم وجمال سالم وأنا

وكان جمال عبد الناصر قد اتصل بنا تليفونيا وأخطرنا بأن «حسن» فى طريقه الينا .. وفى مطار العريش كنت مع جمال سالم فى انتظار الطائرة

جاء حسن ابراهيم ليبلغنا ان الخطة الأساسية ستنفذ ما بين ٢٢ يوليو و ٥ أغسطس !

وطلب حسن منى أن أسافر على الفور الى القاهرة لمقابلة جمال عبد الناصر

وقال جمال سالم انه ما دامت الخطة ستنفذ خلال هذه الفترة ، فانه سيبقى فى العريش لينهى بعض الأعمال العاجلة ، ثم يطير الى القاهرة يوم الخميس

وتركت حسن ابراهيم لأعود الى رفح سريعا ، وأعددت حقائبى على الفور ، ثم استأذنت من قائدى فى السفر ، بعد أن أخبرته ان والدتى

مريضة جدا .. وكان القطار الذى يسافر الى القاهرة يقوم فى الصباح !

وفى صباح ٢٢ يوليو كنت جالسا فى قطار القاهرة

من السينما الى المعركة

وفى محطة القاهرة وكانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، رأيت أن أقضى السهرة مع أولادى فى احدى دور السينما الصيفية القريبة من منزلنا .. اعتزمت هذا على أساس اننى سأتوجه فى الصباح التالى لأقابل جمال عبد الناصر وأتلقى منه ما يخصنى من أوامر لتنفيذ الخطة

وكانت دار السينما تعرض ــ كالعادة ــ ثلاثة أفلام مرة واحدة ... وجلست مع الأولاد فى السينما تتابع الروايات الثلاث

وفى خلال تلك المدة كان جمال قد ذهب الى منزلى بسيارته الاوستن المشهورة ولم يجدنى ، ولم يعرف البواب دار السينما التى ذهبنا اليها ، وعاد جمال يسأل مرة أخرى بعد ساعة .. فلما لم يجدنى ، ترك لى بطاقة مع البواب كتب عليها :

« المشروع ينفذ الليلة ، المقابلة فى بيت عبد الحكيم الساعة ١١ ... »

وجمال فى تلك الليلة كان يلف بسيارته فى جميع أنحاء القاهرة كالنحلة تماما .. ليوزع الأوامر على الزملاء ..

وما كاد البواب يناولنى البطاقة بعد عودتنا من السينما حتى وجدت نفسى أقفز فوق درجات السلم الى شقتى ، تاركا أولادى مذهولين مع البواب ! ..

وخلعت القميص والبنطلون ، وارتديت ثيابى العسكرية ، ثم ركبت سيارتى الخاصة الصغيرة وانطلقت بها

اننى لم أجد أحدا فى بيت عبد الحكيم عامر ، فأين أذهب ؟ كنت حائرا !

اللازم الذى قبض على !

لم أر بدا من التوجه الى مبنى رياسة الجيش ، لابد أن قواتنا قد اتجهت اليها ما دامت العملية قد بدأت ، وكنت منطلقا فى شوارع القاهرة

بأقصى سرعة تحتملها السيارة الصغيرة ، وعند قشلاق العباسية أوقف أحد الضباط سيارتى . ولما رأى رتبتى خاطبنى بلهجة حاسمة مليئة بالحزم ، بالرغم من انه كان يوزباشيا .. لكنه كان من الضباط الأحرار ..

قال لى أن لا أذهب الى وحدتى فى الصباح وأن أكون فى انتظار أوامر جديدة !

وعلمت أن تلك كانت صيغة الأمر الذى يبلغه الضباط الأحرار الى جميع الضباط من رتبة بكباشى فما فوق !

وتابعت مسيرى فوصلت الى قشلاق السوارى ، وكان الطريق هناك مقفلا ، وتأكدت ان العملية بدأت فعلا وخاصة بعد أن سمعت أصوات مئات الطلقات وهى صادرة من ناحية مبنى القيادة ..

وأردت أن أمر من « الكردون » الذى صنعته قواتنا ، ولكن الضابط منعنى ، وكان صارما جدا معى .. لأنى لا أعرف كلمة السر

كان موقفى رهيبا .. فبلا كلمة السر لن يسمح لى الضابط الصغير أن أمر من « الكردون » الا على جثته ! فكيف أتصرف معه ؟ ..

كيف أقنعه انى من الأحرار .. كيف أدعه يتركنى أخوض المعركة مع قواتنا .. ؟

لقد كنت أرى أشباحا عديدة من بعيد .. انها قواتنا تقلب نظام الحكم ، وأنا واقف خلف « الكردون » والضابط الصغير يمنعنى بل وبدأ يتحرش بى ..

وامتلأت رأسى بمئات الخواطر .. ترى هل أصيب أحد من الزملاء .. ترى ماذا يصنع جمال الآن ؟ وأين عبد الحكيم ؟ أين الجميع ؟ وماذا صنعوا ؟ !

وعدت بسيارتى ، ثم اضطررت الى اللف من فوق كوبرى القبة ، لأمر من المدخل الثانى للكوبرى الذى يواجه مستشفى الجيش

وهناك وجدت الطريق مغلقا أيضا ، ولكن ضابط « الكردون » كان يعرفنى .. لمحت وجهه من بعيد فعرفته ، انه ملازم أول كان يعمل معى فى

رفح ، وهو يعرفنى شخصيا فقد قضينا معا وقتا طويلا فى مكان واحد

واقتربت من « الكردون » وقد استراحت أعصابى قليلا .. أضاء الأمل فى صدرى .. سوف أمر اذن وأشترك فى العملية !

وما كدت أقترب حتى سمعت صوت الملازم صديقى وهو يمنعنى من الاقتراب .. ثم وهو يقترب منى ويرى وجهى .. لكن لا تظهر على وجهه علامات تبشر بالخير ، فبالرغم من انه عرفنى الا انه كان لا يعلم انى من الضباط الأحرار فألقى القبض على فى الحال ..

وهنا شعرت بصدرى يمتلىء بالضيق وبرأسى تكاد تنفجر ، حاولت افهامه دون جدوى ، ان الصداقة التى تربط بيننا لم تشفع لى عنده فى معركة الحياة أو الموت .. فلم يصدقنى لأنى لا أعرف كلمة السر ، ولم أعرف ماذا يمكننى أن أفعل ، وزاد من هلعى أن أصوات الطلقات النارية من قريب ازدادت حدتها .. !

يا عبد الحكيم .. أنا أنور !

وفجأة أضاء الأمل مرة ثانية فى صدرى .. وكنت مع الملازم صديقى الذى قبض على فوق الكوبرى ، فسمعت صوتا من بعيد يشبه صوت عبد الحكيم عامر .. واجتاحنى شعور بالخلاص ، كان الصوت القريب الى نفسى يصدر تعليمات الى قوات كثيرة ، ويحدد لها أماكنها .. وفى هذه اللحظة كانت العربات المحملة بالجنود والضباط تمر من أمامى ، انها قواتنا بدأت تقلب نظام الحكم !

ووجدت نفسى أنادى بملء صوتى :

ــ ياعبد الحكيم .. ياعبد الحكيم .. أنا أنور !

ورأيت شبح عبد الحكيم يقترب منا .. وهنا فقط أفرج عنى صديقى الضابط !

البطل الصامت !

ومضيت مع عبد الحكيم .. لم يكن معى سلاح ، وناولنى عبد الحكيم

طبنجة .. وهو فى تلك الليلة كان يحمل كل أنواع الأسلحة الصغيرة ..

وبدأت أسأل عبد الحكيم فى لهفة عن الموقف .. وكان صوت الطلقات لايزال يدوى كالرعد من حولنا ، وقال عبد الحكيم :

ــ رئاسة الجيش سقطت ..

وصَمتَ .. ثم عاد يرد على أسئلتى فى هدوء عجيب ..

قال لى :

ــ الطلقات اللى انت سامعها دى عملية تطهير لمبنى الرئاسة !

ولم يقل لى عبد الحكيم فى تلك اللحظة انه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش ، وانه هو الذى احتلها بجنوده !

هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل طبنجته.. تماما مثلما فعل ذات يوم فى فلسطين .. عندما تقدم وفى يده مسدس ومن خلفه عساكره واقتحم مستعمرة نيتساليم ... وكان تصرفه ذاك أشبه بالأساطير التى ترويها لنا جداتنا ...

***

ولولا انه رقى الى رتبة صاغ استثنائيا لما عرف أحد ماذا صنعه يوم نيتساليم .. انه صامت على الدوام ، لا يتكلم أبدا عن نفسه ، وأعصابه تبدو كأنها فى أعماق الجليد !

لقد كان عبد الحكيم عامر دائما باسلا حاسما يخوض معاركه بايمان راسخ متين وأعصاب تبدو ساعة المعارك كأنها الفولاذ !

انه فى يوم نيتساليم بمسدسه وعساكره من خلفه .. وفى يوم رئاسة الجيش بمسدسه وعساكره من خلفه ..

وفى يوم ٢٧ فبراير فيما بعد .. فى عام ١٩٥٤ حين تدخل ببسالته وحسم الموقف ، فمنع بجرأته قيام حرب أهلية كانت على وشك أن تقع بعد دقائق

أقول فى كل هذه المواقف كان عبد الحكيم بطلا اسطوريا يحمل رأسه على كفيه وبايمان لايزعزعه رصاص أو ديناميت !

المخابرات تعرف الخطة

وأعود الى قصتنا .. الى قصة سقوط رئاسة الجيش .. بمن فيها من قواد ! ..

فى الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٢ يوليو ، توجه أحد ضباط المخابرات ، وهو اليوزباشى سعد توفيق ، وقد كان من الضباط الأحرار وأبلغ جمال عبد الناصر ان الخطة اكتشفتها رئاسة الجيش ، وان حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، قد دعا قوات الوحدات الى مؤتمر عاجل فى مبنى الرئاسة ..

جمال كقائد ..

وكان معنى ذلك ان الثورة لن تقوم .. بعد أن عرفت قيادة الجيش خطة الضباط الأحرار ..

ولكن جمال عبد الناصر لم يتراجع .. ان العملية قد بدأت ولا سبيل الى التقهقر ، فلم يبق غير ساعة واحدة وتصل جميع قواتنا الى مراكز تجمعها .. وتبدأ المعركة ! ..

أقول لم يتراجع جمال ، بل قرر القبض على هؤلاء القواد الذين دعاهم حسين فريد للاجتماع فى مبنى الرئاسة !

وفى ذلك الوقت ، وبعد كل التطورات ، كان اللواء محمد نجيب لايزال فى منزله .. لايرى شيئا ولا يسمع شيئا !

الفصل السادس

كيف نجحت الثورة ؟

شخصية جمال

بدأت الثورة ــ اذن ــ واللواء نجيب لايعلم ..

وانطلقت رصاصات جنود عبد الحكيم عامر حول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة فى ثوان .. وبقوادها

لقد كان بين الذين وقعوا فى قبضة الثورة فى لحظاتها الأولى رئيس هيئة أركان حرب الجيش بلحمه ودمه .. !

لقد وفر لنا كشف المخابرات لخطتنا وقتا طيبا ، كما وفر علينـــا جهودا ضخمة فى نفس الوقت ، فبعد أن علم جمال عبد الناصر بأن المخابرات كشفت الخطة كان مفروضا أن تقف جميع العمليات التى سيقوم بها الضباط الأحرار يوم ٢٢ يوليو .. أى تقف الثورة ويبقى النظام .. !

وهنا تتضح شخصية جمال كقائد .. انه لايتراجع .. انه يصمد .. يقرر هذا بعد أن علم باجتماع قواد الوحدات لمواجهة الثورة واخمادها .. وبعد أن عرف هذا كله قرر القبض على هؤلاء القادة فى مبنى رئاستهم ، وبهذا يوفر التنظيم جهودا ضخمة فى الرجال والوقت كانت ستبذل للقبض على هؤلاء القواد فى منازلهم .. كل على حدة !

لقد اصطاد جمال عصافير عديدة بحجر واحد .. اما الحجر فكان عبارة عن مجموعة من الجنود فوجىء جمال بهم ليلة الثورة وهم يتقدمون تحت رئاسة ضابطهم ــ اليوزباشى محمـــد شـــديد ــ نحو مراكز تجمع قوات الضباط الأحرار .. وظن جمال ان تلك القوة أوفدتها رئاسة الجيش كمقدمة للقوات التى ستحشدها لاخماد الثورة ! ..

وتتضح الحقيقة .. ويعرف جمال ان اليوزباشى « شـــديد » جاء بتلك القوة التى تعمل تحت رئاسته من تلقاء نفسه ، وبلا أوامر من أحد عندما علم بأنباء الثورة ، فقرر أن يشترك بجنوده فى المعركة قبـــل موعد بدئها بساعة .. !

وكانت تلك المفاجأة مكملة لمفاجأة كشف المخابرات للخطة ، واجتماع قواد الجيش العاجل بدعوة من حسين فريد فى مبنى الرئاسة .. !

واتخذ قرار فى الحال بعد وصول قوة الضابط شديد بأن تتوجه نفس القوة برئاسة عبد الحكيم عامر وتحتل مبنى رئاسة الجيش ثم تلقى القبض على القادة أثناء اجتماعهم العاجل .. !

وفعلا قام عبد الحكيم وهو يشهر مسدسه ، وتقدم الجنود ثم اقتحم بهم مبنى الرئاسة . وانتصر التنظيم فى المعركة الأولى ، وقد كانت أول معركة حاسمة ، تكسبها الثورة .. !

وقد قتل فى تلك المعركة اثنان وجرح أربعة من الفريقين .. !

***

كان كل واحد من الضباط الأحرار يحتل مكانا معينا فى أرض العملية ، وكل واحد كان عليه تنفيذ جزء من الخطة .. ولعل جمال عبد الناصر كان الوحيد الذى ليس له مكان يستقر فيه .. كان يطوف بأرض العملية كلها !

وبعد أن سقطت رئاسة الجيش وقبض على رئيس هيئة أركان الحرب وقواده كان جمال قد انتهى من طوافه ، واطمأن على نتائج الضربة الأولى فتوجه الى مبنى رئاسة الجيش وجلس فى المكتب .. ثم دق جرس التليفون بعد وصول جمال بقليل ، وكان المتحدث هو اللواء عبد الله النجومى ..

وسمع جمال النجومى يسأل عن حسين فريد رئيس هيئة أركان الحرب.. ورد عليه جمال بأن الباشا يقوم بجولة تفتيشية !

وسأل النجومى عن اسم من يتحدث اليه ، فقال له جمال انه الضابط النوبتجى !

والنجومى كان يتحدث من الاسكندرية ليطمئن على الموقف .. وسمع جمال النجومى يقول له :

ــ حسين فريد وهوه بيكلمنى من شــوية سمعت ضرب نار والسكة انقطعت ...

ورد عليه جمال فى هدوء :

ـ لا .. مفيش حاجة أبدا !

رشاد مهنا مرة أخرى

وفى الساعة الثانية من صباح ٢٣ يوليو بلغت من القاهرة اشارة ـ النجاح ـ المتفق عليها الى جميع وحدات الجيش خارج القاهرة .. فلم تمض ساعة حتى كانت جميع وحدات القوات المسلحة يسيطر عليها الضباط الأحرار ..

فقد كانت التعليمات تقضى بأنه بمجرد تبليغ اشارة النجاح يسيطر الضباط الأحرار على القوات فى الحال

وفى العريش ورفح كان صلاح سالم وجمال سالم قد سيطرا على جميع القوات هناك سيطرة كاملة .. بمن معهما من ضباط أحرار

وفى تلك اللحظة وبعد أن سيطر جمال سالم وصلاح سالم على قوات العريش ورفح توجه جمال سالم الى رشاد مهنا .. وكان وقتذاك فى العريش كما سبق ان قلت ، وطلب جمال سالم من رشاد مهنا أن يتولى قيادة لواء العريش . وبالرغم من ان رشادا كان قد عرف أنباء نجاح التنظيم فى السيطرة على الجيش ، الا انه تردد أيضا فى هذه المرة مثلما كان دائما يفعل كلما اتصل به أحد من التنظيم ليطلب منه أن يشترك فى العمليات !

وبعد أن رفض رشاد مهنا أن يتولى القيادة فى العريش ، طلب جمال سالم من صلاح حتاته ـ رئيس الدائرة الأولى لمحكمة الشعب فيما بعد ـ أن يتولاها ، وفعلا تولى صلاح قيادة لواء العريش بدلا من رشاد مهنا !

حقيقة تعلن لأول مرة !

أين كان نجيب أثناء هذا كله ؟.. وماذا كان يفعل ؟.. والساعة كانت الثالثة من صباح ٢٣ يوليو .. وكل شىء كان قد تم بنجاح مذهل ، وأقول كل شىء لأن قيادة الضباط الأحرار كانت تؤمن بأن السيطرة على القوات

المسلحة بعد ابعاد قيادتها الخاضعة للملك هو الأساس فى عملية قلب نظام الحكم !

وقد تم هذا فعلا فى الســاعة الثالثة من صـــباح ٢٣ يوليو .. وسيطر الضباط الأحرار على جميع قوات مصر المسلحة فى القاهرة وخارج القاهرة فى تلك الساعة !

فأين كان اللواء محمد نجيب ... قائد الثورة ؟ !

أين كان فى تلك الساعة .. بعد نجاح العملية الكبرى وبعد أن أصبح نظام الحكم بلا جيش يحميه .. ويذود عنه !

فى الساعة الثالثة صباحا من ٢٣ يوليو بدأ أول اتصال بين قيادة الجيش الجديد أعنى الضباط الأحرار وبين محمد نجيب .. وهذه حقيقة تعلن على العالم لأول مرة !

وكان ذلك الاتصال عن طريق التليفون !

***

لقد دق جرس التليفون فى رئاســة الجيش للمرة الثانية ، ورفع جمال عبد الناصر السماعة . وظن ان المتحدث هو اللواء عبد الله النجومى أيضا.. يريد أن يطمئنه حسين فريد على الحالة !

ولكن المتحدث فى هذه المرة كان اللواء محمد نجيب .. وكان يتكلم من منزله .. وقال محمد نجيب بالحرف الواحد :

ـ المراغى اتصل بى من اسكندرية .. وقال لى روح هدى الحالة فى رئاسة الجيش .. هيه ايه الحالة ياجمال ! ؟

وانى أنقل هنا ماكتبه اللواء محمد نجيب بنفسه فى عدد الأهرام الصادر فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٤ ونشرت الجريدة ماكتبه نجيب فى صفحتها الأولى تحت عنوان .. قائد الثورة يسجل ..

قال نجيب عن حديث المراغى معه بالحرف الواحد :

ـ دق جرس التليفون فى منزلى ، واذا بالأستاذ مرتضى المراغى يكلمنى من الاسكندرية ويقول لى : الأولاد بتوعك متجمهرين عند كوبرى القبة

وعاملين دوشة .. قوم سكتهم أحسن مش راضيين يسمعوا كلام حد !

وقلت له : أنا ماعنديش أولاد ولا حاجة !

قال لى : فيه شوية ضباط متهورين عاملين دوشة .. !

قلت له : أعرف منين الكلام ده ، يمكن حد مدبر مكيدة ضدى علشان أروح وتمسكونى وتقولوا ده شريك معاهم ..

فقال لى المراغى : أنا حا اجيب لك دولة الرئيس الهلالى باشا علشان يكلمك بنفسه ويعطيك عهد ان ما حدش يمسكك ..

قلت له : وازاى أتحقق من شخصيتكم فى التليفون ؟ !

ومرت لحظات ، واذا بالتليفون يدق من جديد ، وكلمنى الأستاذ نجيب الهلالى من الأسكندرية وقال لى :

ــ أنا أستاذك يا نجيب .. ومستقبل الوطن متوقف عليك ، فأرجوك تعمل على تهدئة الحالة لأن الانجليز سيحتلون مصر ، وتبقى مسألة خطيرة. فطمأنته وقلت له : « انى ذاهب لأرى الحالة بنفسى »

انتهى ماكتبه نجيب بنفسه فى الأهرام عام ١٩٥٤

***

والذى لم ينشره اللواء نجيب فى الأهرام هو حقيقة ما فعله بعد اتصال المراغى والهلالى به ليلة ٢٢ يوليو .. انه كان فى منزله .. لايرى شيئا ولا يعلم شيئا ... ثم فى الساعة الثالثة اتصل بجمال فى مبنى القيادة ــ كما قلت ــ وبعد أن كان كل شىء قد تم وأصبح الجيش تحت سيطرة الضباط الأحرار ! ..

وقد رد جمال على سؤال نجيب بأن وضح له الموقف كله .. وأبلغه ــ لأول مرة ــ ان فى الجيش تنظيما اسمه تنظيم الضباط الأحرار ، وان قيادة ذلك التنظيم قد سيطرت ــ الآن ــ على جميع القوات المسلحة فى جميع أنحاء البلاد !

قال جمال لنجيب بالحرف الواحد فى تلك الساعة من صباح ٢٣ يوليو شارحا له الحكاية :

ـ الضباط الأحرار قاموا بالثورة الليلة .. والثورة نجحت والمنطقة العسكرية محاصرة .. واحنا عايزينك تيجى ، حانبعتلك عربية تجيبك ..

وهكذا عرف نجيب ـ لأول مرة ـ حكاية الضباط الأحرار !

وفى الساعة الخامسة صباحا .. أى بعد ساعتين من معرفة نجيب لحكاية الثورة ، وبعد أن عرف ان جمال يجلس ـ الآن ـ مع أعضاء القيادة الجديدة فى مبنى رئاسة الجيش ، أقول فى الساعة الخامسة ، وصل نجيب الى مبنى رئاسة الجيش .. وفى هذا الوقت كان عبد الحكيم عامر جالسا يعد البيان الذى سيذاع على الشعب فى الصباح من محطة الاذاعة

وجلسنا جميعا فى مبنى القيادة نرقب شروق الشمس .. وكل شىء قد كلل بالنجاح الساحق ، ولم نكن نتوقع النجاح بهذه الصورة السريعة الخاطفة !

القاهرة تستيقظ

وأشرقت الشمس على القاهرة ، ثم خرج الناس من منازلهم ، وامتلأت شوارع المدينة الكبيرة بهم ، وخرج أفراد منا الى المدينة ليروا بأنفسهم مدى انعكاس الثورة على الشعب ، ثم بدأ الصحفيون يفدون الى مبنى القيادة .. ان الشعب يؤيد ماحدث .. ان الشعب يعلن عن تأييده فى كل شبر فى البلد ، الناس فرحون .. كل الناس .. فقد كانت فرصة العمر !

صحيح ان الشعب فوجىء بما حدث ، لكن المفاجأة أيقظت وعيه فى الحال ، فوقف الى جانب القوات المسلحة لايمانه بأنها ستتولى تصفية حسابه مع جلاديه !

ان الذى كان يطوف بشوارع القاهرة فى صباح ذلك اليوم التاريخى ، كان يرى صورا للشعب مليئة بالأمل والثقة !

ان بائع « الخروب » الذى وزع ما يحمله على الناس مجانا فى ميدان السيدة زينب ، كان يعبر بتصرفه ذاك عن ايمان الشعب بما حدث ، وأيضا كان يعبر عن حاجة الشعب الملحة الى قيام ثورة ..

وغير بائع الخروب .. مئات من الصور الباهرة التى كانت تعكس فى

صدق كبير بهجة الشعب بما حدث فى تلك الليلة .. بثورة القوات المسلحة من أجله !

وفى القاهرة كانت قيادة الثورة المصرية وليدة أحداث ٢٣ يوليو تستعد للمرحلة الثانية من الخطة الأساسية ، وتلك الخطة كانت تعتمد على ثلاث مراحل :

الأولى : السيطرة على القوات المسلحة

والثانية : السيطرة على البلد ..

والثالثة : طرد الملك ..

وفى الاسكندرية كانت حكومة البلاد والملك يترقبان ما سوف يجرى بعد ذلك فى حيرة .. وربما كانت الحكومة والملك ، بل وكل أعداء الشعب.. كانوا لايتوقعون أن يمضى الجيش الى أبعد من هـذا .. لقد ظنوا ان المسألة لا تعدو طلبات يريد هؤلاء الضباط تحقيقها ، ثم ينتهى الاشكال..!

فى اقل من ٢٤ ساعة

وكنا نحن نعتقد أن تنفيـذ المراحل الثلاث للخطة الأساسيـة ، ربما استغرق وقتا طويلا بعد بدء العملية ..

لكن ما أن انتصف نهار ٢٣ يوليو حتى كانت السيطرة على الجيش قد أصبحت مطلقة ، بل ان الذى كان يرى حال البلد فى منتصف نهار ذلك اليوم .. كان يقطع بأن الجيش قد سيطر عليها أيضا !

وكان المظهر الضخم لهذه الحقيقة .. أى سيطرة قيادة الثورة على البلد.. يبدو من فرحة الناس بما حدث .. وتلك الفرحة كانت تكاد تقفز من وجه كل مواطن فى الطريق !

تمت ــ اذن ــ مرحلتان من الخطة الأساسية فى أقل من ٢٤ ساعة .. لقد كانت ــ فعلا ــ معجزة لم نتوقع أن تتم على الاطلاق فى مثل هـذا الوقت القصير جدا ! .. ولم يبق أمامنا الا المرحلة الثالثة .. طرد الملك !

ثم بعد ذلك نمضى فى تحقيق أهداف الثورة المصرية ...

الفصل السابع

طرد الملك فاروق

انهارت القلاع واحـدة وراء الأخرى فى سـاعات ، وكانت الخطة الأساسية لقيادة الضباط الأحرار تتضمن ثلاث مراحل ..

وكما قلت تمت مرحلتان من الثلاث بنجاح ساحق وفى ساعات ..

وسيطر الضباط الأحرار على الجيش تماما فى صباح ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢

ثم سيطرت قيادتهم على البلد نفسها فى اليوم نفسه ، فقد كان الشعب يترقب تلك الفرصة ــ فرصة العمر ــ وما كاد يسمع البيان الذى أعدته قيادة الضباط الأحرار من الراديو حتى وقف وراء القوات المسلحة مؤيدا ومنفذا لتوجيهات قيادتها الجديدة ، فلم يقع حادث تخريب واحد ، ولم تحدث فتنة ..

لم يجد أعداء الشعب فرصة لاحداث شغب يعطل تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة ، وهى السيطرة على البلد ..

***

لقد استيقظ وعى الشعب فى الحال بالرغم من انه فوجىء بما حدث فى ذلك اليوم ، وكان ذلك الوعى هو المظهر الحقيقى القوى لسيطرة قيـادة الضباط الأحرار على البلد . وكان معنى وقوف الشعب وراء أحداث ٢٣ يوليو هو أن الشعب يريد ثورة ... يريد الخلاص .. !

وكل شىء كان هادئا فى البـلاد .. لا دم ولا بارود .. لا قتـلى ولا جرحى .. لم تنسف مدينة ولم تتزلزل الأرض تحت أقدام الناس .. !

لقد كانت ثورة عجيبة ، لم تشهد بلد من بلاد العالم التى تحررت مثيلا لها ..

كل ثورة كان لها ضحايا يعدون بالألوف وبالملايين الا ثورة مصر .. !

كل ثورة كان لا يمكن أن تتقدم خطوة الا اذا فتكت طبقـة بأخرى فتمضى فى طريقها فوق الأشلاء والدم والأنقاض .. الا ثورة مصر

كل ثورة كانت تنسف وتدمر وتقتل وتشيع الموت حيث تكون الا ثورة مصر .. !

ان كل شيء كان هادئا فى مصر يوم الثورة ..

لم يكن فى مصر غير الفرحة والآمال التى سطعت فى الصدور

لم يخسر الشعب نقطة دم واحدة يوم ٢٣ يوليو ، وبالرغم من هذا مضت عملية تغيير نظام الحكم فى طريقها بنجاح وسرعة مذهلة ، لا تكاد تصدق !

فهل حدثت تلك المعجزة التاريخية الكبرى لأن الثورة المصرية ليس لها أعداء .. ! ؟

لا أحد يمكنه أن يزعم هذا ، فلم توجد الثورة التى لا أعداء لها ..

فكيف اذن لم تحدث مجزرة .. ؟

كيف لم تغرق الدماء الشوارع ، وكيف لم يقتل مواطن واحد من أبناء البلاد ، الذين يريدون التحرر .. ! ؟

كل مواطن كان يجلس فى بيته أو فى عمله أو فى المقهى ..كل الشعب كان هادئا ساكنا ونظام الحكم يشهد أخطر تطور منذ ثلاثة آلاف سنة .. !

فما هو السر ؟ .. لماذا تكون الثورة المصرية هى وحدها التى تتم هكذا فى هدوء ، وبلا مجازر فى الشوارع وفى الحقول ؟

لماذا أخذت الثورة المصرية هذا الشكل السلمى العجيب ! ؟

اننى هنا أقول مرة أخرى ان السبب فى هذا هو ان أعداء الثورة المصرية كانوا يحكمون الشعب بواسطة القوات المسلحة ، ثم فجأة ثارت القوات المسلحة على هؤلاء الأعداء بعد أن أصبح لتلك القوات قيادة جديدة ..

فكان على هؤلاء الأعداء أن يستسلموا أو يبادوا ، فلا قوة هناك يمكنها أن تحميهم .. لم يعد معهم جيش ولا شعب !

هكذا بدأت عملية تغيير نظـام الحكم ، وهكذا مضت فى طريقها بعد ٢٣ يوليو !

أبواب التاريخ

قلت لم يبق بعد السيطرة على الجيش والبلاد الا مرحلة واحدة ، ثم تبدأ

الثورة المصرية تحقق أهدافها ، لم يبق الا طرد الملك ...

وجلسنا فى مبنى القيادة ، بعد أن أعد عبد الحكيم البيان الذى سيذاع على الشعب فى صباح ٢٣ يوليو . وكنا فى تلك اللحظات قد اطمأنت قلوبنا على الحالة تماما ، وكان اللواء نجيب قد عرف ان الجيش قام بثورة بعد أن سأل جمال عن الحكاية فرواها له ، وأخبره ان الضباط الأحرار قد سيطروا على الجيش ، ثم طلب منه أن يحضر فورا الى مبنى الرئاسة وأرسل له سيارة لتعود به ..

وفى اللحظة الأولى التى وطئت أقدامه فيها مبنى رئاسة الجيش ، كانت أبواب التاريخ كلها قد فتحت على مصاريعها أمامه .. كان قد أصبح زعيما ، وهو الذى كان لايعلم ..

كان قبل حضوره بلحظات يسأل جمال عن الحكاية ، لأن المراغى طلب منه تهدئة — الأولاد — الذين عملوا « دوشة » عند كوبرى القبة !

مناورة قبل طرد الملك

كانت خطتنا تقضى بأن نقوم بمناورة مع الملك ، حتى نطمئن الى انه ليس هناك تدخل أجنبى يهدد مصالح البلاد . وبعد أن نطمئن ننقض على صاحب الجلالة ونطرده ..

وجلسنا نتكلم ، وكان موضوع الحديث يدور حول رئاسة الحكومة ، أو بعبارة أدق حول الرجل الذى نريد فرضه على الملك كرئيس لمجلس الوزراء ، وكان نجيب لايزال فى منزله .. لم يحضر الينا بعد . فهو قد حضر كما قلت فى الساعة الخامسة صباحا ..

واستعرضنا أسماء رجال السياسة الذين يمكن أن نفرضهم على الملك رغما عنه !

ولم نكن نريد على الاطلاق واحدا من رجال الأحزاب ، مهما كان موقفه من القصر ، لأننا أردنا ألا نطبع ثورتنا بطابع حزب معين له مصالح تتعارض مع مصالح الشعب.. فالمسألة كما قلت كانت عملية تغيير كامل لنظام الحكم ، ولم تكن مسألة حكومة من الحكومات ! ..

ورأينا ان على ماهر هو الرجل الوحيد الذى لا ينتمى لحزب من الأحزاب ، وهو كان رئيس الحكومة التى تولت زمام الأمور بعد ٢٦ يناير المشهور !

وبدأنا نعد تفاصيل المناورة قبل الانقضاض على الملك ..

على ماهر رئيس مجلس الوزراء بدلا من الهلالى الذى كان موجودا فى الحكم حينئذ ، فاذا خضع الملك لرأينا وجاء بعلى ماهر يمكن بعد ذلك أن نبعث به الى الملك يحمل طلبات لنا ـ كما تقضى المناورة ـ فاذا رفض الملك طلباتنا كان ذلك ايذانا ببدء المعركة معه !

وبعد أن انتهينا من هـذه المسألة ، فتح باب الحجرة ودخل اللواء نجيب .. قائد الثورة ..

البحث عن عنوان على ماهر

وفى الساعة التاسعة من صباح ٢٣ يوليو اتصل نجيب الهلالى بنـا مرة ثانية ، وحاول أن يتفاهم ، وتحدث اليه محمد نجيب .. وكنا من حول نجيب نهمس فى أذنه بما يجب أن يقوله للهلالى ..

وانتهت المحادثة ولم ينجح الهلالى فى اقناعنا بشىء ..

ثم كلفنى الزملاء بالاتصال بعلى ماهر لنبدأ المناورة ، ثم تتم المرحـلة الثالثة من خطة التنظيم .. أى طرد الملك ..

ولم أكن أعرف عنوان منزل على ماهر ولا أحد فى الحجرة كان يعرف العنوان أيضا .. وكان الصحفيون يفدون منذ الصباح المبكر على مبنى القيادة .. وفى هذه اللحظة التى كنا فيها نبحث عن عنوان منزل على ماهر دخل علينا الأستاذ احسان عبد القدوس ، وسألته على الفور هل يعرف منزل على ماهر ، ورحب احسان بتوصيلى الى المنزل .. وقمت معه على الفور ..

هل هذه طائراتكم ؟

وصعدنا الى الدور الثانى فى المنزل ، وجلسنا فى الشرفة فى انتظار على ماهر . وجاء على ماهر ، وقبـل أن يجلس قال لى ان عنده فى البيت ـ

الآن ـ الأستاذ ادجار جلاد ، فهل يأتى به ليحضر المقابلة .. فقلت له :

ـ لا .. ما يجيش .. عايزين نقعد وحدنا ..

وبدأت أتحدث اليه عن مهمتى ... قلت له اننى موفد من القيادة لكى يؤلف الوزارة ..

وخيّم الصمت علينا فترة قصيرة .. وانتظرت رد على ماهر .. ولكنى شعرت انه يريد أن يسمع كلاما أكثر ، وفى هذه اللحظة بالذات مرّت أربع طائرات من ذوات الأربعة محركات فوق رؤوسنا ، على ارتفاع قليل لدرجة ان أصواتها غطت على حديثنا فسكتنا الى أن ابتعدت ، وهنا التفت على ماهر وسألنى :

ـ الطيارات دى بتاعتكم ؟

وأجبته مبتسما لأطمئنه :

ـ نعم ، والقوات المسلحة كلها لا تخضع الا لقيادتنا اليوم ..

ومضيت أتحدث الى على ماهر بصراحة .. تكلمت عن الفساد وعن الأوضاع الغريبة التى تمر بها البلاد ، وعن الملك وتصرفاته الشاذة .. (وهنا شعرت بقدم احسان عبد القدوس تدوس على قدمى.. وبدأ احسان يزغدنى خلسة حتى لا أستمر فى الحديث بهذه الصراحة)

لكنى لم أتوقف .. ومضيت أتكلم بصراحة أكثر ، حتى يفهم على ماهر وجهة نظر القيادة .. ثم عدت أقول لعلى ماهر ان القيادة تكلفه بتأليف الوزارة ..

وقال على ماهر :

ـ أنا مستعد أتعاون ، بشرط أن يكلفنى الملك بتأليف الوزارة !

وقلت له :

ـ تقدر تعتبر نفسك من دلوقت مكلفا بتأليف الوزارة ، فجهز نفسك من الآن ..

ثم قلت له وأنا أهم بالانصراف :

ـ فيه طلبات الجيش عايز من الملك ينفذها فورا ..

وقبل أن أنصرف قال على ماهر :

ــ الزيارة دى ستبلغ للملك .. وأظن من الأحسن أبلغها أنا دلوقت لادجار جلاد وهوه موجود عندى !

وقلت له :

ــ تقدر تقول اللى تحب تقوله .. احنا بنشتغل دلوقت على المكشوف .

وعلى فكرة نجيب الهلالى اتصل بنا النهاردة وعرف اننا رفضنا بقاءه فى الوزارة .. ولا بد انه بلّغ رأينا للملك ..

ثم غادرت منزل على ماهر الى القيادة ...

لقد بدأت المناورة مع الملك ...

عم ناريمان

وجلست أروى تفاصيل ما دار بينى وبين على ماهر للزملاء .. ثم جاء من يخبرنا ان مصطفى صادق عم ناريمان يريد مقابلة أحد من القيادة

لقد جاء مصطفى صادق ليعرض علينا تعيين اللواء نجيب وزيرا للحربية

وقال لنا مصطفى صادق أيضا ، انه ما علينا بعد تعيين نجيب وزيرا للحربية الا أن نذهب الى قصر رأس التين ونقيد أسماءنا فى سجل التشريفات ثم ينتهى الاشكال !

وفوجىء مصطفى صادق برفض العرض الذى حمّله اياه فاروق.. وقلنا له انه لابد أن يؤلف على ماهر الوزارة بلا مناقشات أو أخذ ورد

ثم قلنا له ونحن نشيّعه الى الباب ان على ماهر سيحمل طلبات أخرى لنا الى جلالة الملك ..

وخرج عم ناريمان بعد فشله فى مهمته ..

وكان البيان الذى أذعناه اكمالا لخطوات « المناورة » لايتضمن سوى ان الجيش قام بحركته لتطهير صفوفه .. أى ان الحركة مقصورة على الجيش فقط ..

كانت المناورة متشعبة وكان لابد لنا أن نأخذ حذرنا ..

ومن أجل هذا لم نكشف كل أوراقنا يوم ٢٣ يوليو

الملك يطلب منا تاليف الوزارة

وبعد ظهر ٢٣ يوليو جاء عم ناريمان الى القيادة مرة ثانية ؛ وكان يحمل عرضا جديدا من الملك ..

قال لنا ان جلالة الملك يعرض علينا نحن أن نؤلف الوزارة

وشعرنا بسخف الاقتراح ، الى حد اننا لم نحتمل وجود عم ناريمان معنا فى الحجرة فطردناه منها .. بدلا من توديعه كما فعلنا معه فى المرة الأولى

ثم جلسنا نسخر من ذلك العرض العجيب ، وشعرنا فى تلك اللحظة ان المناورة بدأت تنجح

وقد اتصل بنا على ماهر بعد خروج مصطفى صادق بقليل ، وقال لنا انه تلقى الأمر بتشكيل الوزارة ..

ثم قال أيضا ان الملك طلب اليه أن يسافر فى الحال الى الاسكندرية ، وأنه ــ أى على ماهر ــ يريد مقابلتنا قبل أن يسافر ، ليعرف وجهة نظرنا تماما ، ثم يحمل طلباتنا بعد ذلك ليبلغها الى صاحب الجلالة ..

وقال على ماهر ان الملك قلق جدا ويريد أن يراه سريعا لكى يطمئنه

جو شكل الملك

لقد كانت المسألة فى نظر الملك .. بل وفى نظر جميع الساسة المصريين فى ذلك اليوم ، هى اننا نريد تطهير الجيش فقط من الخونة والأذناب .. كانوا يعتقدون انها أزمة لا تلبث أن تحل ، ثم تعود المياه الى مجاريها .. يبقى الملك على عرشه ويبقى الجميع فى أماكنهم .. والشعب أيضا ..

لقد كانت المناورة فى بدايتها ..

كنا نجلس فى مبنى القيادة نعد خطة خلع الملك ، والملك فى الاسكندرية ينتظر وصول على ماهر اليه ليطمئنه بعد أن تحل الأزمة باجابتنا الى طلباتنا

وقد حددنا لعلى ماهر الساعة الخامسة والنصف من مساء ذلك اليوم لنقابله فى منزله ونسلمه طلبات الجيش.. ثم بعد ذلك يسافر الى الاسكندرية ليطمئن صاحب الجلالة ..

وفى الموعد المحدد خرجنا من مقر القيادة .. جمال عبد الناصر ، ومحمد نجيب ، وأنا ، وتوجهنا الى منزل على ماهر .. واكمالا للمناورة سلمنا على ماهر عريضة دونت فيها طلبات الجيش ..

اننى أذكر اننا وقعنا فى ورطة عندما قال لنا على ماهر قبل أن نقابله ان الملك فى انتظار طلباتنا .. فلم تكن فى رؤوسنا طلبات معينة ، ان الشيء الوحيد الذى يملأ رأس كل فرد منا هو مسألة تغيير نظام الحكم .. اما طلبات الجيش من صاحب الجلالة فذلك شيء لم يخطر على بالنا اطلاقا ..

ان الأحوال فى ٢٣ يوليو كانت تترى بسرعة فائقة .. لم نكن قد أعددنا أنفسنا لهذه الظاهرة العجيبة .. للسرعة الفائقة ..

***

وأذكر اننا جلسنا نكتب طلبات على الورق كيفما اتفق .. كان لابد أن نمضى فى مناورتنا مع الملك الى نهاية الشوط قبل أن ننقض عليه لنسقطه عن عرشه

واتفقنا ــ بعد جهد ــ على أن تكون الطلبات التى سيتقدم بها على ماهر الى صاحب الجلالة أساسها طرد الحاشية ، فقد كنا نعرف ان الملك سيرفض هذا الطلب ، وبهذا نكون قد نجحنا فى جر شكله ، فتبدأ بعد ذلك عملية طرده

وهكذا كتبنا طلبات من الشرق والغرب على الورق ، كان أساسها كما قلت طرد الحاشية ..

وبعد أن قابلنا على ماهر فى الساعة الخامسة سلمه جمال عبد الناصر تلك الطلبات ، واستعد على ماهر للسفر على الفور ، فطلبنا منه أن يخطرنا من الاسكندرية بالنتيجة ، وقال له جمال ان المسئولية ستقع على الملك اذا لم تجب كل هذه الطلبات فى الحال ..

وخرجنا من منزل على ماهر بعد أن تمنينا له سفرا سعيدا .. خرجنا ليبدأ جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين فى وضع تفاصيل خطة طرد فاروق ، وتجهيز القوات اللازمة للسيطرة على الاسكندرية وتأمينها ..

تحرك القوات الى الاسكندرية

قطعنا ــ فى المناورة ــ مع الملك شوطا بعيــدا .. سافر على ماهر الى الاسكندرية يحمل طلباتنا الى صاحب الجلالة ، وبعد أن أكد له جمال ان المسئولية ستقع على الملك فى حالة عدم اجابته الطلبات كلها !

كنا نريد جر شكل صاحب الجلالة لكى نبدأ فى اسقاطه عن عرشــه ، وبذلك تتم المرحلة الثالثة من الخطة الأساسية

وقد عدنا من منزل على ماهر فى مساء ذلك اليوم (٢٣ يوليو) الى مقر القيادة فى كوبرى القبة لنرقب الأحداث ..

واللواء نجيب كان يجلس بيننا لايدرى ماذا فى رؤوسنا

كنا لا نشك فيه ، ونعتبره واحدا منا وخاصة بعد أن فرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة ، وكان هذا العرض من بين الطلبات التى أرسلناها لفاروق

وصحيح انه لم يكن بيننا أحد قد اكتشف حقيقته بعد . فهو يجلس بيننا كأنه فرد منا ، وكنا نحن نحاول قدر ما نستطيع افهامه بأنه القــائد والزعيم وصانع كل هذه الأحداث التاريخية .. كنا قد قررنا أن نفنى جميعا فى شخصه ..

***

قررنا أن نجعل منه زعيما لهذا الشعب يقوده فى معاركه القادمة ضــد جميع أعدائه .. أما نحن فقد اعتبرنا أنفسنا جنودا فى ثورة نجيب .. !

وانقضى يوم ٢٣ يوليو ، وجاء يوم الثورة الثانى ، وكنا لا نزال على مقاعدنا فى مقر القيادة لم ننم ولم نسترح ، والعرق يغرق ثيابنا ، فالحر كان شديدا .. لكننا لم نشعر بالارهاق على الاطلاق . كنا نعرف ان أمامنا ليالى أخرى سوف نقضيها ساهرين على مقاعدنا ، وربما فى الشوارع وفى الحقول مع الشعب نخوض معركة دموية من أجل مصائر الملايين

لم نكن نعرف ــ بالتحديد ــ ماذا سوف يحدث لنا فى اليوم الثانى للثورة ، لأن الأحــداث كما قلت كانت تترى بسرعة فائقة لم نتوقعها ، والقلاع كانت تتساقط من تلقاء نفسها ..

كل الذى كنا نعرفه اننا قد سيطرنا على القوات المسلحة وعلى البلد ..
وبعد ذلك لتأت الأحداث بما تشاء من مفاجآت ، فقد كنا على ثقة من أن عملية تغيير نظام الحكم ستتم اليوم أو غدا أو بعد شهر .. حتى لو ظهرت فى الأفق بوادر تدخل جهات أجنبية ، فقد كان كل واحد منا قد أعد نفسه قبل أن يغادر بيته وأولاده لمعركة سيخوضها .. وربما مات ، وربما فقد ذراعا .. المهم اننا جميعا كنا على استعداد للنزول الى الشوارع والحقول وخوض حرب مدمرة ضد جميع الأعداء لو فكروا فى الوقوف أمام الثورة

جمال يأمر بتحرك القوات

ووصل على ماهر الى الاسكندرية ، وقابل صاحب الجلالة على الفور وقدم له طلباتنا ، وفى صباح اليوم التالى للثورة ـ يوم الخميس ٢٤ يوليو ـ اتصل بنا على ماهر من الاسكندرية وقال ان صاحب الجلالة قد وافق على جميع طلباتنا !

وطلب على ماهر أن نوفد اليه أحد أعضاء القيادة الى الاسكندرية ليخبره بالتفاصيل ، ووقع الاختيار علىّ لأقوم بهذه المهمة ...

وحتى ذلك الوقت كان على ماهر لايعرف ماذا نهدف اليه بالتحديد . كان يعتقد حتى صباح الخميس ٢٤ يوليو أن الأزمة انتهت بعد أن قبل الملك طلباتنا .. والمياه ستعود الى مجاريها قطعا ، وخاصة وان الملك قبل أفدح تلك الطلبات بالنسبة له .. وهو طلب ابعاد الحاشية !

وان كان قد قال لعلى ماهر انهم ـ أى أفراد الحاشية ـ كأهل منزلى فكيف يتدخل الجيش فى شئون بيتى ! ؟

على ماهر ـ اذن ـ ظن ان الأزمة انتهت بعد أن تحدث الينا بالتليفون ، وأبلغنا بموافقة صاحب الجلالة على طلباتنا

ولم يكن يعرف ـ مثلا ـ انه بعد أن غادر القاهرة فى اليوم السابق .. أى فى مساء ٢٣ يوليو لم يتضح جمال عبد الناصر دقيقة واحدة ، فجلس ومعه زكريا محيى الدين ـ وكان فى ذلك الوقت مديرا للعمليات ـ وبدأ

الاثنان يدرسان الموقف فى الاسكندرية واحتياجات عملية طرد الملك .. !
درست فى تلك الليلة كل الاحتمالات ..
كما أعدت فى نفس الليلة خطة السيطرة على الاسكندرية وتأمين مرافقها
وانتهت الدراسة قبل أن يتصل على ماهر بنا فى صباح الخميس (٢٤ يوليو)
وأصدر جمال أمرا بتحريك قوة الى الثغر .. وكانت القوة التى أمر جمال بتحريكها لاسقاط الملك وطرده عبارة عن لواء مشاة وآلاى دبابات لتأمين المدينة ، واعتبرت مدفعية قواتنا فى الاسكندرية ضمن القوة التى ستقوم بتنفيذ المرحلة الثالثة من الخطة .. طرد الملك

على ماهر يسأل .. ما الداعى لهذا ؟ !

وبالرغم من ان اللواء محمد نجيب كان يجلس معنا فى حجرة واحدة ، بل وحول مكتب واحد فى ذلك اليوم ، الا انه كان لايشترك مع أحد فى اعداد أى شىء ، فكل الخطط كانت معدة قبل أن يأتى الينا وقبل أن يعرف انه زعيم الشعب !
وحتى التفاصيل كان يعدها جمال والزملاء وهم من حول نجيب يبتسمون له فى احترام وثقة وهو صامت يترقب الأحداث !
وقد تحركت من القاهرة القوة التى ستسقط الملك فى ليلة ٢٤ يوليو .. أى فى نفس اليوم الذى قبل فيه الملك كل طلباتنا !
وقد فوجىء على ماهر والملك بهذا الذى حدث .. فوجئا بالطابور المسلح يدخل الاسكندرية . وكانا قد اعتقدا ان المياه ستعود الى مجاريها بعد أن قبلت الطلبات !
وقوبل ذلك الطابور المسلح من الشعب فى الاسكندرية بالتهليل والهتاف الذى شق عنان السماء ..
وكما حدث فى القاهرة صباح ٢٣ يوليو حدث فى الاسكندرية ..
التف الشعب حول القوات المسلحة يؤيدها ويحتضن أفرادها ، ويجرى خلف المصفحات فى الشوارع بعد أن غمرته الفرحة ..

وبعد أن أخذت قواتنا فى الثغر أماكنها طبقا للخطة ، اتصل بنا على ماهر مرة أخرى بالتليفون ليسألنا :

ــ ما هو الغرض من وصول تلك القوات ؟ .. ألم يوافق الملك على جميع طلباتكم ! ؟

وأردف على ماهر يقول فى التليفون :

ــ ان الملك قلق جدا منذ وصلت تلك القوات .. ويسأل ما هو الداعى لهذا ، بعد أن أجابكم الى ما تريدون ؟ !

وقلنا لعلى ماهر :

ــ لا شىء .. لا شىء بالمرة .. طمئن مولانا ، وقل له ان هذه القوات أرسلناها لتأمين الاسكندرية ، ومنع الاضطرابات والحوادث ! ..

نجيب يطلب السفر معى ..

وبقى التنفيذ ...

متى تبدأ العملية ؟ !

ان قواتنا فى الاسكندرية ، وقد اتخذت أماكنها والشعب من حولها يؤيدها ويهتف لأفرادها من الأعماق .. لا اضطرابات ولا حوادث ..

كل شىء كان هادئا فى المدينة تماما مثلما كانت القاهرة يوم ٢٣ يوليو..

وكان جمال قد كلفنى ــ كما قلت ــ بالسفر الى الاسكندرية بعد أن تحدث الينا على ماهر من هناك ليخبرنا بأن الملك وافق على الطلبات ، ثم طلب أن يسافر أحدنا اليه ليخبره بالتفاصيل ..

وطلب جمال منى أن أؤجل سفرى الى صباح الجمعة ــ ٢٥ يوليو ــ حتى تكون قواتنا قد وصلت واحتلت أماكنها

وقررنا عزل الملك يوم ٢٥ يوليو ..

وفى صباح الجمعة ــ ٢٥ يوليو ــ طلب محمد نجيب أن يسافر معى الى الاسكندرية ، وكنا قد اتفقنا مع على ماهر على اننى أنا الذى سأقابله وحدى ، فرفضنا طلب محمد نجيب ، لكنه ألح علينا بشدة لكى يسافر معى!

فوافقنا بعد أن لمسنا مدى تمسكه بتلك الرغبة ، وبشرط ألا يحضر معى مقابلة على ماهر ساعة الوصول ، وانما يذهب لمقابلة على ماهر بعد الظهر، وهو يحمل الانذار التاريخى المشهور ، الموجه الى الملك والذى نطلب منه فيه أن يتنازل عن العرش ويغادر البلاد ..

جمال قال لى ...

وكان علىّ أن أغادر القيادة الى المطار .. وقبل أن أغادر المبنى أخذنى جمال عبد الناصر الى ركن من الردهة ، وكان وجهه قد اكتسى بذلك الطابع المعروف عنه ساعة أن يقرر أمرا .. الصلابة والعزم القوى والاصرار التام.. وكانت فى يده سيجارة ، وقال لى وهو ينفخ دخان سيجارته ورأسه يتحرك قليلا الى الأمام كعادته :

ـ شوف يا أنور .. لازم نِخْلَص من فاروق النهاردة أو بكره بالكثير .. لأن الموقف ماعادش يحتمل !

ونظرت الى وجه جمال وهو يكلمنى ، وعرفت انه يتحتم فعلا الخلاص من فاروق بأية صورة اليوم ـ الجمعة ـ أو غدا .. ان جمال لا يلقى الكلام جزافا .. فهو لا يقرر أمرا الا اذا عرف أن لا منـاص منه حتى لا تحدث كارثة !

اليوم أو غدا .. لابد أن يطرد فاروق .. فقـد كانت المشاكل قد بدأت تطل علينا فى اليومين الماضيين .. والموقف لا يحتمل وجودها !

كانت مشاكل تهدد وحدتنا وتماسكنا .. ونحن لم نخلقها .. بل خلقها واحد لم نكن نتوقع على الاطلاق أن يظهر بيننا فى اليومين المذكورين .. انه رشاد مهنا ! ..

زوبعة على أبواب القيادة !

كان رشاد فى العريش كما سبق أن ذكرت ذلك فى حينه .. وكان قد رفض أن يتولى قيادة لواء العريش عندما طلب منه ذلك جمال سالم .. وتخلى عنا أيضا كعادته حتى بعد أن عرف الحقيقة كلها .. بعد ان عرف ان

الضباط الأحرار قد سيطروا على الجيش تماما .. فى ليلة الثورة الأولى : وبعد أن وصلت الى العريش اشارة النجاح !

وعندما عرف ان الضباط الأحرار نجحوا تماما وانه سوف لايكون له مكان على الاطلاق بينهم ، وخاصة وان جمال سالم كلف صلاح حتاتة بقيادة لواء العريش .. أقول بعد أن عرف رشاد ان الثورة نجحت بدونه ، جاء الى القاهرة بلا اذن وتوجه من فوره الى سلاح المدفعية ــ وقد كان تابعا له ــ وكان ضباط السلاح لايعرفون شيئا عن موقفه ليلة الثورة .. كانوا لايعلمون انه رفض التعاون ورفض أن يشترك فى العملية .. وظن ضباط السلاح ان رشاد مهنا هو أحد أقطاب الثورة .. وربما ظنوا انه هو الذى قاد لواء العريش وسيطر عليه !

لهذا قابلوه بالهتاف ورحبوا به وحملوه على الأعناق .. ثم أركبوه سيارة وتقدموا السيارة بالموتوسيكلات ، وجاءوا الى القيادة بالبطل !..

***

ورأينا موكب رشاد مهنا يدخل من باب القيادة .. وأمامه راكبو الموتوسيكلات .. وكانت مفاجأة .. شعرنا على الفور أن زوبعة على الأبواب !

وكنا لا نستطيع أن نقول لضباط المدفعية ان هذا الرجل ليس واحدا منكم .. لم يشترك معكم فى عمل .. انه رفض أن يعاونكم ..

كان الموقف ــ اذن ــ حرجا للغاية ولا يحتمل أية خلافات .. فالملك لايزال فى البلاد ..

تلك كانت احدى المشاكل التى أطلت علينا فى اليومين الماضيين . وقررنا أن نلتزم الصمت حيالها لأن الموقف كما قلت كان لا يحتمل أية خلافات ، ومعركة فاروق على وشك أن تقع ..

أما المشكلة الثانية ، فقد كانت لا تقل خطورة عن مشكلة وجود رشاد مهنا .. اعنى مشكلة الخلافات .

الانجليز فى القاهرة

فقد كان هناك اناس فى البلد دفعهم الحرص الشديد ، وخوفهم الشديد فى يوم الثورة الأول ، وفى يومها الثانى ، الى أن يجيئوا الينا ليقولوا :

ـ فاروق اتصل بفايد .. انجليز فى طريقهم الى القاهرة ..

وأقوال أخرى كان مصدرها الرعب والفزع مما سوف يقع ..

وكنا نعرف ان هؤلاء الناس جبناء تفزعهم المعارك ... كنا نعرف ان ما يقولونه ليس صحيحا .. الا اننا كنا قد قررنا ان نعد أنفسنا لكل الاحتمالات .. وأسوأها

لهذا كانت طائرات سلاح الطيران المصرى طوال أيام ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ يوليو دائمة الحركة والاستكشاف فوق المناطق التى يحتمل أن يزحف منها الانجليز على القاهرة .. اذا فكروا فى التدخل ..

وكانت تقارير سلاح الطيران تصل الينا فى مبنى القيادة ساعة بساعة ..

تلك كانت المشاكل التى رأينا ان وجود فاروق يوما أو يومين آخرين سيضاعفها

يا باشا .. قررنا عزل الملك !

وأعود الى الموضوع .. فبعد أن كلمنى جمال قبل مغادرتى القيادة الى الاسكندرية توجهت ومعى اللواء محمد نجيب الى المطار ، وانطلقت بنا الطائرة الى أرض العملية .. الى الاسكندرية ، وفى مطار النزهة وجدنا مندوب على ماهر فى انتظارنا

وحسب الاتفاق توجه اللواء نجيب الى القيادة فى مصطفى باشا ، وتوجهت أنا مع مندوب على ماهر الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى ..

وقضيت ساعة ونصف ساعة مع على ماهر .. سألنى عن القوات التى وصلت الاسكندرية مرة ثانية ، وكانت الحيرة بادية على وجهه ، ومضى يقول لى :

ـ الملك وافق على الطلبات كلها .. واستقالات أفراد الحاشية فى جيبى

اهه ..

وأخرجها من جيبه ليرينى اياها ، وتظاهرت بالاهتمام فتناولت منه الاستقالات لأقرأها ، ولفت نظرى توقيع الياس اندراوس على استقالته ، فقد وقع صاحبها عليها هكذا : «اليس اندراوس» ، وبخط ردىء للغاية ..

وهززت رأسى فى دهشة .. ان الياس اندراوس كان أحد الذين يحكموننا نحن الشعب .. كان محسوبا علينا كمصرى ، ويؤلف الوزارات ويسقطها .. وهو لايعرف كيف يكتب اسمه .. لايعرف لغة البلاد التى ينتمى اليها

وتنبهت على صوت على ماهر مرة أخرى وكان لايزال حائرا .. وسألنى مرة ثالثة عن حكاية القوات التى جاءت الى الاسكندرية

وفى هذه المرة اعتدلت فى مقعدى وبدأت أتحدث اليه فى الموضوع لأول مرة .. قلت له وكان يبدو ــ وقتئذ ــ مذهولا للغاية :

ــ بصراحة يا باشا القيادة قررت عزل الملك « اليوم »

لا خيار لك ، فالشعب مع الجيش !

وقبل أن يفيق على ماهر من ذهوله أردفت قائلا له :

ــ اللواء نجيب سيجىء اليك فى الساعة السابعة وهو يحمل انذارا موجها الى الملك من القيادة ، بتنازله عن العرش ومغادرة البلاد ، وعليه أن يتحمل النتائج فى حالة رفضه لهذا الانذار ..

ومضيت أقول لعلى ماهر :

ــ أنصحك ــ وأنت الذى ستتوجه بهذا الانذار ــ أن تؤكد للملك أن لا فائدة من المقاومة اطلاقا ، لأن الجيش والشعب سيسحقان أية مقاومة مهما كانت ، والأوامر التى صدرت قاطعة فى هذا الشأن ..

وكان على ماهر لايزال فى ذهوله الشديد .. فاقتربت منه قائلا :

ــ انت لا خيار لك فى هذا .. بل اننى أعتقد أنك مسئول عما أصاب البلاد الى حد ما ، لأنك أنت الذى نصبته ملكا على البلاد فى دقائق عام ١٩٣٦

وهنا لاحظت أن على ماهر تحمس قليلا .. فقال :

ــ أنا نصبته فعلا ملكا على البلاد .. لكننى لم أكن أتصور أبدا أن

يصل على يد مربيه أحمد حسنين الى ما وصل اليه اليوم .. انه هو الذى كتب بيده أفعاله ومصيره

ومضى على ماهر يقول لى :

ـ لعلك انت تعلم ، ويعلم الناس ، ان « فاروق » أبعدنى منذ احدى عشرة سنة بتأثير من مربيه أحمد حسنين والحاشية

وسكت على ماهر ثم عاد ينظر الى .. ربما ليتأكد من أن ما قلته له منذ لحظات هو الأمر الواقع .. وقمت لأؤكد له مرة ثانية ان لا خيار له فى الأمر فالشعب مع الجيش سيسحقان أية مقـاومة .. وعدت من بولكلى الى مصطفى باشا .. حيث كان نجيب هناك ، وكان معه أيضا زكريا محيى الدين ـ مدير العمليات ـ وجمال سالم وحسين الشافعى

وأخبرتهم ان على ماهر مستعد لتلقى الانذار فى الساعة السابعة من هذا المساء

زكريا محيى الدين يفاجئنا !

كان زكريا محيى الدين فى تلك اللحظة منتحيا فى ركن من الحجرة وأمامه خريطة لمدينة الاسكندرية ، ثبّت فوقها دبابيس عديدة . وفى كل دقيقة يدخل أحد الضباط الحجرة ليتلقى أمرا ثم يخرج.. وزكريا كأنه غير موجود فى الحجرة .. لا يتحدث الينـا ولا يلتفت الى أحـد .. كان منهمكا فى « البحلقة » فى الخريطة ، وفى تثبيت الدبابيس على أماكن متعددة فيها .. فقد كان مديرا للعملية ..

وكتبنا صيغة الانذار ، ثم اتصلنا بجمال عبد الناصر فى القاهرة وأخبرناه بما تم حتى اللحظة بعد مقابلتى لعلى ماهر .. ثم قرأنا له صـيغة الانذار الذى سيوجه الى الملك فأقرّها ..

ثم اتجهنا بعد ذلك الى زكريا محيى الدين فى الركن الذى انتحى فيه بعيدا عنا فى الحجرة .. وسألناه متى تكون قواته جاهزة فى أماكنها المحددة لها حسب الخطة ، لكى نسلم الانذار ثم تبدأ عملية طرد فاروق ..

وفوجئنا بزكريا يقول فى هدوء :

ـ العملية لايمكن أن تتم الليلة ..

وذهلنا .. وسألناه فى صوت واحد :

ـ لماذا ؟ ! ..

ثم بدأنا تتناقش .. وارتفعت أصواتنا لتنفذ من الجدران

رصاصة رأس التين

كانت مفاجأة لم نتوقعهـا .. فزكريا محيى الدين أصر على رأيه وظـل متمسكا بذلك الرأى ووجهه يبـدو هادئا للغاية ، ونحن من حوله تكاد أصواتنا تبلغ حد الصراخ

فبعد أن انتهينا من وضع صيغة الانذار الذى سيوجه باسم القيادة الى الملك ، اتجهنا الى زكريا نسأله متى تكون قواته جاهزة ؟ ..

وبهدوء تام أجاب :

ـ العملية لايمكن أن تتم الليلة ! ..

تلك كانت مفاجأة زكريا محيى الدين لنا فى ذلك اليوم .. ٢٥ يوليو

فهو كان مديرا للعمليات ، وهو الذى كان مسئولا عن تحركات القوات فى الاسكندرية أثناء قيامها بعملية طرد فاروق

وقال لنا زكريا ان القوات لم تنل قسطها من الراحة ، وبعضها وصل الى المدينة متأخرا ، وهو لايستطيع أن يخوض معركة بجنود متعبين ، وقال ان القوات بعد أن تستريح وتنال وجبة ساخنة ، يمكن أن تبدأ المعركة على النور ! ..

وقلنا له ان مسألة التعب والارهاق هذه لايصح أن نسلم بها ، لأننـا جميعا لم ننل أى قسط من الراحة طوال ثلاث ليال ، ولا نزال نقف على أقدامنا متحفزين لخوض هذه المعركة ، وغيرها ! ..

وبهدوء أيضا أجاب زكريا :

ـ ما ليش دعوة بيكم .. لكن قواتى لابد أن تستريح ، وكل شىء حيكون جاهز بكرة الساعة الثامنة صباحا

ولم يفلح أحد منا فى اقناع زكريا ، لكى يبدأ فى تنفيــذ العملية اليوم (٢٥ يوليو)

وسلمنا الأمر لله ... ثم اضطررت الى الاتصال بعلى ماهر فى بولكلى لكى أخبره ان موعد الساعة السابعة مساء ، قد تأجل الى التاسعة من صباح اليوم التالى

وذلك الموعد كنا قد حددناه لعلى ماهر لكى نقابله فيه ونسلمه الانذار التاريخى الموجه الى الملك فاروق من القيادة بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد ..

اعدام فاروق

وقضينا ساعات الليل فى مناقشات عنيفة ..

ان جمال سالم يصر على ألا يخرج الملك حيا من البلاد ، انه يرى محاكمته جزاء ما اقترف من جرائم فى حق الشعب ، وهى جرائم يستحق من أجلها الاعدام ..

وظل جمال سالم مصرا على رأيه هذا ، وكنت قد قلت رأيى فى الموضوع وهو ان محاكمة فاروق سوف تستغرق وقتا ، ونحن نريد التخلص منه فى أقرب وقت ، اليوم أو غدا ، ويكفى أن يخرج من مصر ثم تطوى صفحته ، ولا حاجة الى أن نبقيه فى البلاد الى أن يعدم ، فالأحداث يمكن أن تفاجئنا وتأخذنا على غرة ! ..

وظلت المناقشة دائرة بيننا فى القيادة بمصطفى باشا تلك الليلة حتى بلغت الساعة الثانية صباحا ، وهنا قررنا عرض موضوع ــ مصير فاروق ــ على الزملاء بقية أعضاء القيادة فى القاهرة

فالهيئة التأسيسية للضباط الأحرار يمكنها أن تجرى عملية اقتراع حول المسألة .. وسواء صوّتت أعضاؤها ضــد اقتراح جمال سالم أو أيدوه فالمسألة حينئذ تصبح أمرا واقعا ..

واستقل جمال سالم طائرة فى تلك الساعة وطار بها الى القاهرة ، ليأخذ

الأصوات حول مصير فاروق .. ثم عاد الينا فى الساعة السابعة من الصباح ومعه رأى بقية الزملاء

وكانت الأصـــوات التى اشتركت فى حسم ذلك الخلاف هى : تسعة أصوات فقط .. وهم أعضاء الهيئة التأسيسية ، واللواء محمد نجيب لم يكن عضوا فى الهيئة ، فلم يكن له صوت فى عملية الاقتراع

وقد رجح الزملاء كفة الرأى القـــائل باخراج فاروق من البـــلاد دون محاكمة .. لأن المسألة ــ كما قلت ــ كانت تحتم الخلاص منه فى ساعات قبل أن تحدث مفاجآت !

وقد علمت من جمال سالم بعد عودته من القاهرة ان جمال عبد الناصر اتصل بعزيزالمصرى فجر ذلك اليوم ــ ٢٦ يوليوــ وأخذ رأيه فىالموضوع

مستشار السفارة الامريكية يسال ؟ !

وفى الساعة السادسة من صباح ــ ٢٦ يوليو ــ كان زكريا محيى الدين يرأس مؤتمرا من ضباط جميع القوات الموجودة فى الاسكندرية ، وشرح لهم واجباتهم ثم أصدر اليهم الأوامر النهائية

وبعد نصف ساعة تحركت القوات ، ثم احتلت مراكزها قبـــل الثامنة صباحا ..

وفى الساعة التاسعة توجهت مع اللواء نجيب الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى لتسليم على ماهر الانذار الموجه الى الملك .. وقبل أن نصل الى مكتب رئيس الوزراء قابلنا مستشار السفارة الأمريكية فى الردهة ، وكان المستشار الأمريكى فى حالة يرثى لها .. كان يرتعش ، وكان قد فقد السيطرة على أعصابه تماما .. وقال موجها حديثه الينا :

ــ أنا قادم الآن من رأس التين ، ان هناك معركة .. وأردف المستشار الأمريكى قائلا وهو يرتعش :

ــ ما سبب هذا ؟ .. ان الملك فيما نعلم قد أجاب كل طلبات الجيش ، وأريد تفسيرا لهذا الذى يحدث الآن عند رأس التين ، ويهمنى أن أطلب باسم « واشنطن » ما يفيد تأكيد سلامة فاروق الشخصية

وصمت المستشار الأمريكى ، ثم نظر الينا فى حيرة ..

وقال له اللواء نجيب :

ــ اننا قادمون الآن للتفاهم مع رئيس الوزراء فى هذا الموضوع

وتركنا مستشار السفارة الأمريكية لندخل مكتب على ماهر

على ماهر ظن أن الجيش تراجع

وبعد أن صافحنا رئيس الوزراء ، مددت يدى فى جيبى وبحركة مسرحية آخرجت « الانذار » من حافظتى وقدمته الى اللواء نجيب ، فسلمه هو بدوره لعلى ماهر .. وكان الانذار من صورتين ، وقّع على ماهر على احداهما بتسلم الصورة الأصلية

ورأيت على ماهر يلتفت وفى عينيه تساؤل واضح ، ولم يكن قد بدأ يقرأ الانـذار ، وفهمت فى الحال انه يريد أن يعرف ان كان هـذا هو « الانذار » الذى حدد مصير فاروق ! ؟

ويبدو أن على ماهر كان قد اعتقد اننا تراجعنا عن مسألة طرد فاروق ، وخاصة بعد أن تأجل ميعاد مقابلتنا له من السابعة مساء الى اليوم التالى !

وقد أومأت برأسى لعلى ماهر وكأنى أقول له : نعم .. هذا هو الانذار بعينه ! ..

وبدأ على ماهر يقرأ الانذار ، ثم التفت الينـا قائلا بعد أن انتهى من قراءته :

ــ هذا هو ما يستحقه ، فكثيرا ما نصحته ولم يستمع أبدا الى نصحى

وغادرنا مكتب على ماهر .. وخرج هو معنا فى تلك اللحظة ليتوجه الى الملك ويسلمه الانذار

وكان الملك قد استدعاه فى صباح ذلك اليوم ، وقبل أن نقابله ، وذلك عندما شعر بالقوات وهى تقيم حصارا حول سراى رأس التين

وقبل أن يستقل على ماهر السيارة لتتجه به الى رأس التين قلت له وأنا أهمس فى أذنه :

ـ ان كنت ترى انك فى حاجة الى حضورى معك فأنا مستعد

ولكنه قال : « لا داعى لذلك فى هذه الخطوة »

ومضت به السيارة الى الملك .. ليسلمه انذارا من القيادة يقضى بأن يتنازل عن عرشه فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا ، ويغادر البلاد فى السادسة من مساء نفس اليوم ، والا ! ..

المدافع لهدم رأس التين

وكانت القوات التى تقرر اشتراكها فى عملية طرد فاروق قد أقامت حصارا على سراى رأس التين وسراى المنتزه ، وفى نفس اللحظة كانت هناك قوات فى القاهرة تحاصر قصرى عابدين والقبة

وحول سراى رأس التين ، حيث كان الملك هناك ، كانت القوات المحاصرة تتكون من مشاة وعربات مصفحة ومدفعية . وقد احتلت المدفعية منذ الصباح الباكر موقعا يتحكم فى سراى رأس التين ، بحيث يمكن هدمها اذا ما استدعى الأمر ذلك ..

المعركة التى حطمت الملك

وكان على قوات المشاة أن تتقدم لحصار السراى ، غير أن الأوامر التى صدرت لقائد تلك القوات كانت تقضى بعدم الاشتباك مع قوات حرس السراى الا بأمر من القيادة

وأثناء تقدم تلك القوات لاتمام الحصار خارج الأسوار حدث أن صعدت قوات الحرس الى الأبراج فوق تلك الأسوار ، وراحت تنصب عليها مدافع « الماكينة » لاعتقادهم ان القوات المتقدمة ستهاجم السراى فى الحال ، وواجبهم يقضى بالدفاع عنها .. فهم كانوا لايعملون شيئا

وتنبه قائد القوات المتقدمة لحصار السراى ، وكان قد تعدى نطاق الحصار المعين له فى « العملية » .. ورأى قائد القوة المدافع والحرس ينصبها فوق الأبراج ، فنادى جنود الحرس وهو يأمرهم بالانسحاب .. وكانت تبدو على وجوه جنود الحرس الحيرة الشديدة ، كانوا ينصبون

المدافع فوق الأبراج وهم ينظرون الى اخوانهم جنود المشاة ، وهم خارج الأسوار ، وكانت تلك النظرات فيها أبلغ آيات القلق والاضطراب .. فهم لا يستطيعون أن يفتحوا مدافع الماكينة على اخوانهم هؤلاء ... وفى نفس الوقت واجبهم يحتم عليهم الدفاع عن السراى ، لأنه لا توجد أوامر جديدة قد وصلتهم ، حتى كان يمكنهم أن يتخذوا موقفا مختلفا

وفى هـذه اللحظة وبعد أن نادى قائد القوة جنـود الحرس يأمرهم بالانسحاب خرجت رصاصة ــ طائشة ــ من مدفع كان أحد الجنود ينصبه فوق البرج .. ويبدو أن الرصاصة خرجت خطأ من شدة ارتباك الجندى ، وفى الحال لم تجد قواتنـا بدا من اسكات المـدفع الذى انطلقت منـه الرصاصة ، ولا أحد كان يعلم ساعتها ان تلك الرصاصـة خرجت خطـأ وفتحت النيران على البرج الذى انطلقت منه الرصاصة ، وفعلا سكت المدفع بعد أن أصيب سبعة من جنود الحرس ولم يصب أحد من القوات التى حول الأسوار

تلك كانت المعركة التى أفزعت مستشار السفارة الأمريكية ، ولم تفزعه هو وحده بل وجعلت فاروق يفقد أعصابه ويتهاوى كالحطام ..

فاروق يستنجد بالسفير الامريكى !

ويقول على ماهر ان تلك المعركة الصغيرة كان لها وقع الصاعقة على فاروق والحاشية ، فما كادت الطلقات تتتابع حول السراى حتى اعتقد فاروق انه ميت لا محالة .. ولم يتمالك نفسه فأصيب بحالة ــ هيستيريا ــ وأسرع يطلب على ماهر فى فندق سان ستفانو .. فلما وجده لم يستيقظ بعد ، ظل يصرخ فى التليفون طالبا من ادارة الفندق ايقاظه فى الحال.. وفعلا أستيقظ على ماهر وكلم الملك ، فسمعه يتحدث بصوت ضعيف مشوب بالذعر وهو يطلب حضوره

وفى نفس الوقت استنجد فاروق بالسفير الأمريكى ، وأرسل له السفير سكرتيره الخاص ، ثم بعد ذلك أرسل لنا مستشار السفارة

كانت معركة فاصلة .. ما فى ذلك شك بالرغم من بساطتها ، وهى ان دلت

نتائجها على شىء فانما تدل على انه لا توجد قوة مهما كانت يمكنها الصمود أمام تكتل الجيش والشعب

فما كادت تلك المعركة تنتهى بهذا الوضع الذى ذكرته حتى خرج من السراى اللواء عبد الله النجومى ومعه أربعة ضبـاط من الحرس ، وقالوا لقائد القوة المحاصرة انهم يريدون الذهاب الى القيادة فى مصطفى باشـا للتفاهم .. وجاءوا الى القيـادة فعلا .. وكانوا فى حالة عصبية مروعة ، فحجزناهم هناك .. لتستريح أعصابهم .. فهم كانوا لايعرفون شيئا ولا يعلمون ماذا فى الأفق !

فاروق طلب استثمار ثروته !

واتصل بنا على ماهر وقال لنا ان الملك قد خضع للانذار وطلب منا على ماهر أن نوافيه فى بولكلى ، لنشترك معه فى وضع صيغة وثيقة تنازل الملك عن العرش وأيضا لكى يعرض علينا طلبات الملك الأخيرة بشأن سفره

وتوجهنا الى بولكلى مرة أخرى ، محمد نجيب وجمال سالم وأنا .. ووجدنا سليمان حافظ جالسا مع على ماهر، ثم أرسل يستدعى السنهورى لاعداد صيغة التنازل ، وفى هذه الأثناء عرض علينا على ماهر طلبات الملك بشأن رحيله وهى :

* أن يسمح له بالسفر فى المحروسة ويتولى قيادتها جلال علوبة
* أن يجرد كل شىء فى السرايات الملكية ثم يضاف ما فى تلك السرايات الى ثروته ، وأن تجمع ثروته مع ثروة شقيقاته وتستثمر لحسابهم أو تقسم عليهم
* أن يسمح لهم باصطحاب بوللى وحلمى حسين ، وان لم يكن هـذا ممكنا فيسمح لبوللى فقط بالسفر معه

تلك كانت طلبات فاروق الثلاثة ، وقد وافقنا على الطلب الأول فقط ، ورفضنا باقى الطلبات بلا مناقشة

ولم يكن لفاروق خيار فى الأمر ، فقد كان ينفذ كل ما يطلب منه بلا

تردد ، بعد أن أصبح كل ما يأمل فيه هو أن يخرج حيا من هذه البلاد

كان قد اقتنع انه لا توجد قوة ــ مهما كانت ــ يمكنها أن تحميه من الجيش والشعب .. فتهاوى من تلقاء نفسه وبلا مقاومة ..

ارادة الشعب

وكتب السنهورى وسليمان حافظ صيغة التنازل ــ الأولى ــ وعرضت تلك الصيغة علينا ولكن جمال ســالم اعترض بشــدة .. فلم تكن الصيغة تتضمن السبب الأساسى الذى حتّم على فاروق أن يتنازل عن عرشه .. لم يكتب فيها نزولا على رغبة الشعب

وكتب جمال سالم الصيغة النهائية والتى وقع عليها الملك نزولا على رغبة الشعب

وأخذ سليمان حافظ « الوثيقة » وتوجه الى رأس التين ليوقع الملك المخلوع عليها

وخرجت أنا لأتوجه الى رئاسة البحرية المصرية ، كى أتفق هناك على خروج « المحروسة » لتحمل فاروق الى حيث يشاء ، وأيضا لكى أخلى سبيل أمير البحر جلال علوبة الذى كان ممنوعا من مغادرة مكتبه

وفى طريقى رأيت سليمان حافظ واقفا مع الضابط الذى كان يرأس قوة حصار رأس التين ، وكان الضابط قد منعه من دخول السراى ، وطلبت من الضابط أن يتركه وأن يرافقه الى الباب الخارجى للسراى وظل الضابط معه حتى فتحوا له الباب ..

وتوجهت أنا بعد ذلك الى رئاسة البحرية .. وهناك فوجئت بما لم يكن فى الحسبان ! ..

المحروسة وضباط البحرية والسواحل

تركت سليمان حافظ بعد أن فتحوا له باب سراى رأس التين ، وكان يحمل وثيقة تنازل فاروق عن العرش ليوقعها صاحب الجلالة ثم يرحل بعد ذلك عن البلاد

ثم توجهت الى رئاسة البحرية لأعطى تعليمات بخروج « المحروسة » لتحمل فاروق الى منفاه ، وأيضا لكى أخلى سبيل أمير البحر جلال علوبة الذى أراد فاروق أن يتولى هو قيادة المحروسة فى رحلتها

وكان أمير البحر المذكور ممنوعا من مغادرة مكتبه فى ذلك الوقت

وهناك فى رئاسة البحرية فوجئت ـ كما سبق أن قلت ـ بما لم يكن فى الحسبان ! ..

فما كدت أصل الى الرئاسة حتى جلست مع قائد البحرية وكان معنا رؤساء الفروع ، وأخبرتهم بقرار القيادة الذى يقضى بخروج المحروسة لتحمل فاروقا الى المنفى ... وما أن سمعوا ذلك منى حتى قالوا لى انهم يتوقعون نسف المحروسة أثناء خروجها الى عرض البحر !

***

وقبل أن أفيق من دهشتى مضوا يقولون لى : ان مراكب الأسطول المصرى كلها واقفة فى الميناء ـ الآن ـ وجميعها محملة بالذخائر ، وهم لايستبعدون أن تطلق احدى قطع الأسطول نيران مدافعها على المحروسة وهى ماضية بفاروق الى المنفى !

والواقع اننا كنا لا نعلم بالتحديد نوايا السلاح البحرى المصرى ، فتنظيم الضباط الأحرار بالرغم من نجاحه فى تكوين تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة لم يكن على علاقة ما بضباط البحرية

وكان جمال عبد الناصر قبل الثورة بأسبوعين، قد سافر الى الاسكندرية فى اجازة ، وهى لم تكن اجازة للراحة ، بل سافر الى الاسكندرية خصيصا لكى يتصل بضباط البحرية ، ولكى يخلق صلة بين بعضهم وباقى القوات المسلحة تمهيدا للقيام بالثورة

وكانت مهمة صعبة الى حد كبير ... فجميع اخواننا الضباط الذين ارتبطوا بالتنظيم فى جميع أسلحة الجيش كان من السهل خلق الصلة بيننا وبينهم سواء كانوا فى الطيران أو فى باقى الوحدات ، لأننا جميعا ـ كنا زملاء فى كلية واحدة .. هى الكلية الحربية

وأما بالنسبة لضباط البحرية فان كليتهم لم توجد الا بعد أن انتهينا من دراستنا وتخرجنا ، فلم نكن نعرف أحدا من هؤلاء الضباط المعرفة التى تجعلنا نفاتحهم فى مثل هذه الأمور !

وكنت قد قلت من قبل ان ثورتنا هذه كان الأساس فى قيامها قائما على الصداقات وصلات الأخوة بين أعضاء التنظيم ... وقبيل أن توجد الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار ، كانت الصـــداقات بيننا هى الدافع القوى والأول الى التفاهم والاتفاق على عمل واحد ... ثم تحديد أهداف واحدة

فقد كان مجرد الحديث عن هـــذه الأهداف بين الأفراد جريمة كبرى وخيانة يعاقب صاحبها عقابا صارما

ومن أجل هذا كنا نحن ــ الأصـــدقاء ــ نتبادل الحديث حول ذلك العمل وتلك الأهداف دون أن نخشى افتضاح أمرنا ، ومن أجل هذا أيضا ظل الضباط الأحرار يعدون خطتهم ومشروعاتهم طوال عشر سنوات ، ولم يعرف أحد سرهم !

وأعود بك الى موضوع البحرية فأقول ان جمالا ظل فى الاسكندرية أياما قليلة وهو يحاول عمل حلقة اتصال مع ضباطها ... وبينما هو فى محاولته اذ طلب اليه أعضاء الهيئة التأسيسية العودة فورا الى القاهرة ... لأنه ــ كما قلت من قبل ــ قد وصل الى علمنا ان الملك ينوى البطش بالضباط الأحرار بعد أن عرف أشخاصهم !

وترك جمال الاسكندرية قبل أن يتمكن من ايجاد الصلة بيننا وبين ضباط البحرية

المفاجأة الثانية

تذكرت كل هذا وأنا جالس مع قائد البحرية ورؤساء الفروع فى رئاستهم ، ولهذا كانت دهشتى كبيرة عندما قالوا لى : ان مراكب الأسطول الراسية فى الميناء ربما أطلقت مدافعها على المحروسة وهى تحمل الملك المخلوع الى منفاه ، وتناقشنا طويلا حول هذه المشكلة ، وقلت لهم : ان القيادة ارتبطت بوعد ، ولا بد من أن ينفذ وعد القيادة ، لا بد أن تخرج المحروسة سليمة

الى عرض البحر بمن عليها

واستقر رأينا ــ كوسيلة لمنع ضرب المحروسة بالمدافع ــ أن نوزع أنفسنا على مراكب الأسطول .. أنا وقائد المحروسة ورؤساء الفروع ، كل واحد منا يصعد على ظهر مركب من مراكب أسطولنا فى الميناء ، على أن يكون كل واحد منا مسئولا عن منع ضباط البحرية من نسف المحروسة !

وجاءوا بأحد اللنشات ليحملنا الى مراكب الأسطول الراسية فى الميناء .. وبينما كنت متأهبا للنزول الى اللنش اذ دق جرس التليفون فى غرفة قائد البحرية ، وقالوا لى ان القيادة تطلبنى

كان زكريا محيى الدين ــ مدير العمليات ــ هو الذى يتكلم .. قال لى انه نمى الى علمه ان ضباط مدفعية السواحل قرروا ضرب المحروسة بالمدافع الساحلية الضخمة أثناء سفرها بالملك المخلوع ، وهم لن يسمحوا لها بالخروج من الميناء !

وطلب منى زكريا محيى الدين أن أتصل بهم وأعمل الترتيب اللازم حتى ينفذ وعد القيادة !

***

وكانت مفاجأة ثانية فى ذلك اليوم

فضباط الأسطول قد استطعنا أن نجد طريقة لمنعهم من نسف المحروسة.. فماذا نصنع لنمنع ضباط السواحل من اطلاق مدافعهم الضخمة الرهيبة ؟ !

ولم أجد بدا من الاتصال تليفونيا بمندوب الضباط الأحرار فى مدفعية السواحل .. وشرحت للضابط الموقف ثم طلبت منه أن يتوجه بنفسه الى جميع مواقع المدفعية الساحلية لكى يشرح للضباط الوضع بالتفصيل ، ويقول لهم ان القيادة ارتبطت بكلمتها .. ولابد أن يخرج الملك المخلوع سليما من البلاد

وانتظرت بجوار التليفون ، ولم يلبث مندوب الضباط الأحرار أن اتصل بى ليخبرنى ان كل شىء على ما يرام .. فقد استطاع اقناع ضباط مدفعية السواحل بعدم نسف المحروسة !

وبقى اقناع جلال علوبة بالسفر مع فاروق ، فهو كان قد رفض السفر عندما أخبرته بأمر القيادة أثناء وجودى فى رئاسة البحرية ، لأنه خاف أن لايسمح له بالعودة الى مصر بعد توصيــل فاروق ، لكننى أخــذته الى القيادة .. وهناك أقنعناه بأن عقليتنا لايمكن أن تصل الى هذا الحد .. فهو مصرى ومكلف بمأمورية ، وبالرغم من صداقته لفاروق فنحن لايمكن أن نمنعه من العودة الى بلده !

وبعد ذلك ركبنا اللنشات واتجهنا الى مراكب الأسطول لنمنع ضباطه من نسف المحروسة !

فاروق فى اللحظات الاخيرة

وكان من نصيبى الطراد « فاروق » وهو أكبر قطعة من أسطولنا

ومن العجيب انه كان يقف تجاه المحروسة تماما !

ووقفت على ظهر الطراد وبدأت أنظر الى رأس التين بالمنظار البحرى المكبر

واقتربت الساعة من السادسة .. وكنت لا أزال أتجه ببصرى نحو رأس التين .. وكنت أرى اللنشات وهى تتجه الى المحروسة ثم تعود ثم تجىء اليهــا مرة ثانيــة ، وعلمت انهم يحملونها بالمؤن وبمتاع الملك المخلوع استعدادا للرحيل

وفى الساعة السادسة تماما نظرت من المنظار المكبر فرأيت علم فاروق فوق السارية أمام رأس التين وقد أنزل ... ثم رأيتهم ... رأيت فاروقا ومن حوله المودعون من نساء ورجال ، ولم أميزهم جيدا بالمنظار ، وان كنت عرفت فيما بعد انه كان من بين هؤلاء المودعين على ماهر والسفير الأمريكى وشقيقته فوزية

فاروق يشتم الصحفيين

وظللت فى مكانى فوق الطراد « فاروق » أحملق فى المنظــار المكبر وأشهد أمامى نهاية ملك .. بل نهاية نظام

ورأيت فاروقا بجسمه الضخم يستقل اللنش الى المحروسة ، وكان يرتدى بذلة بحرية بيضاء ويقف على مقدمة اللنش .. وخيل الى انه يريد أن يبدو شجاعا فى لحظاته الأخيرة ، وهو يغادر أرض الثورة

وكانت اللنشات تروح وتجىء فى الميناء منذ الصباح حتى ساعة الرحيل، وتقترب تلك اللنشات من رأس التين ثم تدور حول المحروسة .. فكل الناس يريدون مشاهدة الفصل الأخير من رواية « فاروق الأول » .. بعد أن شهدوا كل فصول الرواية وضاقوا بها

وكانت ناريمان وبنات فاروق قد وصلن الى المحروسة قبل الساعة السادسة

وقبل أن يمر اللنش الذى يحمل الملك المخلوع أمام الطراد الذى كنت فوقه سمعت طلقات رصاص .. وبحلقت فى المنظار وقد انتابنى شعور بالفزع .. خيل الى أن أحدا أطلق الرصاص على فاروق .. وبهذا تكون القيادة قد أخلفت وعدها

***

ثم عرفت ـ فى الحال ـ ان أحد اللنشات اقترب من « لنش » الملك المخلوع وكان فيه صحفيون مصريون جاءوا ليلتقطوا صورا لفاروق ساعة رحيله عن مصر ... وما كاد فاروق يراهم وهم يقتربون منه حتى « تهيج » وصرخ بصوت عال وسبهم بشتائم مقذعة ، فما كان من حرس خفر السواحل الذين كانوا فى « لنش » يسير بهم محاذيا للنش فاروق الا أن أطلقوا النار للارهاب ... وانطلق لنش الصحفيين بعيدا

ووصل فاروق الى المحروسة ، ورأيته يصعد درجات السلم ثم يقف بعد ذلك فى الممشى فوق ظهر اليخت ، وكأنه ينتظر وصول أحد

وبعد فترة قصيرة جدا جاء لنش آخر يحمل نجيب ، وجمال سالم ، وحسين الشافعى .. وكان من المفروض أن يودعوا فاروقا من « مرسى » سراى رأس التين قبل رحيله لكنهم تأخروا .. واقتربت الساعة من السادسة فاستقل فاروق اللنش على الفور كما ينص الانذار الذى تلقاه

وجاء محمد نجيب ، وجمـال سالم ، وحسين الشـافعى الى المحروسة لتوديعه ، ورأيتهم يقفون مع فاروق ، وظللت أبحلق فيهم بمنظارى لكنى لم أكن أسمع حديثهم ... ثم ما لبثوا أن غادروا المحروسة

كان أمر القيادة يقضى بأن يؤدى الطراد « فاروق » آخر تحية للملك المخلوع والمحروسة فى طريقها الى المنفى ، وطلبت من قائد الطراد أن يؤدى تلك التحية .. فبدأت المدافع تنطلق .. وأطلقوا واحدا وعشرين مدفعا ، وكانت المحروسة خلال الطلقات تنسحب الى الخلف لكى تغادر «البوغاز» ثم تمضى بعد ذلك بعيدا عن أرض الثورة

نمت على باب القيادة

وظللت أتابع « المحروسة » بالمنظار الى أن غابت عن عينى ، وهنا تلفت حولى لأجد ضباط الطراد يحيطون بى وعلى وجوههم الفرحة الطاغية .. وفى هذه اللحظة فقط وبعد أن انتهت « العملية » شعرت بالتعب يطبق على كل جزء فى جسمى ... وترنحت وكدت أسقط فوق ظهر الطراد ... فمنـذ ٢٣ يوليو حتى ذلك المساء لم أنم ولم أسترح .. ولم أطمئن

وكنت قبل رحيـل المحروسـة لا أشعر بتعب ولا بارهاق .. وفجأة أصبحت لا أستطيع جر قدمى ، حتى عندما أردت مغادرة الطراد لأعود الى القيادة فى مصطفى باشا لم أستطع النزول من فوق السلم .. فأمسك بى ضباط الطراد وساعدونى حتى وصلت الى اللنش

ووصلت الى مصطفى باشا ، وكنت لا أزال أترنح .. ثم دخلت من باب القيادة أجر قدمى جرا كأنى مصاب بعشرات اللكمات والضربات ، ورأيت الى جوار الباب حجرة الضابط النوبتجى ... ولم يكن فيها أحد ... وبلا تفكير اتجهت اليها ، وبحذائى وبثيابى المبللة بالعرق والتراب تمددت فوق الأرض لأستغرق فى نوم لم أذق أعمق منه أبدا

مشكلة البنات والحيوانات

واستيقظت من نومى فى صبـاح اليوم التالى .. ووجدت نفسى أغادر القيادة فى مصطفى باشا وأتوجه الى محل ألبان كنت أتردد عليه فى وقت

ما أثناء هربي من البوليس ... وتناولت طعام الافطار ثم عدت الى القيادة ..
وعلمت ان جمال عبد الناصر اتصل بنا فى المساء وطلب منا أن نعود اليوم الى القاهرة

وقد توجهت مع اللواء محمد نجيب الى مستشفى الحرس ، حيث زرنا الجنود السبعة الذين أصيبوا فى معركة رأس التين .. وصرفنا لهم مكافآت

وأثناء وجودنا فى المستشفى ، جاء اللواء عبد الله النجومى .. وكان معينا من قبل القيادة لتصفية السرايات الملكية وتسليمها للحكومة

وخيل الى ان النجومى فى ورطة .. وفعلا بدأ يتحدث عن ورطته .. قال انه يوجد فى سراى المنتزه واحدة وعشرون فتاة من مختلف الجنسيات وهن كن يعملن وصيفات ، وسألنا النجومى ماذا يصنع بهن الآن ؟

ثم بدأ يتحدث عن مشكلة ثانية استعصت عليه وهى أن الحيوانات والغزلان والطيور الموجودة فى السرايات مطلوب لها طعام ! ..

وطلب النجومى منا أن نحل المشكلتين، وحللنا مشكلة البنات الوصيفات باخراجهن من البلاد .. فترحل كل واحدة الى بلدها

أما مشكلة الحيوانات والغزلان فقد حلت بأن قلنا للنجومى انها — أى الحيوانات — يمكن أن تأكل طعامها العادى الذى كان يؤتى لها به .. الى أن تتسلمها الحكومة

وعدنا الى القيادة بعد ذلك لنستعد للسفر الى القاهرة

وفى القيادة كانت تنتظرنا مفاجأة أخرى ..

اول اجتماع للقيادة

كانت تنتظرنا مفاجأة فى القيادة بمصطفى باشا .. وقد استبدت بنا الدهشة عندما دخل رشاد مهنا علينا فى ذلك اليوم بعد رحيل فاروق !

وكنا — أو كنت أنا بالذات — لا أتوقع تلك المفاجأة اطلاقا ..

ماذا يريد هذا الرجل ؟ .. وما الذى جاء به أيضا فى الاسكندرية ؟

لا أحد كان يدرى .. فذلك الرجل لم يفهمه أحد تماما ، ولم يعرف أصدقاؤه ، أو أعداؤه أهدافه الحقيقية ..

هل يريد أن يثير زوبعة هنا .. مثل تلك التى أثارها فى مبنى القيـادة بكوبرى القبة .. ! ؟ عندما جاء من العريش بدون اذن الى القاهرة ، وكان ضباط المدفعية لايعلمون موقفه من الثورة ، ورفضه الاشتراك فى العملية عندما بدأت ، بل بعد أن نجحت صباح ٢٣ يوليو ، ظل يرفض التعاون .. ثم فوجىء بأننا نجحنا نهائيا وأصبحنا فعلا نسيطر على الجيش وعلى البلد.. فأسرع الى القاهرة وهو مذهول لايكاد يصدق ان الثورة نجحت بدونه !

ويومها ــ كما قلت ــ ظنه ضباط المدفعية أحد أقطاب الثورة فأحاطوا به هاتفين ، ثم جاءوا به فى موكب هائل الى القيادة فى كوبرى القبة ، ولم نستطع أن نفسر لضباط المدفعية موقف رشاد مهنا . لم نقل لهم ان هـذا الرجل ليس من الثوار ، ليس واحدا منكم ، فالمسألة لم تكن تحتمل ، فقد كان من الحماقة اثارة خلافات فى يوم الثورة الأول ..

***

تذكرت كل هـذا وأنا أبحلق فى وجه رشـاد مهنا عندما جاء الينا فى الاسكندرية يوم طرد الملك ، ووقف فى الحجرة تائها مضطربا

لقد شعرت عندما رأيته فى ذلك اليوم ان المتاعب فى طريقها الينا ان لم تكن قد جاءت فعلا !

ولم أتمالك مشاعرى ، كان لابد أن أحدد موقفى على الفور من ذلك الرجل ، الذى لم يحدد اطلاقا أهدافه أو معتقداته ، ولا يستطيع انسان أن يعتمد عليه

وزاد فى احساسى بالريبة منه ذلك الاضطراب البادى عليه
كانت عيناه تتدحرجان فى جميع الاتجاهات وهو يتحدث الينا ...

لقد علم ان العرش قد سقط ، ولم يشترك هو فى عملية اسقاطه . وعرف انه قد أصبح فى مصر مئات الأبطال، وقادة فتح لهم التاريخ كل أبوابه وهو ليس واحدا منهم ، فمكانه سيكون خلف تلك الأبواب

وها هو الآن أمامى فى تلك الحجرة بقيـادة مصطفى باشا ، انى أراه جيدا فى تلك الصورة .. الانسان الذى لم يعرف طريقه ، وبالرغم من جهله

بالطريق فهو يريد أن يصل سريعا ، وبأى ثمن !

وظللت أتأمل فى رشاد مهنا وهو فى جلسته المضطربة أمامى فى مصطفى باشا ..

وكما قلت لم أتمالك مشاعرى فاقتربت منه ثم أخذته من ذراعه الى ركن فى الحجرة .. وسألته :

ــ ايه يا رشاد ... مالك ! ؟

ونظر الى فى اضطراب أكثر .. فسألته فى هذه المرة بلهجة جافة الى حد ما ... قلت له :

ــ عايز ايه يا رشاد ... قول ، ايه اللى انت عايزه ... مالك كده ... مصطرب ليه ! ؟

وفوجئت به يبكى ..

ثم قال وهو لايزال يبكى :

ــ أنا مش عايز حاجة .. أنا جاى أبارك على الخطوات الموفقة دى ..

رشاد يطلب اخراجى مع جمال سالم

وقد تكلم رشاد مهنا يومها بصوت مهزوز ، وكان طوال حديثه زائغ البصر ..

ثم انشغلنا عنه بأمورنا .. وتركناه فى الحجرة تائها كما هو ، ومن حوله أربعة جدران ..

ولم أكن أدرى يومها ان حديثى الصريح معه سوف يفهمه على أساس انى عدو له ، حتى كان ذلك اليوم الذى ذهب فيه جمال عبد الناصر الى رشاد مهنا ، وكان رشاد وقتها قد أقيل من منصبه كوصى للعرش .. وأراد جمال كعادته دائما مع كل من تربطه بهم صلة ما .. صداقة كانت أم زمالة أو حتى مجرد تعارف عابر .. أقول أراد جمال أن يمد يده لرجل يعرفه ، لا لأنه صاحب نفوذ فهو كان قد أصبح لاشىء ولا لأنه فى حاجة اليه ، بل لأنه قد عرفه فى فترة ما ..

أراد جمال أن يمد يده لرشاد مهنا بعد خروجه من وصاية العرش فذهب

اليه وقال له : ان من الممكن الاستفادة بخدماته ، لهذا فهو يعرض عليه أن يكون سفيرا لمصر فى أية دولة يختارها ، وظن رشاد مهنا فى تلك اللحظة أن جمال عبد الناصر قد جاء اليه تائبا .. وانه ــ أى جمال ــ فى حاجة شديدة الى معونته ، وان الثورة لم يعد يمكنها السير بدونه ... فقال لجمال ان له شرطا أساسيا لقبول التعاون من جديد .. وهو أن يخرج جمال سالم وأنور السادات من القيادة ..

واضطر جمال عبد الناصر أمام هذه المفاجأة أن يوضح لرشاد مهنا فى هدوء المسألة كلها .. فقال له : انه لم يأت اليه لأنه فى حاجة الى التعاون معه ، بل لكى يساعده

وتكلم جمال معه بصراحة .. فاستعرض أمامه مواقفه من الثورة قبل قيامها وبعد أن قامت ، ثم بعد أن أصبح وزيرا ثم وصيا على العرش .. وخرج جمال من هذا كله بنتيجة واحدة أعلنها فى هدوء أمام رشاد مهنا .. وهى ان الوضع بالنسبة له أى ــ رشاد ــ هو انه خرج على الثورة ؛ اما بالنسبة للاثنين اللذين طلب ابعادهما عن القيادة فهو العكس تماما ..

***

ورفض رشاد بعد أن سمع رد جمال عبد الناصر .. أقول رفض الوظيفة

هذا ما عرفته بعد موقفى الصريح منه يوم طرد فاروق ، عندما فاجأنا بوجوده فى مصطفى باشا

ولنترك حديث رشاد مهنا ، فرشاد سوف نلتقى به كثيرا فى قصة ثورتنا..

وأعود الى الموضوع ..

كان علينا بعد أن رحل فاروق عن البلاد أن نعود فورا الى القاهرة ، بعد أن استدعانا جمال ليلة ٢٦ يوليو

وفى اليوم التالى ــ ٢٧ يوليو ــ كنا فى القاهرة ، وانعقد فى نفس اليوم أول اجتماع للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار بعد قيام الثورة ، والاجتماع كان يرأسه جمال عبد الناصر ، وكان جمال قد انتخب مرتين رئيسا للهيئة بالاجماع كما سبق أن قلت ..

ولم يحضر اللواء نجيب هذا الاجتماع لأنه لم يكن عضوا فى الهيئة

وعندما بدأ اجتماع الهيئة كان اللواء نجيب فى مكتبه ، ثم جاء الينا ، وعندما رآنا مجتمعين عاد ثانية الى مكتبه ..

استقالة جمال عبد الناصر

وفى هذا الاجتماع الأول للهيئة التأسيسية بعد الثورة وقف جمال عبد الناصر وتكلم فقال : انه يقدم استقالته من رئاسة الهيئة بعد أن انتهت أول مرحلة من كفاح الضباط الأحرار ، ثم توجت بالنصر ساعة أن طرد الملك .. ومضى جمال يقول : انه رأى حتما عليه أن يستقيل بعد انتهاء تلك المرحلة من كفاحنا لكى يعطى فرصة لأعضاء الهيئة فينتخبوا رئيسا جديدا يواجه الأحداث القادمة

وانتهى جمال من حديثه بأن أصر على تقديم الاستقالة ..

وقد رفضت استقالة جمال بالاجماع ، وطلب اليه الأعضاء أن يستمر فى عمله كرئيس للهيئة ، لكنه أصر على الاستقالة اصرارا تاما ..

واضطررنا الى اجراء انتخاب جديد ، وتمت عملية الانتخاب فى اقتراع سرى ــ كالعادة ــ ففاز جمال بالاجماع

موقف خالد محيى الدين

وبعد أن تمت عملية الانتخاب وبقى جمال رئيسا للهيئة ، وقف خالد محيى الدين وطلب الكلمة .. وتكلم فشرح موقفه

قال خالد : انه يطلب من زملائه تنحيته عن عضوية الهيئة التأسيسية لأنه يدين بمبدأ معين ، ولهذا فهو يخشى لو بقى فى الهيئة التأسيسية أن يصطدم معنا من أجل المبدأ الذى يدين به ..

ومضى خالد يقول : انه رأى منعا لأى خلاف أن يعرض علينا تعيينه فى السلك السياسى ، فيسافر الى الخارج

وقد دارت مناقشة طويلة بين الزملاء وبين خالد ، وكانت مناقشة عاطفية للغـاية ، ثم انتهت برفض انسحاب خالد محيى الدين من الهيئـة .. أى استمرار التعاون معه ..

اجتماعات فى الليل والنهار

وبعد ذلك توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية ، كنا نجتمع بصفة مستمرة ، فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، وتلك الاجتماعات المستمرة ليلا ونهارا كانت من أخطر اجتماعاتنا .. فهى اجتماعات كنا نعد فيها خطط المعارك القادمة التى لا مفر منها بعد أن أصبحنا نحن على المسرح ، وبعد أن خرجنا من تحت الأرض ومن نطاق الاجتماعات السرية ، والكفاح فى الخفاء ، الى الكفاح فى العلن مع الشعب جنبا الى جنب .. وبلا فاروق ..

والعالم كله كان لايدرى شيئا عن أهدافنا بالتحديد .. والشعب أيضا .. لم يكن أحد يعرف ماذا بعد فاروق ..

هل يبقى النظام كما هو ، وتظل مصر تحكم بتاج أسرة محمد على ، وصاحب الجلالة أحمد فؤاد الثانى — الطفل — كان على عرش البلاد ! ؟

بل لم يكن أحد فى مصر أو فى خارج مصر يعرف من نحن ! ؟

وهذا الذى حدث قد تم على أيدى من ! ؟

عرف الناس — فقط — فى مصر وفى خارج مصر ان اللواء نجيب هو قائد عام القوات المسلحة ، وانه هو الذى سيصنع المستقبل ، لأنه هو الذى طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو !

وكنا نحن لا نريد على الاطلاق أن يعرف أحد فى مصر أوفى خارج مصر شيئا عن جمال عبد الناصر أو عبد الحكيم أو أى واحد منا .. لأننا قررنا أن نفنى جميعا فى شخص اللواء نجيب القائد والزعيم

وأردنا أن يرسخ فى أذهان الشعب وفى أذهان كل العالم ان نجيب هو صانع كل تلك الأحداث فى شهر يوليو !

الطريق نحو الديمقراطية

وقد يسألنى بعض الناس .. ولماذا اتخذتم هذا القرار ؟ ! ما دمتم قد حققتم أخطر مرحلة فى كفاحكم ، وطرد صاحب العرش عدو الملايين ، فلماذا لم تخرجوا الى الشعب بأشخاصكم وهو كان سيحملكم فوق رأسه مثلما حمل اللواء نجيب ! ؟

وأقول لهذا البعض اننا لم نكن نريد حكما .. لم نكن نريد أن نكون أعضاء فى حكومة مصر ، أو ساسة ضمن ساسة البـلاد .. بل كانت كل أهدافنا هى تغيير نظام الحكم ولا يعنينا أن يحملنا الشعب على رأسه أم لا، بل الذى يعنينا هو أن يتطور هذا الشعب بعد تحطيم كل قيوده !

أما الزعامة والمجد والنفوذ والسلطان فانها لم تكن من أهدافنا ، ومنذ اللحظة الأولى حددنا لأنفسنا الطريق ، فاللواء نجيب هو القائد والزعيم .. وهو كل شىء !

ونحن ـ كما سبق أن قلت ـ لسنا سوى جنـود فى الثورة نحميها ونمهد أمامها الطريق لكى يصل الشعب الى الحرية والعدالة الاجتماعية ، وباختصار لكى يحكم الشعب فى النهاية نفسه بنفسه !

ذلك كان موقفنا بعد طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو عام ١٩٥٢

وكان علينا أن نعمل فى الليل وفى النهار لكى نحقق النصر فى مراحـل الكفاح القادمة . وفى كل اجتماع للهيئة التأسيسية كنا نتناقش لا حول الأهداف ، فالأهداف مقررة ولا سبيل الى تغييرها ، بل حول وسـائل تحقيقها .. بعد أن أصبحنا نكافح جنبا الى جنب فى العلن مع الشعب فى سبيل أعظم هدف وأخطره بالنسبة لحياة ملايين المصريين .. فى سبيل القضاء على المستعمر !

فهو ـ أى المستعمر ـ باق لم يطرد مع فاروق .. والمعركة القـادمة ستكون حتما معه .. فليس هناك فى طريق الحرية والعدالة والديمقراطية أمام الشعب سواه ويجب أن يزول .. !

وكان الاسـتعمار فى تلك الأيام التاريخية من شهر يوليو قـد فوجىء باللطمة التى أصابته عندما طرد فاروق ..

وانى أذكر أول معركة كانت بيننا وبين ذلك المستعمر .. أذكر اليوم الذى طرد فيه فاروق وكيف جاء الينا سفير بريطانيـا بالنيـابة فى ذلك الوقت ليقابلنا فى القيادة بمصطفى باشا .. قبل أن نعود الى القاهرة

دخل علينا القائم بأعمال السفارة فى مصطفى باشا وكنا مجتمعين ، وكانت فى يده مذكرة مكتوبة على الآلة الكاتبــة .. وبدأ يتكلم تماما مثلما كان سفير الاستعمار يتكلم قبل احداث يوليو ..

وقال نائب السفير لنا وهو يقرأ فى « المذكرة » سالفة الذكر ان لديه طلبات !

ثم مضى يقرأ « المذكرة » محددا تلك الطلبات وكانت :

أولا : أن يعلن حظر التجول فى أنحاء مصر خوفا على أرواح الأجانب لأنه يخشى ــ على حد قوله ــ أن يفقد الشعب السيطرة على مشاعره من شدة الفرح فيعتدى ــ أى الشعب ــ على المحلات والمؤسسات !

ثانيا : أن لا تحدث أية ثغرة فى نظام الحكم بعد خروج فاروق من البلاد ، فيعين مجلس وصاية على وجه السرعة ..

ثالثا : أن تحفظ حقوق أسرة محمد على ، وبالتالى حماية النظام الملكى فى البلاد !

***

وما كاد ينتهى من قراءة مذكرته حتى فوجىء بجمال سالم وبى .. ونحن نتحداه ونسخر من طلباته ..

قلنا له : ما دخل بريطانيا فى مثل هذه الأمور ، وهى أمور داخلية بحتة تخص الشعب المصرى لا الانجليزى ، وقلنا له : انه ليس لبريطانيا أو لغيرها أن تتدخل فى مثل هذه المسائل لأن هذا الزمن الذى كان لبريطانيا وغيرها من الدول حق تقديم طلبات فيه ، قد انتهى ساعة أن تحركت «المحروسة» حاملة فاروقا الى منفاه ..

وكانت فرصة لنا لكى نلقى على ممثل بريطانيا أول درس بليغ عن الموقف فى مصر بعد فاروق .. !

وبعد أن ألقينا على نائب السفير الانجليزى ذلك الدرس رأيناه يتراجع بسرعة عن موقفه ، وقال على الفور وبلهجة ناعمة وعلى فمه ابتسامة وديعة :

ـ أرجو أن تعتبروا زيارتى هذه ودية ، وهى زيارة للصداقة وللنصح لاغير .. !

وطلب ـ رسميا ـ أن لا نعتبر ان هناك طلبات من بريطانيا ، وان حكومته لم تكلفه بهذه الزيارة على الاطلاق ، وهو قد فعلما فعل كصديق!

وقاطعناه قائلين :

ـ ولكنك كنت تقرأ من مذكرة فى يدك .. فما هى الحكاية ! ؟

ومد يده لنا بالمذكرة وكانت تحوى تلك الطلبات .. وقال وهو يحاول تفسير موقفه : انه فعلا كتب تلك المذكرة بنفسه لكى يتذكر ما سوف ينصحنا به كصديق

ولم يتركنا نائب السفير يومها الا بعد أن أكد لنا أكثر من مرة انه ماجاء الا كصديق ، وان المسألة ليست تبليغا رسميا من بريطانيا .. وقال انه يسحب كل ما قاله لنا ، وطلب منا أن ننسى ما حدث .. ثم خرج !

تلك كانت أول معركة بيننا وبين بريطانيا ، وحدثت يوم طرد الملك ..

وكانت زيارة القائم بأعمال السفارة ـ فى ذلك اليوم ـ قد سبقتها زيارات أخرى ومواكب أخرى عجيبة ، وكانت كلها مواكب نفاق .. بعد أن عرف الساسة الباشوات ان فاروقا قد رحل عن البلاد



الفصل الثامن

الثورة وزعماء الأحزاب

الموقف السياسى بعد طرد فاروق

ماذا كان عليه الموقف السياسى بالتحديد ، بعد رحيل فاروق ! ؟ هذا هو السؤال . .

انها كانت تجربة ضخمة فى تاريخ مصر السياسى

فى اليوم الأول للثورة ــ ٢٣ يوليو ــ وبعد أن سرت الفرحة فوق هذه الأرض ، ماذا فعل الساسة الباشوات ؟ !

هل فرحوا ... وأيدوا وثبة الجيش فى ذلك اليوم من شهر يوليو ؟

كان الموقف واضحا .. الجيش قام ليصفى الموقف مع جلادى الشعب ، والجيش يفرض ارادته على ملك البلاد .. ثم الجيش يطلب عزل ذلك الملك ! فهل وقفوا بجوار قيادة الجيش صانعة أحداث يوليو التاريخية ؟

وهم حينما كانوا زعماء للبلاد ، كانوا يطالبون بالاستقلال التام أو الموت الزؤام ، وينادون بالحرية والعــدالة والديمقراطيــة ، كلما أرادوا حكم الشعب .. ! ؟

الوفد والسعديون والدستوريون والاخوان .. وكل الهيئات السياسية فى هذا البلد ، هل أيدت موقف الجيش من الملك فى أيام ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ يوليو ، مثلما أيّد الشعب ذلك المواقف ! ؟

أم انهم كانوا لا يمثلون الشعب ، فموقفهم ــ اذن ــ يصبح مختلفا تماما عن موقفه ! ؟

لقد كانت أحداث تلك الأيام من يوليو تشير بوضوح الى ان الضربات بدأت توجه لأعداء الشعب ... لتصرعهم !

كان فرض ارادة الشعب على أسرة محمد على عملا ديمقراطيا ومن المحال وصفه بغير هذا .. فلماذا لم يقف زعماء البلاد الى جوار قيادة الجيش فى اللحظات الأولى للمعركة ، وهم الذين كانوا يطالبون بحقوق الشعب وهم فى مخادعهم ! ؟

هل كانوا يتوقعون أن يفشل الجيش فى طرد الملك ، وفى هـذه الحالة يصبح موقفهم اذا كانوا قد أيدوا الجيش عدائيا من أسرة محمد على ! ؟

وماذا عليهم لو كانوا قد وقفوا ذلك الموقف معنا ، والشعب كان يؤيدنا منذ الدقيقة الأولى .. أقول ماذا كان عليهم ـ وهم الزعماء الغيورون على مصالح الشعب ـ لو وقفوا وأيدوا الخطوة الأولى ، ولا أقول باقى الخطوات ! ؟

انى أقولها ويقولها التاريخ نفسه ، ان الزعماء جميعا كانوا يستهدفون فى تلك الأيام مصالحهم فقط ومصالح أحزابهم ..

ففى صباح ٢٣ يوليو لم يؤيدوا الجيش لأن فى ذلك التأييد خطرا على تلك المصالح وذلك فى حالة فشل الجيش !

أما نجاح الثورة فذلك شىء لم يتوقعوه .. أما عزل الملك فذلك شىء لم يؤمنوا بأنه سيحدث !

لهذا فهم كانوا فى بيوتهم ، لم نسمع لهم صوتا ، ولم نر وجها واحـدا من وجوههم الكريمة !

***

كنا وحـدنا فى المعركة ومعنا الشعب ... اما هم دعاة الديمقراطيـة والدستور والحريات فقد كانوا يأملون أن يفشل الجيش ويبقى ملك البلاد على عرشه ... فلا يحرمون من مقاعد الحكم ومغانم السلطان !

حتى ذلك الرجل حسن الهضيبى وأتباعه ورثة كتاب الله فى هذا الزمان ، لم يؤيدوا قيادة الجيش فى أيام الثورة الأولى .. لم نر وجه الهضيبى وهو الداعية الذى يطالب بالحريات والديمقراطية !

فأين كان ؟ !

أين كان وأتباعه وهم الذين زعموا فيما بعد انهم صانعو الثورة !

ثم فجأة وعندما عرفوا ان الثورة نجحت وان العرش قد سقط من فوق رأس مولاهم جاءوا الينا مهنئين ... وهم الذين اختفوا عن أنظارنا قبـل رحيل الملك المخلوع ... بل ان رجال حزب الأغلبية ، الحزب الذى يدعى

أصحابه تمثيل الشعب ، أقول ان هؤلاء الرجال ذهب بعضهم يوم ٢٤ يوليو ـ والشعب والجيش فى عنفوان معركتهما ضد صاحب الجلالة ـ وقيدوا أسماءهم فى سجل التشريفات ، فى سراى رأس التين ، رافعين الى الأعتاب السامية فروض الولاء والطاعة ، فى الوقت الذى كانت قوات الجيش تستعد للتحرك الى الاسكندرية لتطرد ذلك الملك !

ان اسم الفاضل صلاح الدين وزير خارجية الوفد لايزال فى دفتر التشريفات يشهد على صدق ما نقول !

وجاءوا للسيد الجديد

وكنا فى القيادة نعجب من هؤلاء الزعماء .. كنا نتوقع ان يجىء الينا بعضهم ليعلنوا عن تأييدهم لما حدث ... لكن يبدو اننا كنا نحسن الظن بهؤلاء القادة ، فهم الذين صانعوا القصر والمستعمر طوال أعوام حكمهم ، وهم الذين فرضوا طغيان فاروق فرضا على الملايين العارية الجائعة المريضة !

وهم الذين انسلخوا عن طبقتهم فعاشوا فى القصور كسادة يرفلون فى الحرير والنعيم ، ولتذهب المثل والقيم وكل المبادىء الى الجحيم !

وبعد أن زالت دهشتنا فوجئنا بمواكبهم تتدافع علينا فى مصطفى باشا بالاسكندرية ، وفى كوبرى القبة بالقاهرة

وقد بدأت طلائع تلك المواكب تظهر على أبواب القيادة بعد أن عرفوا ان فاروقا قد انتهى !

ان الفاضل صلاح الدين الذى رفع آيات الولاء والطاعة للملك باسم الوفد يوم ـ ٢٣ يوليو ـ أى بعد الثورة ، جاء بعد رحيل فاروق ليهنئنا ويبارك ما حدث على أيدينا !

والهضيبى ، وصلاح الدين ، والزعماء الأفاضل من الأغلبية والأقلية .. وكل القطيع السياسى تزاحم على أبواب القيادة ليقدم فروض الولاء للسيد الجديد !

نفس الموقف .. فهم فى الماضى كانوا يتزاحمون على أبواب القصر معلنين عن الولاء والخضوع والطاعة ، واليوم يجيئون الى أبواب القيادة بعد أن

رحل صاحب القصر ، وقد ظنوا اننا مثل سيدهم الذى ذهب !

ظنوا اننا ستدور بنا الرؤوس أمام نفاقهم وريائهم فنضع مقاعد الحكم بين أيديهم ببساطة ونحن راضون !

ذهب سيد وجاء سيد .. تلك كانت معتقداتهم وآمالهم !

لقد كنا ونحن نستقبلهم فى القيادة لا نستطيع اخفاء أسفنا ، كنا نكاد نختنق من الضيق ، وهم امامنا يبتسمون فى خضوع مباركين ومهنئين ومؤيدين !

وكلما جاء الينا زعيم من زعماء البلد كنا نلتفت الى بعضنا ، ولا نملك الا أن نشكره على عواطفه الرقيقة ووطنيته الصادقة

كانت المسألة رياء فى رياء .. وليس لها أصل من الحقيقة !

نجيب يبدى دهشته

ولنترك حديث دعاة الديمقراطية ، بل جلاديها .. فحديثهم سيجىء كثيرا فى قصتنا .. وأعود الى الموضوع :

قلت فيما سبق ان الهيئة التأسيسية عقدت أول اجتماع لها بعد الثورة وبعد رحيل فاروق . واستقال جمال عبد الناصر من رئاسة الهيئة فى ذلك الاجتماع ، ثم أجريت انتخابات جديدة ففاز جمال بالاجماع للمرة الثالثة.. ثم توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية

وكانت الهيئة مجتمعة بصفة مستمرة فى الليل وفى النهار ، فقد كان علينا أن نعد عدتنا للمعارك القادمة بعد أن أصبح كفاحنا فى العلن جنبا الى جنب مع الشعب

ولم يحضر اللواء نجيب تلك الاجتماعات ، فهو لم يكن عضوا فى الهيئة التأسيسية .. فكان يظل جالسا فى مكتبه حتى ننتهى من أعمالنا ، فيجىء ليجلس معنا ، ونحيط به كأنه أب لنا ، فكان لايترك مناسبة دون أن يعبر لنا عن عجبه من موقفنا

كان يقول لنا ان كل شىء قد تم بمجهودنا ، وبالرغم من هـذا فنحن ننسب كل شىء له وحده ، وهو لم يصنع شيئا على الاطلاق ... وكان يبدى

لنا خجله من هذا الموقف ، فكنا نتكر فى شدة اننا صنعنا شيئا ، كنا نحاول خلق روح من الثقة التامة بيننا وبينه .. وفعلا كان موقفه يزيد من ثقتنا فيه ، الى حد ان عبد اللطيف بغدادى قال ذات مرة ــ كما قلت من قبل ــ ان هذا الرجل ــ أى نجيب ــ أصبحت أحبه مثل والدى .. وربما أكثر !

جمال يتنازل عن الرئاسة لنجيب !

وفى تلك الاجتماعات المستمرة للهيئة كانت كل صغيرة وكبيرة تعرض علينا للبت فيها طوال النهار والليل .. واللواء نجيب كان يجلس فى مكتبه يستقبل الصحفيين المصريين والأجانب .. ثم عندما يعلم اننا لسنا مجتمعين يترك مكتبه ويجىء ليجلس معنا

واستمر الوضع على هذا الحال حتى منتصف أغسطس

وفى جلسة الهيئة التأسيسية التى انعقدت يوم ١٧ أغسطس فوجئنا بجمال عبد الناصر ــ رئيس الهيئة ــ يتقدم بطلب يقول فيه انه يتنازل عن رئاسة الهيئة للواء محمد نجيب !

وقبل أن نفيق من دهشتنا مضى جمال يقول :

ــ ان الوضع أصبح حرجا للغاية بالنسبة لنجيب ، فهو لايحضر اجتماعاتنا وهو يحمل رتبة لواء فلا يصح أن نضمه كعضو فى الهيئة فحسب ، بل انى متنازل له عن الرئاسة !

وتناقشنا طويلا حول هذا الموضوع ، ثم تقدم جمال عبد الناصر باقتراح بضم أربعة آخرين الى الهيئة التأسيسية مع نجيب ... على أن يكون نجيب رئيسا بالنسبة لرتبته ، لأنه لا يعقل أن يجلس معنا كعضو عادى ونحن الذين قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة .. وبعد أن فرضناه أيضا قائدا عاما للقوات المسلحة !

اقتراح من جمال سالم

وفى نفس الوقت تقدم جمال سالم باقتراح ثان ، قال فيه : انه يرى أن يكون أعضاء الهيئة التأسيسية خمسة فقط ، أو ثلاثة ، على أن يعود باقى

الأعضاء الى وحداتهم فى الجيش ، ويبقى الثلاثة أو الخمسة لقيادة الثورة !

واستمرت المناقشة حول الاقتراحين فترة طويلة ، ثم انتهت بأن وافقت الهيئة على اقتراح جمال عبد الناصر ، فدخل محمد نجيب ــ لأول مرة ــ الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار ، ومعه أربعة هم : يوسف صديق ، وزكريا محيى الدين ، وحسين الشافعى ، وعبد المنعم أمين ..

ومضينا نستعد للأحداث القادمة ..

موقف حزب الوفد من الثورة

أصبح اللواء نجيب معنا فى الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار ، ولم يكن عضوا من قبل، ولم يكن يحضر اجتماعات الهيئة لا قبل الثورة ولا بعدها..

فكنا كلما اجتمعنا بعد طرد فاروق كان يجلس فى مكتبه حتى ننتهى من الاجتماع ، فيجىء الينا لنحيط به وعواطفنا كلها معه ، لم نشك فى ايمانه بالثورة ، فأعطيناه كل ثقتنا واعتبرناه كأب لنا .. فهو كان فى كل لحظة يجلس معنا يتحدث فى خجل عن انكارنا لأشخاصنا ، فيقول ان كل شىء قد تم بمجهودنا نحن وهو لم يصنع شيئا ، وبالرغم من هذا فهو يعجب لأننا ننسب كل شىء له ، ونقول للشعب وللعالم انه هو قائد الثورة ، وهو صانع كل شىء .. !

وهكذا تبادلنا الثقة فى أيام ما بعد فاروق

وكما قلت سابقا فاجأنا جمال عبد الناصر فى جلسة الهيئة التى انعقدت فى ١٧ أغسطس عام ١٩٥٢ بتنازله عن الرئاسة للواء نجيب ، وقال لنا وهو يبرر ذلك التنازل : « ان الوضع أصبح حرجا للغاية ، فاللواء نجيب قد قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة ، وفرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة وفى نفس الوقت هو لايحضر اجتماعاتنا ، وهذا ما لايصح ان يدوم »

وبعد مناقشة استمرت وقتا طويلا جدا وافقنا على اقتراح جمال ، وأصبح اللواء نجيب رئيسا للهيئة التى ظل جمال رئيسا لها منذ أنشئت ، وانتخب ثلاث مرات قبل الثورة وبعدها بالاجماع ليرأسها

ودخل أربعة آخرون مع نجيب أعضاء فى الهيئة هم : زكريا محيى الدين ،

وحسين الشافعى ، ويوسف صديق ، وعبد المنعم أمين

ومضينا كما قلت ، نستعد لمواجهة الأحداث القادمة .. نجيب رئيسا للهيئة وجمال وكيلا لها

وقبل أن أمضى فى سرد الوقائع التى جرت بعد ذلك ، أود أن أذيع على الرأى العام فى مصر وفى الخارج حقيقة ظلت فى طى الكتمان منذ قامت الثورة ..

وهى سر اختيار رشاد مهنا وصيا للعرش .. فقد أوضحت فى الحلقات السابقة موقف رشاد مهنا أولا بأول من الثورة

وكان آخر موقف له سردته هنا هو قصة مجيئه الينا فى الاسكندرية يوم طرد الملك ، وحيرته الشديدة واضطرابه عندما دخل علينا فى القيادة هناك ! وسألته يومها عن سر اضطرابه وحيرته .. فبكى وقال انه جاء ليبارك الخطوات الموفقة للثورة !..

***

وقد عاد رشاد الى القاهرة معنا فى نفس الطائرة ــ يوم ٢٧ يوليو ــ ولم يكن أعضاء القيادة يتوقعون أن يقرر جمال عبد الناصر حسم الموقف بالنسبة لرشاد مهنا منعا للخلافات ، وبطريقة تحقق آمال ومطامع رشاد نفسه

فقد كان ضباط المدفعية وغيرهم من الضباط لايعلمون حقيقة موقف رشاد من الثورة ، كما قلت من قبل ، ولم يعرفوا انه رفض الاشتراك فى العملية ، ورفض أن يتعاون على الاطلاق ، واعتقدوا عندما جاء من العريش بدون اذن ، أقول اعتقدوا ان رشاد مهنا هو أحد أقطاب الثورة وقائد من قادتها .. !

والموقف لم يكن يحتمل تفسيرا .. فربما حدثت بلبلة ونبتت خلافات والثورة فى أيامها الأولى

فلم نقل للضباط الحقيقة ، وظل رشاد صامتا أيضا ..

وعلى هذا ظل الاعتقاد ــ بأن رشاد مهنا قطب من أقطاب الثورة ــ سائدا بين ضباط المدفعية وغيرهم

وأمام هذا الموقف شعر جمال عبد الناصر أن رشاد مهنا يريد شيئا ما ..
وعرف جمال الشيء الذى يريده رشاد ..
وأراد جمال أن يعطيه ذلك الشيء حتى لا تحدث خلافات أو انقسامات نتيجة للفهم الخاطيء لموقف رشاد مهنا ..
ورشاد يهوى المظاهر والنفوذ والسيطرة .. رشاد طوال حياته هكذا يجرى خلف المظاهر ويتشبث بها ، ولا يعنيه شيء على الاطلاق سوى عشقه للمظاهر
ودون أن نعلم ، توجه جمال عبد الناصر الى على ماهر وكان رئيسا للوزارة فى ذلك الوقت . وقال له : « ان القيادة تريد أن يكون هناك من يمثلها فى مجلس الوصاية » وطلب جمال من على ماهر أن يكون رشاد مهنا هو الذى يمثلنا فى مجلس الوصاية

***

وتبين بعد مراجعة الدستور انه لكى يعين أحد وصيا لابد أن يكون وزيرا سابقا على الأقل
وزالت العقبة ، فاتفق جمال على تعيين رشاد وزيرا للمواصلات ليصبح بعد ذلك وصيا على العرش
وبعد أن أنهى جمال المسألة عاد الينا فى القيادة وأخبرنا بما تم . وبالرغم من انها كانت مفاجأة لنا ، الا اننا اعتبرنا ذلك حلا رائعا لمأساة رشاد مهنا .. ولمشكلته التى كنا جميعا نشعر بخطورتها . وعندما وقعت المأساة وأصبح رشاد وصيا على العرش استنتج الناس فى مصر وفى خارج مصر ان ذلك الرجل هو قطب الأقطاب .. فى الثورة ، تماما كما كان شائعا عن اللواء نجيب ..
والواقع ان رشاد مهنا كان يتصرف عندما أصبح وصيا للعرش باعتباره ملك البلاد .. وسأروى فى حلقة أخرى كيف كان رشاد مهنا يتصرف وهو جالس فى قصر عابدين !

انه لم يشبع بالوصاية فبدأ يعد لنفسه مستقبلا أكبر .. ونسى الثورة كالعادة ..

ويكفى اليوم أن أشير الى كلمة قالها ردا على طلب القيادة وكنا نعتبره ممثلا لنا ..

قال رشاد يومها وهو يرفض الموافقة :

ــ انى أملك وأحكم أيضا ..

نصحونا بان نحكم ..

وأعود الى قصتنا ..

قلت : اننا بدأنا نستعد بعد دخول نجيب الهيئة التأسيسية لمواجهة الأحداث القادمة ، وبدأنا نناقش الوضع السياسى فى البلاد ، بعد خروج فاروق ..

والموضوع الذى شغل وقتا كبيرا من مناقشاتنا فى تلك الأيام هو دعوة برلمان الوفد الذى كان قائما قبل حريق القاهرة للانعقاد .. والنحاس ، وسراج الدين كانا فى مصايف أوربا يستشفيان فى ذلك الوقت

وأذكر انه بعد ٢٦ يوليو أى بعد خروج فاروق جاء الينا اناس كثيرون فى نشوة النصر ونصحونا بأن نجلس نحن على مقاعد الحكم

لقد ظنوا أن بريق النصر سيخدعنا ..

اعتقدوا اننا طلاب حكم ، لكنهم فوجئوا بنا نقول لهم : لا .. لا ..

وكررناها فى حزم وقوة

وأعود الى الفترة التى سبقت الثورة بوقت قليل

عندما كنا نتصل بكل الهيئات ونحن نستعد لاشعال نار الثورة

لقد فكرنا فى تلك الفترة أن نطلق شرارة الثورة الأولى بأن نفرض حزب الأغلبية وقتذاك ــ الوفد ــ على الملك .. واعتبرنا هذه الخطوة بداية للمناورة ، واتصلنا فعلا بفؤاد سراج الدين « باشا » وأوفدنا اليه البكباشى أحمد أنور أحد الضباط الأحرار ــ وقائد البوليس الحربى ــ وذهب أحمد

أنور ليسأل فؤاد سراج الدين عن موقف حزب الوفد فى حالة ما اذا فرضه الجيش على الملك ؟ !

وقد طلب سراج الدين مهلة ليرد على ذلك السؤال .. حددها بشهر ..

الوفد يخشى المعركة ..

وبعد شــهر جاءنا رد سراج الدين .. وهو الرفض لأن قطب الوفد ، ووارث الزعامة رأى انه من المحال أن ينجح الجيش فى هذه العملية ..

عاد أحمد أنور الينا وهو يحمل رد الوفد .. ان حزب الأغلبية لا يؤمن على الاطلاق بأن هناك قوة يمكنها فرض أى شىء على الملك ، لهذا يعتذر سراج الدين عن تحديد موقف معين ــ للوفد ــ فى مثل هذه الحالة ..

وفهمنا يومها مدى ايمان قيادة الوفد بالشعب .. فتلك القيادة لا تؤمن على الاطلاق بالكفاح العملى ضد أعداء الشعب « أى القصر » بل تترقب وتنتظر تحسن الأحوال حتى يستدعيها ملك البلاد الى حكم البلاد

أما فرض ارادة الشعب على الملك فذلك شىء لايؤمنون به بل يهابون الاشتراك فى اظهار تلك الارادة

وزيادة على هذا فقيادة الوفد قد رأت فيما عرضــناه عليها خطرا قد يودى بها فى حالة الفشل ، وهى قيادة قد قررت عدم خوض معارك مع الشعب أو الجيش ضد الأعداء ، بل قررت مهادنة هؤلاء الأعداء والتعاون معهم اذا أرادوا ــ أى الأعداء ــ تلك المعاونة .. وليذهب الشعب الى حيث يشاء

وفهمنا يومها أيضا ان قيادة الوفد قد انسلخت نهائيا عن طبقات الشعب المكافحة المتطلعة الى المستقبل .. انسلخت عنها فى اللحظة التى ضمت فيها تلك القيادة طبقة الاقطاعيين وهى الطبقة التى اتحدت مصالحها مع مصالح القصر والاستعمار أيضا .. الطبقة التى لولاها لما كان فى البلاد قصر ولا استعمار ولا جوع ولا عرى ولا مرض .. هى الطبقــة التى تشرب الدم البشرى وتريد أن تظل ممعنة فى ارتكاب هذه الجريمة الى الأبد .. !

واستعرضنا يومها مواقف الوفد ــ أو بعبارة أكثر صدقا ــ مواقف قيادة الوفد منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى حريق القاهرة !

وكان لابد أن نستعرض ذلك الموقف .. فالمسألة هى مسألة القضية الوطنية وليست شيئا آخر .. وعلينا أن نعرف أعداء هذه القضية ثم علينا أن نعرف أيضا قادتها الحقيقيين !

لقد كان موقف قيادة الوفد ــ وهو حزب الأغلبية ــ هو الاتجاه الى مركز الثقل فى السياسة المصرية ، ومركز الثقل كان فى يد كليرن السفير الذى كان يحكم البلاد .. ثم عندما انتقل مركز الثقل هذا الى يد الملك بعد الحرب العالمية الثانية ــ وكان ذلك من خطة الاستعمار فى ذلك الوقت ــ اتجه الوفد الى القصر وهادنه .. تماما مثلما هادن كليرن وارتمى فى أحضانه !

***

وهذا التحول المؤسف فى سياسة الوفد ظهر واضحا للعيان بعد أن أجريت الانتخابات على يد حسين سرى وفاز الوفد بأغلبية ساحقة ، وأصبح على الملك أن يدعو الحزب الفائز ليتولى الحكم ..

وسواء كان الوفد قد كسب المعركة الانتخابية بالباطل أو بالحق فهو ــ أى الوفد ــ قد فاز على أى حال وتربع أقطابه على مقاعد الحكم بعد أن ظلوا خمسة أعوام بعيدين عنها .. فى انتظار الفرج !

أصبح الوفد ــ اذن ــ فى يده كل الفرص لتحقيق مصالح الشعب وأهدافه العظمى بعد فوزه فى تلك الانتخابات ... فهل فعل ؟

لقد استبد الرعب بالملك عندما عرف نتيجة الانتخابات !

انتابه الفزع ، فالوفد قادم ليصفى معه الحساب .. ليأخذ منه حق الشعب !

وليلة أن أذيعت نتيجة الانتخابات استدعى الملك حسين سرى رئيس الوزراء وقال له :

ــ تعالَ حوش عنى الوفد !

وكان مفروضا أن يخوض الوفد ــ باعتباره ممثلا للشعب كما يقولون ــ المعركة فى الحال ضد استبداد القصر .. فان الفرصة الذهبية التى كان ينتظرها قد هبطت بين يدى قادته .. فهم أصبحوا حكاما !

وفى يناير عام ١٩٥٠ استدعى الملك مصطفى النحاس ليكلفه بتأليف الوزارة بعد نجاح حزبه فى الانتخابات .. وكان الملك يرتجف عندما دخل النحاس عليه فى عابدين .. كان يتوقع استفزازا أو حتى ابتسامة شماتة تظهر على فم صاحب المقام الرفيع ، بعد أن فاز رغم أنف الملك وأصبح حاكما رغم أنفه أيضا .. وهو الذى ظل فريسة لاضطهاده طوال خمسة أعوام قضاها بعيدا عن لاظوغلى .. وعن النفوذ والصولجان !

وسمع الملك صوت صاحب المقام الرفيع يتكلم .. سمعه يقول له :

ــ أنا لَىّ طلب ..

وتوقع فاروق شرا .. ظن أن زعيم الأمة قرر الاشتباك معه فى معركة وهو لم يزل فى أول الطريق .. وقبل أن تختفى صفرة الخوف من وجه فاروق بعد ذلك السؤال ، سمع النحاس يقول له :

ــ طلبى .. انى أبوس ايد مولانا !

وهكذا سقطت قيادة الوفد نهائيا فى قبضة أعداء الشعب ، فهى اذن قيادة غير شعبية .. وهى القيادة التى أيدها الشعب وجاء بها الى الحكم لتحمى مصالحه وتعمل من أجله .. ففوجىء بها تحمى مصالح القصر وتعمل من أجل سراج الدين ، وباقى الباشوات أعضاء القيادة الوفدية !

ومن أجل هذا لم نعجب حين حمل الينا أحمد أنور مندوب الضباط الأحرار الى الوفد رد سراج الدين .. الذى اعتذر فيه عن التعاون معنا ، وكنا قد قررنا أن نفرض الوفد على الملك كخطوة أولى لاشعال نار الثورة

يريدون حكما ونريد ثورة

وبعد ذلك ــ أى بعد أن رفض فؤاد سراج الدين أن يخوض الوفد المعركة مع الضباط الأحرار ــ قررنا عدم التعاون اطلاقا مع الهيئات

والأحزاب فى مصر .. لأن العقلية التى تسيطر على قادتها تختلف تماما عن عقليتنا .. فهم يريدون حكما ونحن نريد ثورة .. نحن فى ناحية وهم فى ناحية أخرى .. نحن نريد تغيير نظام الحكم ، وهم يريدون الحكم نفسه !

يريدون الحكم فى كنف فاروق .. وكريم ثابت ، وبوللى ، وخدم القصور

أما المعارك جنبا الى جنب مع الشعب ضد فاروق فذلك شىء يرعبهم ويجعلهم يهربون من الميدان .. الى المخادع الناعمة فى انتظار العطف السامى

كانت المسألة فى برنامجنا هى كفاح من أجل الشعب ، أما المسألة التى فى برنامجهم فهى كانت كفاحا من أجل الحكم

لهذا قررنا استبعاد كل الهيئات والأحزاب من كل خططنا فى المستقبل

وقررنا فى نفس الوقت الاعتماد على أنفسنا .. على تشكيل الضباط الأحرار ، فمن بين صفوف هذا التنظيم المناضل يمكن أن تظهر القيادة السياسية الوحيدة التى لا تتعارض مصالح أفرادها مع مصالح طبقات الشعب المتطلعة الى التحرر .. فكل الضباط الأحرار من عائلات متوسطة وليسوا أبناء باشوات ، وليسوا من صلب الأرستقراطية المصرية الخائنة المتعاونة مع القصر وكل أعداء الشعب

رأيان يتصارعان

غير اننا بعد عزل الملك بدأنا نناقش الوضع من جديد . وفى كل اجتماعات الهيئة التأسيسية المستمرة دائما فى تلك الأيام لم يقف أحد منا لينادى بأن تتولى نحن الحكم .. وانما كان هناك رأيان يتصارعان

الرأى الأول يقول : بما أننا كنا ننوى أن تبدأ الشرارة الأولى للثورة بفرض حزب الأغلبية على الملك فماذا يمنع لو استدعينا برلمان الوفد لتسيير الأمور ونجلس نحن نراقب الأحوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة

والرأى الثانى يقول : لا يصح أن يحدث هذا .. فالوفد وكل الأحزاب والهيئات بما فيهم الاخوان قد تخلفوا عن التعاون معنا قبل الثورة ، واعتقدوا عندما اتصلنا بهم ان المسألة خيال فى خيال .. وتخلفهم هذا معناه

انهم ليسوا ذوى نوايا حسنة بالنسبة للشعب ، ومعناه أيضا انهم لايؤمنون بما ينادى به الشعب ، وكفاحهم من أجل مصالحهم هم لا مصالح الشعب . وقيادة كل هيئة وكل حزب أصبحت معزولة عن الشعب تماما .. ومصالحها متناقضة مع مصالح الشعب ، فهى ـ أى تلك القيادات ـ سوف تكون حربا على أهداف الثورة لو مددنا أيدينا اليها

ومضى أنصارالرأى الثانى يفسرونأهداف الهيئات والأحزاب ويقارنونها بأهداف الشعب. ثم قالوا : انالثورة تحتم الغاءكل تلك الأحزاب والهيئات التى تآمرت على الشعب طوال الربع قرن الأخير .. وهى على استعداد فى كل وقت للتآمر على مصالحه حتى بعد خروج فاروق .. فلن يعدموا طاغية آخر وأعداء آخرين للشعب تتفق مصالحهم مع مصالح هؤلاء الساسة القدامى .. وفى هذه الحالة ماذا سوف يحدث ؟ !

كأننا لم نقم بثورة .. وكأننا لم نطرد صاحب العرش ، وكأننا كافحنا وأصررنا على الكفاح من أجل أن نسلم البلد لهذا القطيع المتآمر والخاضع للاستبداد المتطلع الى لاظوغلى لا الى الشعب !

واستمرت المناقشة واحتدمت فى تلك الاجتماعات للهيئة التأسيسية . وكان الرأيان المتصارعان هما محور كل المناقشات !

التطهير المزيف للأحزاب

كان رسل الوفد يقفون أمامنا .. وينبرى قطب منهم ، ويقول :

ـ اسمعوا .. لا خلاص لكم الا بالوفد

وقال لنا الاخوان :

ـ نحن لها ... نحن الذين سننقذ الموقف ... أما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم ... اجعلونا أوصياء على الثورة ، هذا هو الحل الوحيد ، ولا خلاص لكم الا بوصايتنا

وكنا نؤمن بأن الثورة لايمكن أن تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفد والاخوان والسعديين .. ديمقراطية النظام الملكى الاقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة ... ديمقراطية العبيد

وكنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد فاروق ، تتيقظ وتعى موقفها تماما ازاء الأحداث التى ستترى بعد ذلك حتى لا تضلل ، فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم ، وحتى لا تسير مظاهرة من أفراد مساكين ، ويقودها مشعوذ أو أجير لتهتف :

ــ حرامى .. حرامى .. لكن عايزينه

وطالبنا الأحزاب بالتطهير ...

ومنهم زرق الأنياب وقدامى السياسة والحكم ، انهم يستطيعون أن يضحكوا علينا

وعقد الوفد اجتماعا وأصدر قائمة ..

وعقد السعديون اجتماعا وأصدروا قائمة ..

وعقد كل حزب اجتماعا وأصدر قائمة ..

وكانت حكاية التطهير مهزلة ..

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للأشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثورة ، ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين

ماذا كانت تريد ؟ ..

***

لقد وقفت بالقارىء فى آخر حلقــة من القصة عند موقف الأحزاب من هذه الثورة ، وقلت اننا فتحنا أمامهم الأبواب ومددنا أيدينا لكل زعيم منهم وقلنا : تعالوا .. ساهموا معنا فى هــذا العمل التاريخى الكبير .. تعالوا نصنع ــ جميعا ــ مستقبل شعب قضى عمره يجوع ويمرض ويموت

وترددوا ــ جميعا ــ ولم يمد أحدهم الينا يده .. كانوا يعتقدون ان الذى حدث فى ٢٣ يوليو ما هو الا أحد الانقلابات المعروفة العادية ، والتى قد تزول بين يوم وليلة ، وبعد ذلك يتولون زمام الأمور من جديد

لم يفهموا على الاطلاق انها ثورة .. والا فما معنى ترددهم ؟ !

قرروا أن ينتظروا ليروا الى أين تتجه الأحداث بعد ذلك اليوم من

يوليو . وفى نفس الوقت ، ونحن نعد خططنا لتغيير نظام الحكم ، كان الرسل يجيئون الينا ويروحون .. رسل الوفد يقفون أمامنا وينبرى قطب منهم ويقول :

ـ اسمعوا .. لا خلاص لكم الا بالوفد .. صدقونا .. أنتم لن تتمكنوا من صنع شيء على الاطلاق ، الا اذا أيدناكم نحن الوفديين : فلا بد من حزب سياسى يقف الى جواركم

ولا ينسى «القطب» أن يستعرض أمامنا قائمة الأحزاب المصرية الموجودة وبعملية بسيطة ، نخرج من الاستعراض بأن الوفد هو الحزب الوحيد الذى لا نجاة للثورة الا به ، لأنه حزب الأغلبية . ويخرج أقطاب الوفد من عندنا ليدخل أقطاب آخرون هم الاخوان ، وفى بساطة وبمنطق غريب يتحدثون عن أنفسهم كأنهم هم صناع التاريخ والتطور الانسانى

قال لنـــا الاخوان : « نحن لها .. نحن الذين سننقذ الموقف أما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم .. اجعلونا أوصياء على الثورة .. هـــذا هو الحل الوحيد ، ولا خلاص لكم الا بوصايتنا »

من يريد أن يثور معنا ؟

وكنا نلاحظ بوضوح ونحن نستمع الى كلام « الاخوان » انهم على ثقة من قدرتهم على خداعنا ، فكيف نلوذ بالصمت ولا نشعرهم بأننا نفهم كل ما يدور فى رؤوسهم .. الجميع كانوا ينظرون الينا باعتبارنا صغارا لا قدرة لنا على مواجهة الأحداث .. كأنهم كانوا بأعمارهم المديدة قادرين على مواجهة أحداث ما قبل يوليو .. فما بالهم بما بعد ذلك التاريخ ؟ !

الواقع اننا ــ فى ذلك الوقت ــ كنا فى حيرة ، فقد كانت الخطة التى وضعناها فى اخلاص شـــديد تقضى ــ فعلا ــ بالتعاون مع من يريد أن يثور معنا ، من يفهم ان المسألة هى العمل والعمل والعمل .. وليس الحكم !

ومن أجل هذا طلبنا من كل الأحزاب أن تطهر نفسها فورا كشرط للتعاون من أجل بعث مصر وتغيير شكل النظام القائم

ديمقراطية العبيد

قلنا لهم : انسوا برامجكم القديمة وأساليبكم الماضية ، وتخلوا عن معتقداتكم التى كانت تتفق مع الوضع قبل يوليو ، وقد اختلف الوضع بعد ذلك التاريخ .. ولا سبيل الى العمل أو التعاون والاشتراك فى « الثورة » بهذه العقلية وبتلك البرامج والمعتقدات !

كنا نؤمن بأن « الثورة » لايمكن أن تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفد والسعديين والاخوان ، فتلك كانت ديمقراطية النظام الملكى الاقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة ... أى ديمقراطية العبيد !

فالبرلمان والدستور وكل الأشكال الوهمية للحرية .. والتى كانت قائمة قبل يوليو كانت وسيلة لحكم الشعب بالقوة ومنعه من نيل حق واحد من حقوقه التى كانت فى قبضة أعضاء البرلمان والحكام وحماة الدستور

كان الاقطاعى يمثل تمثيلا ــ ديمقراطيا ــ مصالح الفلاحين .. عبيده ! فأين الديمقراطية هنا ، وكيف كان يمكن للثورة أن تقضى على الاقطاع اذا رأى قادتها أن يجعلوا مبدأ التعاون مع الوفد وغيره من الأحزاب هو الأساس الذى سيقوم عليه النظام بعد يوليو ! ؟

ذلك كان الموقف بالتحديد ، لا ديمقراطية اذن ولا دستور ولا حريات ولا برلمان ولا ممثلين للأمة ، لا شىء من هذا على الاطلاق كان يمكن أن تبقى عليه الثورة اذا لم تتطهر الأحزاب وتغير من برامجها ، ومن أشخاص القائمين عليها وهم الأعداء الحقيقيون للشعب

وليس هناك غيرهم يمكن أن يعطل التطور المحتوم للناس فى مصر بعد سقوط فاروق

النائب والشعب ..

وقد كنا فى ذلك الوقت نحاول أن نجد طريقة نغير بها من أساليب الكفاح السياسى ، الوفدى والسعدى والدستورى والاخوانى..كنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد فاروق، تتيقظ وتعى موقفها تماما ازاء الأحداث التىستترى بعد ذلك حتى

لا تضلل، فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهوسارقأرزاقهم ، وحتى لا تسير مظاهرة من أفراد مساكين ، ويقودها مشعوذ أو أجير لتهتف :

ـ حرامى .. حرامى .. لكن عايزينه

كيف يفهم الفلاح ؟

كان حتما أن يحدث التغيير فى وعى الجماهير ليسير جنبا الى جنب مع دورات الثورة ، فكيف يكون ذلك ، والثورة كانت بيضاء لم يشترك فيها الشعب بالسلاح كما هو الحال فى كل الثورات التى غيرت نظم الحكم والاقتصاد ! ؟

كيف كان يمكن أن يفهم الفلاح الذى فى « درين » ان الهتاف بحياة عبد العزيز البدراوى نائب مركز طلخا جريمة .. بعد يوليو ؟ ! وهو ـ أى فلاح درين ـ لم يهدم الاقطاع بفأســه حتى كان يمكن أن يعى معنى الثورة ؟ ! كنا نواجه حالة تاريخية شاذة

كنا لا نريد أن تسيل الدماء فى درين وفى القاهرة وفى كل المدن والقرى حتى يعى الشعب موقفه ، ويفهم ان الثورة ما قامت الا من أجله هو ومن أجل تحديد مستقبله ، لا من أجل طبقة معينة

والدماء كان يمكن أن تسيل .. كان الجيش على استعداد لخوض المعركة المسلحة الى جانب الشعب فى درين وفى القنال وفى أقاصى الصعيد ... لكن ما ثمن كل هذا .. وما نتيجة الدم المراق ؟

حيرة التاريخ

وماذا لو استطعنا أن نحقق للشعب كل حاجاته وأهدافه بلا دم ؟ ! هنا يقف التاريخ حائرا الى حد ما ليرقب النتيجة .. فهى حالة شاذة كما قلت فى تاريخ الثورات !

وفى حجرتنا القائمة هناك فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، كنا نجلس لنعد خطة الزحف الأبيض على أعداء الشعب .. الزحف الذى يمتد بلا ضحايا .. بلا بارود ولا أشلاء ولا رقاب طائرة

صحيح ان الثورة الدموية تخلق الوعى السياسى فى الحال بين الجماهير وتجعل الشعب يرى طريقه فيمضى كالمارد فيه حتى النهاية ، لكن مقومات الثورة الدموية التى كان من المفروض أن تحدث بعـد يوليـو لم تكن موجودة .. فلا الشعب يريد الدم ولا الجيش

وليس فى البلاد ميادين لمثل هذه المعارك ، لأن الموقف فى مصر مختلف عنه فى كل بلاد الدنيا.. الظروف ، والأوضاع ، والوعى ، والتنظيم الثورى النابع من أعماق الشعب .. ثم هناك الحقيقة الكبرى فى قصة ثورتنا ، وهى ان قيادة الثورة ظهرت بين صفوف القوات المسلحة فسيطرت تلك القيادة على هذه القوات .. وهذه الحقيقة ذكرتها فى الفصول السابقة مرارا عديدة .. فهى ــ اذن ــ حقيقة تاريخية ومعناها انه لا مجال على الاطلاق لمعركة مسلحة بين الشعب وأعدائه ما دام الشعب قد أصبح يملك السيطرة على قواته المسلحة ، وما دامت قيـادة تلك القوات أصبحت تنـادى بمطالب الشعب .. وتعمل على تحقيقها

أين هم الأعداء الذين يمكنهم أن يقفوا أمام هـذه الحقيقة دون أن يستسلموا ..؟ !

لا البدراوى ولا أى عدو آخر يمكنه أن يتمسك بالأرض اذا رأى دبابة تقف أمام قصره فى درين وينذره قائدها بتسليم الأرض لأصحابها ..

ان الموقف بالتحديد هو أن الدبابة كانت تحمى البدراوى من فلاحيه ، ثم أصبحت بعد يوليو تحمى الفلاحين من البدراوى !

ومضينا فى زحفنا الابيض

وأمام هذا الوضع التاريخى رأينا أن نمضى فى زحفنا الأبيض على أعداء الشعب حتى النهاية .. ومن أجل أن نطمئن الجميع ــ حتى الأعداء ــ طلبنا من الأحزاب ــ كما قلت ــ أن تطهر نفسها وتعد برامج تتفق مع التطور المحتوم للشعب بعد يوليو

لكن ــ كما قلت ــ اعتقد أقطاب تلك الأحزاب انهم يستطيعون أن يضحكوا علينا ، نحن الضباط الشبان الصغار ، فهم زرق الأنياب وقدامى

فى السياسة والحكم .. أما نحن .. فمن نكون ؟

واتنظرنا من زرق الأنياب هؤلاء أن يطهروا أنفسهم ويغيروا من برامجهم فى صدق ، وليس كما فعلوا بعد ذلك ـ كما سيجىء فيما بعد ـ لكنهم ظلوا يناورون مما اضطرنا الى انذارهم ، ونشر الانذار فى الصحف وأذيع ، وقد جاء فى نهايته تلك العبارة : « وقد أعذر من أنذر .. »

التطهير المزيف

وهنا شعروا ان « الثورة » جادة فى المسألة ، وأن الموقف ليس كما كانوا يعتقدون مجرد كلام فى كلام

وأسرع حزب الوفد وعقد اجتماعا ، وأدار الاجتماع الأعداء الذين ما قامت الثورة فى مصر الا لتقضى عليهم ، بل ما قامت أية ثورة فى أى قطر من الأقطار الا للقضاء على أمثالهم ..

المهم ان الوفد عقد الاجتماع والسلام ، وأصدر الوفد قائمة بأسماء بعض أعضائه الذى قرر اخراجهم من الحزب لتطهيره . وهؤلاء الأشخاص لم يكن لهم نفوذ فى الحزب بل لم يكن هناك مبرر لاخراجهم ، ولا أحد يعلم لماذا قرر الوفد اخراجهم ، وقد ظنوا كما ظن غيرهم فيما بعد انهم ضحكوا علينا بعمليات التطهير والتغيير المزيفة تلك ... وكانت حكاية التطهير مهزلة ..

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للأشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثورة ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين !

الفصل التاسع

تحـديد الملكيـة

كان هناك رأيان يتصارعان فى اجتماعات الهيئة التأسيسية ، وقد احتدمت المناقشة بين أعضاء الهيئة حول الرأيين ..

وكان أصحاب الرأى الأول يرون انه بالرغم من أن قيـادة الوفد قد انسلخت عن الشعب حين ضمت اليها الاقطاعيين ، الا انه يمكن استدعاء برلمان الوفد الذى كان قائما قبل احداث يناير سنة ١٩٥٢ لتسيير الأمور ، على أن نراقب نحن الأحوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة .. ذلك هو الرأى الأول

أما الرأى الثانى فيقول أصحابه ان حزب الوفد والاخوان وكل الأحزاب فى البلد ، يكافحون ــ جميعا ــ من أجل مصالحهم فقط : وليس من أجل مصالح الشعب ، والثورة قامت لتحقيق المصالح الشعبية ، فوجود تلك الهيئات والأحزاب ــ اذن ــ معنا سيعطل الثورة وربما قضى عليها

وظلت المناقشات دائرة فترة طويلة ، ليلا ونهارا حول ذلك الموضوع .. فالى أى الرأيين اتجه الأعضاء فى النهاية ! ؟

فى النهاية اقتنع الأعضاء بالرأى الثانى ...

اقتنعنا ان كل الأحزاب والهيئات بما فيها الاخوان ما هى الا نتاج طبيعى للوضع السياسى فى البلاد خلال ربع القرن الأخير .. أى انها ما وجدت الا لتعمل فى كنف الاستعمار وعملاء المستعمر والقصر .. ورواسب الاحتلال باقيـة فى رؤوس قادة تلك الأحزاب والهيئات لأن مصالحهم ارتبطت به وبوجوده وبالنظام القائم فى البلاد .. فالتعاون بين تلك الهيئات والأحزاب وبين الاستعمار هو تعاون من أجل تبادل المصالح والمنافع ، فاذا مدت الثورة يدها لهؤلاء القادة فمعنى هـذا هو أن الثورة ستهادن أيضا الاستعمار وتبقى على النظام القائم وكل شىء .. أى انها لا تكون ثورة .. ولم يكن هناك ما يدعو لقيامها ما دامت أهدافها هى جعل الأحزاب والهيئات التى وجدت فى البلاد خلال ربع القرن الأخير تتولى زمام الأمور ..

واستعرضت خلال المناقشة المفاسد التى كانت الطابع الواضح فى قيادات الوفد والاخوان وباقى القطيع !

وعلى هذا الأساس أعدت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار قرارا يقضى بحل الأحزاب كلها والاخوان أيضا ، وابعاد كل السياسيين القدامى الذين تعاونوا مع القصر والمستعمر ، وانسلخوا عن القاعدة الشعبية نفسها ، والتى بدونها لا يصبح للحزب أو الهيئة مهما كانت صفتها دور فى تطور الشعب أو تحريره من المظالم كلها .. أو فى خلق الحياة الديمقراطية الصحيحة التى قامت الثورة من أجل ارساء قواعدها الصحيحة

وفى نفس الوقت يفسح المجال امام جيل سياسى جديد يؤمن بالشعب وبأهدافه ويرتبط بمصالحه ولا ينسلخ عن طبقات الأمة التى قامت الثورة من أجل تحطيم قيودها !

جمال يقول : هذه ديكتاتورية

وبعد أن وصل أعضاء الهيئة الى هذا القرار ، وقف جمال عبد الناصر .. واعترض على هذا القرار .. وقال :

ــ يا جماعة .. انى أخشى أن يفهم البعض من هذا القرار اننا نتجه نحو الديكتاتورية !

ومضى جمال يقول لنا :

ــ ان ثورتنا ديمقراطية ، وهى قد قامت أساسا لاعادة حقوق الشعب بعد انتزاعها من أعدائه ، الملك والاستعمار والحكام ، ونحن لا نستطيع أن نصنع ديكتاتورية فى هذه البلاد ، لأن الديكتاتورية لا تقوم الا لحماية مصالح طبقة ، والبطش بمصالح الطبقات الشعبية الأخرى ... وليس فى مصر طبقة يمكن أن تقام ديكتاتورية تحميها من الشعب الا الاقطاع ، ونحن فى سبيل ضرب ذلك العدو الذى ربض على صدور الشعب طوال مئات السنين ، فلمصلحة من تقام الديكتاتورية ! ؟

لمصلحة الرأسماليين ! ؟

انا قمنا بثورتنا لتحرير الشعب من استغلال الرأسماليين، فالديكتاتورية اذن تصبح ضد أهداف الثورة ! ؟

وبدأنا ننصت الى كلمات جمال وهو يتحدث الينا معترضا على قرار حل الأحزاب والهيئات ، ومنع السياسيين القدامى من مزاولة أى نشاط سياسى وعاد جمال يقول :

ـ أحب أن تفهموا ان الديكتاتورية معناها أن طبقة معينة تريد استغلال باقى الطبقات الأخرى فى الأمة ، وهى ، أى تلك الطبقة ، لا تستطيع أن تستغل الشعب الا فى ظل النظام الديكتاتورى . فأية طبقة تلك التى نريد نحن أن نستغل الشعب لحسابها ونبطش به ، ونحكمه بالكلمة المجردة من أجل بقاء الطبقة المذكورة وحماية مصالحها ؟

اننا لا نمثل طبقة الرأسماليين ، فنحن جميعا أبناء فلاحين ومن عائلات متوسطة فليست لنا مصلحة فى اقامة نظام ديكتاتورى .. فمصلحتنا هى نفس مصلحة جميع أبناء العائلات المتوسطة الفقيرة والكادحة .. هى نفس مصالح الشعب ، وتلك المصالح على اختلافها لا تتحقق الا فى ظل نظام ديمقراطى سليم .. يفرض ارادة تلك الطبقات على الحاكم، فيظل ملتزما حدودها ..

الديكتاتورية لاستعمار الشعوب !

ومضى جمال يقول :

ومسألة ثانية وهى ان الديكتاتورية تقام أيضا من أجل استعمار بلاد أخرى

بمعنى أن تقرر دولة ما فتح أسواق عالمية أمام انتاجها ، وتكون تلك الأسواق تسيطر عليها دول أخرى ، وفى هذه الحالة تقيم الدولة المذكورة ديكتاتورية فى أرضها لتوجيه شعبها الى الحرب ، أى لاستعمار الدول التى تريد الاستيلاء على أسواقها

فهل نحن نريد استعمار دول العالم ؟

لا شىء من هذا على الاطلاق له وجود فى رؤوسنا أو فى حياتنا .. فكيف اذن نقيم حكما ديكتاتوريا ؟

انه من المحال ـ ماديا ـ اقامة مثل هذا النظام فى مصر ؛ لأن الوضع فى مصر يحتم اقامة نظام ديمقراطى ..

ومضى جمال يومها يتحدث عن الديكتاتورية والديمقراطية حتى قال :

ـ أنا بطبيعتى أنفر من الديكتاتورية ولا أتصور انه من الممكن العمل فى ظلها وأخشى أن يفهم بعض الناس ، هنا أو فى الخارج من هذا القرار الذى أعددتموه ، اننا نستهدف اقامة نظام ديكتاتورى .. ففى هذا الفهم الخاطىء تعطيل للثورة ، وعرقلة لخطواتها . وستحاول الرجعية المصرية ، وكل الأعداء ، استغلال هذا الموقف وهذا الفهم الخاطىء للقرار المذكور فى تشويه ثورتنا !

***

صحيح ان كل الهيئات والأحزاب فى مصر ، كما وضح لنا ، لا تصلح على الاطلاق بوضعها الراهن لحكم البلاد أو للعمل الى جانب الشعب ، لكنى أرى أن نعطى الجميع فرصة ولا داعى لهذا الاجراء العنيف ، فربما أودى بنا هذا الى الديكتاتورية ، والفرصة التى سنعطيها للأحزاب والهيئات هى أملنا الأخير فيها

لنعط الأحزاب هذه الفرصة لتصلح من برامجها وتحدد أهـدافها فاذا ما حددت تلك الأهداف والبرامج ، وطهرت نفسـها من عوامل الفسـاد والرجعيـة أصبح من السـهل عليها ـ أى الأحزاب ـ أن تتعاون مع الثورة ، وتمضى معها فى طريق واحد .. فتتبلور كل الجهود داخل الثورة ويصبح تحقيق الديمقراطية السلمية أمرا هينا فى الشهور القادمة

وختم جمال عبد الناصر كلمته فى ذلك الاجتماع التاريخى بقوله :

ـ اننا اذا أعطينا الأحزاب والهيئات فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها وأهدافها بما يتفق والوضع الجديد بعد فاروق .. نكون قد أشركنا الشعب معنا فى الحكم على صلاحية تلك الأحزاب والهيئات أو عدم صلاحيتها !

وبعد أن انتهى جمال من حديثه عن الديكتاتورية قال للأعضاء :

ـ أما اذا رأيتم الأخذ بذلك القرار فانى أدعو لكم بالتوفيق وأرانى

مضطرا الى الانسحاب ، وسأدعو لكم بالتوفيق ، وسأكون طوع أمركم فى الجيش أو خارج الجيش ، وفى هذه الحالة أرجو أن تعتبرونى مستقيلا من الهيئة !

وتوجه جمال على الفور الى منزله بعد أن ترك لنا استقالته !

نجيب يوافق على حل الاحزاب !

ذلك كان موقف جمال عبد الناصر بعد أن قرر أعضاء الهيئة التأسيسية حل الأحزاب والهيئات كلها ومنع كل السياسيين القدامى من مزاولة أى نشاط سياسى .. وكان اللواء نجيب يرى نفس الرأى .. أى حل الأحزاب والهيئات

كان جمال هو الوحيد الذى عارض وأصرّ على موقفه ، وأمام هذا رأينا أن نعيد النظر فى الموضوع من جديد ، فكلنا كنا نؤمن بأن جمال لايتكلم الا اذا كان حديثه قائما على أسس واقعية

انه دائما ينظر الى بعيد، انه دائما ذلك المناضل الناضج الذى يعى موقفه ويعرف أين يضع قدميه .. وهو طوال أعوام نضالنا كان ينادى دواما بأن نلتصق بالشعب ولا نعزل عنه .. وهو كان دواما يرى اشراك الشعب فى كل صغيرة وكبيرة لأن المسألة مسألته وليست مسألة أحد غير الشعب ..

دينامو الثورة .. !

لقد عرفنا جمال منذ عام ١٩٤٣ عندما تسلم جمال قيادة التنظيم .. عرفنا فيه « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله ، ومن أجل هذا انتخبناه ثلاث مرات رئيسا للهيئة التأسيسية ، مرتين قبل الثورة ومرة بعدها ! .. ثم تنازل من تلقاء نفسه عن الرئاسة لنجيب .. وأصرّ على ذلك التنازل حتى اضطررنا الى الموافقة !

وقد ظللنا نفكر فى كلمات جمال التى قالها لنا وهو يعترض على القرار المذكور ويصر على اعتراضه الى حد تقديم استقالته !

فكرنا فى كل كلمة قالها وحللناها .. وكنا نعرف ان جمال يؤمن ايمانا

عميقا بالتنظيم ..

كان يقول دائما بأنه لايمكن أن يتم أى عمل بدون خطة .. ويعد للخطة آلاف الاعتبارات ..

كان كما قلت هو « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله .. وفى كل عمل قمنا به قبل الثورة أو بعدها كان نضج تفكيره هو الذى يحسم الموقف .. ومن أجل هذا كله آمنا به كصاحب عقلية متطورة منظمة مؤمنة .. وتلك هى العقلية التى يتحتم أن يتصف بها كل قائد ..

وأمام هذا كله ، رفضنا استقالة جمال فلا يعقل أن يدور جهاز — أى جهاز — بدون الشيء الذى يحركه ! وجمال هو الذى كان يحرك جهاز الثورة !

ورأينا انه لابد من أن نعيد النظر فى القرار

وفتحنا باب المناقشة .. مرة ثانية فى الموضوع .. وفى النهاية رأينا أن نعطى الأحزاب فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها وأهدافها بما يتفق والوضع الجديد .. بما يتفق ومصالح هذا الشعب . هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى ففى اعطاء هذه الفرصة للأحزاب والهيئات اشراك للشعب معنا فى الحكم عليها .. وسوف يعرف ان كانت ستعمل — بعد اعطائها تلك الفرصة — على تحقيق مصالحه وأهدافه أم انها لاتزال كما هى تستهدف مصالح قادتها وأقطابها !

صممنا على اجراء الانتخابات

وصدر القرار فعلا بهذا .. وتحدد — فى القرار — موعد أقصاه شهر فبراير عام ١٩٥٣ ، أى ستة شهور لاجراء الانتخابات ، بعد أن تنتهى الأحزاب من تطهير نفسها ، ومن تحديد أهداف جديدة وبرامج جديدة تتفق والوضع الجديد .. وتتمشى مع التطور الذى لابد منه للشعب

وكان على ماهر فى ذلك الوقت لايزال فى الحكم ، فأصدر بيانه المشهور الذى هاجم فيه الأحزاب كلها .. لكنه أغفل ذكر الموعد الذى حددته القيادة لاجراء الانتخابات !

وكنا قد أبلغناه بذلك القرار الذى يتضمن اعطاء فرصة للأحزاب لتهيئة نفسها للانتخابات .. بالتطهير وتحديد برامج وأهداف جديدة !

وبعد أن صدر بيان على ماهر بساعتين ، وقد فوجئنا باغفاله ذكر موعد الانتخابات ، أصدرنا بيانا آخر أكدنا فيه تمسكنا باجراء الانتخابات فى فبراير سنة ١٩٥٣ ..

فماذا حدث ؟ ..

لماذا لم تتم الانتخابات ، ولماذا لم يتقدم الساسة والزعماء الى الطريق ويمضوا مع الثورة حتى النهاية ؟ ..

لماذا لم يقرروا مد أيديهم للشعب فى كفاحه الطويل المرير ؟ !

لماذا لم يكونوا ديمقراطيين فيؤمنوا بأهداف الثورة ؟ .. وكان الهدف الأكبر للثورة فى ذلك الحين ، أو بعبارة أخرى كان الأساس الذى أردنا أن نقيم عليه بناء الثورة الكبير هو قانون تحديد الملكية .. أى ضرب رأس الخيانة والظلم والفساد السياسى فى البلاد .. الاقطاع

ديكتاتورية وديمقراطية !

فهل كان قانون الاصلاح الزراعى وهو قانون أخذت به أحدث الدول فى التقدم والتطور .. أقول هل كان ذلك القانون هو الذى كشف عن حقيقة الأحزاب والهيئات المصرية .. ونوايا قادتها وأقطابها ! ؟

أو ما هو الشىء الذى كشف عن نواياهم تجاه الثورة — أى الشعب — فمنع تنفيذ قرار الهيئة التأسيسية الذى حددنا فيه موعد الانتخابات خلال ستة شهور

انها كانت مرحلة خطيرة حقا فى كفاحنا .. ان رئيس الوزراء نفسه الذى يحكم فى ذلك الوقت كان يعارض ذلك القانون .. كما عارضه كل الباشوات .. فهل أخطأنا نحن وأصاب الباشوات ! ؟

هل كنا ضد الديمقراطية حين أصررنا على ضرب الاقطاع والبطش به ! ؟

هل كان موقفا ديكتاتوريا منا حين أردنا منع شخص واحد من أن يملك الأرض ومن عليها من بشر وحيوان وجماد ! ؟

ان كلمات جمال عبد الناصر لا تزال ترن فى أذنى ، عندما قال :

ــ سوف تستغل الرجعية موقفنا العنيف هذا من الأحزاب والهيئات لتشوه ثورتنا .. فتصمها بالديكتاتورية

أوصياء العرش والاقطاعيون

حددنا ــ اذن ــ موعد الانتخابات كما قلت ، وأعطينا للأحزاب فرصة لتراجع نفسها ، وتقرر هل هى تؤيد أحداث يوليو مثل الشعب ، أم هى قد روعت بما حدث فى ذلك الشهر الخالد

اعنى اننا أردنا أن نكشف الطريق أمام الثورة ..

فقد كان حتما علينا أن نعرف الأعداء الذين سيتربصون بالثورة وهى ماضية فى طريقها ، فاذا ما عرفناهم أصبح الطريق أمام الثورة أكثر امنا ونورا ، فلا يُطعن الشعب فى ظهره وهو ماض فى زحفه نحو المستقبل ..

وصدر القرار من الهيئة التأسيسية كما قلت وحددنا فيه شهر فبراير عام ١٩٥٣ لاجراء الانتخابات ، وكان أمام الأحزاب التى ستخوض معركة الانتخابات أن توضح نواياها تجاه أهداف الشعب بعد أن طرد فاروق .. فتطهر نفسها وتبعد عن صفوفها كل فرد فيها لاترى انه ينبغى أن يظل بها ، مهما كانت صفته فى الحزب .. وخاصة الأفراد الذين ارتبطت مصالحهم بمصالح العرش الذى طرد صاحبه

***

وبعد أن تكون تلك الأحزاب قد غيرت من برامجها وأهدافها أيضا ، فلا يعقل أن تبقى البرامج والأهداف التى حددتها الأحزاب لنفسها أيام فاروق والزمن قد تغير .. وكل شىء كان لابد أن يتغير والا فلا كانت الثورة ولا كان الكفاح فى سبيل قيامها .. !

وكان على ماهر رئيس الوزراء ، نفس السياسى المصرى الذى فرضته الثورة على فاروق قبل اخراجه من أرض الثورة

وأذاع على ماهر بيانا ــ كما قلت ــ هاجم فيه الأحزاب ، وأغفل فى البيان الاشارة الى قرار الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار ، والذى حددت

فيه القيادة الانتخابات ، واضطررنا بعد صدور بيان على ماهر الى اصدار بيان فى الحال أكدنا فيه اصرارنا على تحديد شهر فبراير المذكور لاجراء الانتخابات

لقد كان الوضع غريبا جدا ، فالوزارة التى تولت الحكم بعد ٢٣ يوليو كانت فى واد والثورة فى واد آخر ..

كنا نريد ثورة ، والوزارة لاتكاد تشعر بما يجرى وسيجرى تحت سماء مصر من أحداث ..

وربما كان يظن أفراد تلك الوزارة اننا فرضناهم على الملك لكى يحكموا ويوجهوا الشعب ويصنعوا مستقبله بلا ثورة !

مفاجآت لحكومة على ماهر

ولم تؤمن تلك الوزارة بأنه لابد أن يحدث تغيير فى الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى ..

وربما فوجئت تلك الوزارة باتجاه الثورة الى ضرب الاقطاع بعد أن خلعت الملك عن عرشه ..

وأكاد أعتقد أن الوزارة المذكورة فوجئت بالثورة نفسها فقد كان على ماهر يظن فى اللحظات الأولى للثورة ان المسألة لا تخرج عن ان الجيش له طلبات ، ويريد أن تنفذ ، ثم بعد ذلك يبقى كل شىء كما هو !

لكنه فوجىء بعد يومين من قيام الثورة برجال القيادة يكلفونه بحمل الانذار الى الملك بمغادرة البلاد ، وكان على ماهر قد اطمأن على بقاء النظام، بعد أن حمل طلبات الجيش الى الملك ، وموافقة الملك على تلك الطلبات ..

وبعد ذلك توالت المفاجآت أمام حكومة على ماهر ..

وعرف ان القيادة تريد انهاء مسألة الاقطاع فى الحال كوسيلة لتحطيم القيد الذى رسفت فيه أغلبية الشعب ــ الفلاحون ــ طوال مئات السنين.. فلم يكن لتلك الملايين ارادة على الاطلاق ولا حقوق على الحاكم ... بل الارادة كانت ارادة الاقطاعيين والحقوق كلها لهم ..

وكانت تلك هى فلسفة الثورة المصرية

الفلسفة التى تحددت فى منشورات الضباط الأحرار منذ بدأوا نضالهم التاريخى المرير فى سبيل الشعب

وقد تضمنت تلك الفلسفة أيضا القضاء على سيطرة رأس المال ..

حالتان كانتا لابد أن تزولا لتحقيق أهداف الشعب .. لكن الوزارة ــ كما قلت ــ كانت فى واد والثورة فى واد آخر ..

وأعود الى الانتخابات التى كانت قد تحدد موعدها ..

فعلى أى أساس كانت ستجرى تلك الانتخابات ! ؟

طلبنا ــ كما قلت ــ من الأحزاب أن تحدد موقفها من الثورة .. أى من أهداف الشعب .. كشرط أساسى للتعاون بين الثورة وبينها .. لأنه كان لا يعقل أبدا أن تجرى الانتخابات بعد طرد فاروق والباشوات وأذنابهم والارستقراطيون هم الذين يسيطرون على كل الدوائر الانتخابية

ان الاقطاع هو الذى سيكسب المعركة ، كما كان يكسبها دائما فى كل الانتخابات التى جرت فى هذه البلاد

فالاقطاعى يملك القرى والأرض بمن فيها ومن عليها من بشر .. ومصير الناخب أى الفلاح كان فى قبضة ذلك الاقطاعى . والاقطاعى فى يده أن يجيعه ويشرده مع أبنائه .. فكيف السبيل الى تحرير الفلاح من هذا القيد حتى يمكنه أن يختار الذى يمثله فى برلمان بلاده ؟

ان السبيل كان واضح المعالم ولا يحتاج الى سؤال ..

لترفع الثورة القيد الذى يرسف فيه الناخب، وبعد ذلك ستكون للناخب الارادة وتكون له الحرية فى اختيار ممثليه فى البرلمان .. لتبطش الثورة بعدو هذه الملايين المستعبدة .. والعدو هم هؤلاء الأفراد القلائل الذين يملكون الأرض ومن عليها ويتحكمون فى حياة ومصائر أغلبية الشعب .. الفلاحين ..

لقد تقرر هــذا فعلا كاجراء حتمى اتخذته الثورة لتمهد للديمقراطية الصحيحة التى ما قامت الا من أجل تحقيقها للشعب

جمال يجتمع بسراج الدين

كانت نوايانا واضحة .. أردنا ديمقراطية صحيحة تمكن الشعب من فرض

ارادته وحكم نفسه بنفسه ، وأراد جمال أن يشرك كل الهيئات والأحزاب فى تحقيق أهداف الثورة وفى صنع مستقبل الشعب

ودفعه ايمانه بهذا الرأى الى مقابلة فؤاد سراج الدين .. قطب الوفد الكبير ومحرك سياسته وصاحب الكلمة الأولى فى اتجاهات الحزب المذكور

وفى منزل اليوزباشى عيسى سراج الدين قريب قطب الوفد وصهر رشاد مهنا تمت المقابلة !

وكان مع جمال فى ذلك الاجتماع عبد الحكيم وصلاح وبغدادى ، وكان مع فؤاد سراج الدين ابراهيم طلعت وأحمد أبو الفتح

وتكلم جمال عن حزب الأغلبية ، وعن ايمانه بأنه من الممكن جدا للحزب الكبير أن يصلح من الأوضاع السائدة فيه وفى قيادته ، ويغير من أهدافه وبرامجه بما يتفق والوضع السياسى الجديد بعد فاروق

ومضى جمال يقول لسراج الدين وزميليه : ان حزب الوفد لو فعل هذا لأصبح من السهل أن يسيّر دفة الأمور ، فالثورة لاتريد ديكتاتورية ..

واشترط لكى يتم التعاون بين الثورة وحزب الوفد شرطا واحدا وهو أن يصدر الحزب بيانا يعلن فيه على الملأ موافقته على قانون تحديد الملكية ، لأن الديمقراطية كما يفهمها هو ، بل كما يفهمها كل الديمقراطيين فى جميع أنحاء العالم ليست برلمانا فقط .. بل هى تحرير الفرد من كل القيود .. هى تحرير عبيد الأرض حتى يمكن أن يعبروا عن ارادتهم وبالتالى يمكنهم اختيار ممثليهم فى البرلمان بلا ضغط من أصحاب الأرض الاقطاعيين !

واستمرت المناقشة أربع ساعات ... جمال ورفاقه يتحدثون عن حقوق الشعب والأسلوب العملى لاعطائه تلك الحقوق .. لكن فؤاد سراج الدين رفض الموافقة على تحديد الملكية .. وقال انه لا يمانع فى رفع الضريبة على الأرض ، اما تحديد الملكية فلا .. ولا !

ورد عليه جمال بأن رفع الضريبة ربما ضاعف من ايرادات خزينة الدولة ، ولكنه لا يحقق الهدف السياسى الذى تؤمن به الثورة .. أى تحطيم قيود عبيد الأرض ليختاروا ممثليهم الحقيقيين فى البرلمان بلا قهر أو ارهاب .

وهذا هو أساس الديمقراطية الحقة ..

ثم انتهى الاجتماع عندما قال فؤاد سراج الدين انه سيعرض الأمر على حزب الوفد فى الاسكندرية ، وبعد ذلك سيصدر بيانا فى أقرب وقت ..

وخرج جمال والزملاء لننتظر جميعا بيان الوفد ..

وقد سافر فؤاد سراج الدين الى الاسكندرية فعلا ، وعقد الوفد اجتماعه وناقش موضوع تحديد الملكية .. أى زوال الاقطاع .. ثم رفض الحزب الموافقة على هذا الاجراء الثورى ! ..

لم يصدر الحزب البيان كما وعد سراج الدين .. فماذا كانوا يتوقعون ؟ ! وماذا كانوا ينتظرون من القيادة ؟ ! ..

هل كانوا يؤمنون بأن المسألة لن تخرج من أيديهم ، وانهم هم الذين سيحكمون البلاد رغم كل شيء .. وبلا ثورة ! ؟

ان المسألة لم تكن ثورة فى اعتقادهم .. ظنوها انقلابا كما كانوا يشيعون والانقلاب لا يحتم تغيير الوضع السياسى أو الاجتماعى .. ولا يحتم اعطاء الشعب حقه الكامل فى التعبير عن ارادته وحكم نفسه بنفسه ..

وهنا فقط آمن جمال عبد الناصر بأنه لا أمل له على الاطلاق فى تعاون هؤلاء الساسة والأقطاب مع الثورة ..

هنا فقط اقتنع جمال واقتنعنا نحن جميعا بأن الشعب فى واد والأحزاب والهيئات كلها فى واد آخر

وأين الثورة ؟

ورئيس الوزراء — كما قلت — قد عارض فى تحديد الملكيـة مثلما عارض حزب الوفد ، وقال لنا ان الضريبـة التصـاعدية تكفى .. أى ان الانتخابات ستجرى وسيكسبها نفس الأشخاص الذين مثلوا الفلاح رغم أنفه فى البرلمان .. وفى هذه الحالة كان الاقطاعيون ودعاة سيطرة رأس المال سيحكمون البلاد من جديد ويتحكمون فى مصير الشعب عن طريق ذلك البرلمان ! ؟

فأين اذن تكون الثورة لو كان قد حدث هذا ؟ ..

بل أين هى الديمقراطية لو كنا تخلينا عن مبادئنا وأهدافنا ؟ !

أى لم تحدد الملكية وجرت الانتخابات فى فبراير .. والأحزاب يسيطر عليها الاقطاعيون والارستقراطيون أعداء الشعب ! ؟

ان الأحزاب لم تستجب لنداء الثورة .. وبقى نفس الأقطاب وتجار السياسة والوطنية وجلادو الديمقراطية يقودونها ، ويتحفزون لمعركة فبراير الانتخابية ليوقفوا زحف الثورة بعد فوزهم ، كما كان الأمر يجرى فى الماضى !

رشاد مهنا مع الاقطاع

لم يكن رئيس الوزراء هو الذى عارض فى تحطيم الاقطاع وحده .. بل ان عضوين فى مجلس الوصاية عارضا قانون الاصلاح الزراعى وبشدة .. فأى موقف أعجب من هذا ! ؟

وكيف كنا نستطيع تحقيق الديمقراطية الصحيحة وأهـداف الشعب لو انسقنا مع التيار ، وتركنا كل شىء كما هو بلا تغيير ! ؟

ان رشاد مهنا وبهى الدين بركات عارضا القانون ، وهما الوصيان على العرش اللذان وضعتهما الثورة فى هذين المكانين ..

وكما قلت كان تحطيم الاقطاع هو الأساس الذى حددناه للتعاون بين الثورة والأحزاب والهيئات .. !

وهكذا اختلفنا .. وكان خلافا جوهريا خطيرا .. فنحن نريد ثورة .. وهم يريدون حكما .. !

قلنا للحكومة ..

وقد دارت مناقشة تاريخية حول هذا الخلاف الخطير فى جلسة فى دار مجلس الوزراء وحضر هذه الجلسة جمال عبد الناصر ، وجمال سالم ، وصلاح سالم كممثلين للقيادة . كما حضر الجلسة رشاد مهنا ، وبهى الدين بركات ، وعلى ماهر ، وعبد الجليل العمرى ..

فانظروا اذن الى الموقف وكيف كان عجيبا ومثيرا ..

ان رجال الثورة لم يتراجعوا .. وقالوا لرجال الحكومة وللوصيين على

العرش : انه لابد من انهاء مسألة الاقطاع .. والمسألة ليست اقتصادية فقط ، بل هى فى صميم السياسة !

فالشعب الذى فرض ارادته على فاروق وأرغمه على التنازل عن عرشه لم تفعل قواته المسلحة ذلك لأن الملك كان فاسدا فقط .. بل لأنه كان عقبة فى طريق الديمقراطية الصحيحة ، ويجب أن تزال كل العقبات أمام الثورة لتحقيق هذه الديمقراطية . وبقاء الاقطاع ، ونزول الاقطاعيين الى معركة الانتخابات فى فبراير عام ١٩٥٣ سوف لايحقق هذه الديمقراطية ، وسيظل الوضع كما كان أيام فاروق : برلمانات يتثاءب أعضاؤها فى مقاعدهم ، ولا يستيقظون الا ليقولوا نعم ... موافقون ! ..

والثورة تريد برلمانا يمثل أعضاؤه طبقات الشعب على اختلافها تمثيلا حقيقيا لا قهر فيه ولا ارغام !

واستمرت المناقشات بين رجال الثورة ورجال الحكومة أياما عديدة ..

الاحزاب ترفض نداء الثورة ..

وشعرنا فى تلك الأيام ان الاقطاعيين بدأوا يتكتلون مع الحكومة وأوصياء العرش ، ليسدوا الطريق أمام الثورة .. ولم تتحرك الأحزاب ولم يفق رجالها من الغيبوبة التى ظلوا فيها منذ ربع قرن مضى على البلاد ، والملايين من أبنائها يتطلعون الى العدالة والحرية والحق والعدل والعلم فلم تمكنهم تلك الأحزاب التى لا تمثل الا أصحابها من تحقيق هدف واحد من هذه الأهداف ..

وانى أذكر تلك المناقشة التى دارت فى البرلمان أيام حكومة الوفد .. حين وقف الدكتور طه حسين وطلب اعتمادات مالية لوزارة المعارف ، حتى تتمكن الوزارة من انشاء مدارس جديدة لأبناء البلاد .. ويومها وقف البدراوى وصرخ فى برلمان الأمة قائلا : « طيب علموا الشعب ، وبكره تشوفوا حيجرالكم ايه منه ! »

ذلك كان موقفهم من الشعب على الدوام

فهل كانت الثورة تستهدف الديكتاتورية حين أبعدت تلك العصابات من

ميدان السياسة ليتعلم الشعب ، وليتحرر وليصنع مستقبله وليقرر مصيره بنفسه ! ؟

ما أروعها من ديكتاتورية ، لو كانت كذلك .. لو كانت تستهدف أن يسكت البدراوى الى الأبد ، فلا يتكلم باسم الشعب.. واذا كانت تستهدف أن يجلس فى البرلمان مواطن من صميم الشعب ليتكلم باسم الملايين لا باسم فرد أو أسرة

تلك هى ديكتاتوريتنا وتلك هى ديمقراطيتهم ..

ديكتاتوريتنا التى فرضت على العرش أن يسقط ، كما أراد الشعب .. ديكتاتوريتنا التى حتمت أن يتحرر ملايين الفلاحين من السخرة .. من طغيان مالك الأرض ، ليبدأوا مرحلة جديدة فى تاريخ تطورهم ، وليختاروا بلا ضغط من البدراوى أو سراج الدين أو أمير مخمور ممثليهم فى البرلمان !..

***

انها ديكتاتورية الشعب كما أعلنها جمال عبد الناصر منذ شهور على الملأ .. وهى الديمقراطيـــة الحقيقية ، لا ديمقراطيـــة العـــائلات والأمراء والمخمورين !

ومن أجل هذا .. من أجل فرض ارادة الشعب على الحاكم فى البرلمان كما أرادت الثورة ، لم تحدد الأحزاب موقفها ، لم تغير من برامجها وأهدافها لم تقبل الوضع الجديد .. لم توافق على أن تكون فى مصر ثورة ..

ولم يخرج من قيادتها الاقطاعيون والارستقراطيون والسماسرة .. بل بقوا ليخوضوا معركة فبراير كأن شيئا لم يحدث بعد فاروق !



الفصل العاشر

محمد نجيب والثورة

الشاعات

سئلت من كثير من المواطنين المصريين لماذا لا تتكلم عن محمد نجيب بصراحة ، وتروى لنا قصته كلها مع الثورة ! ؟

والواقع ان كل أصحاب الخطابات التى وصلتنى حول هـذا الموضوع كانوا على حق .. فليس من المنطق قطعا أن أتحدث عن موقف مجلس قيادة الثورة من ساسة الماضى وأحزاب الماضى ثم أغفل قصة نجيب معنا ..

ومضيت مع خواطرى .. ثم وجدتنى فى حيرة

كيف أبدأ القصة ! ؟

ثم هل هذا وقت الكلام فى موضوع انتهينا منه ! ؟

وعدت أتطلع الى الخطابات المتناثرة على مكتبى .. ان أصحابها ينتظرون الآن ما سوف أقوله لهم عن اللواء نجيب ، ولا بد انهم وكل الشعب يريد أن يعرف القصة ... وهذا ما زاد من حيرتى !

لقد سكتنا على الدوام ــ نحن رجال الثورة ــ حيـال ما يقال عنا ، وموقفنا من اللواء نجيب ، وفسر المغرضـون هـذا السكوت بما يتفق ومصالحهم وأشاعوا ان اللواء نجيب اختلف معنا ، أو اختلفنا نحن معه لأنه ديمقراطى ويعشق الدستور والحريات والشعب .. أما نحن فلا .. نحن نخالفه فيما ذهب اليه ، ونحن وقفنا فى طريقه الذى كان سيقود الشعب فيه الى الحرية والديمقراطية والدستور !

وطارت الاشاعات والأقاويل هنـا وهناك ، وكل اشـاعة كانت تؤكد ديمقراطية نجيب وديكتاتورية مجلس قيادة الثورة ، وأعضـاء المجلس المذكور يلوذون بالصمت ويتركون الأقوال تترى والاشاعات تطير الى حيث تشاء ، ولم يحاول مجلس الثورة اذاعة القصة كلها .. ليعرف الشعب الحقيقة الصارخة .. !

كنا وحدنا الذين نعرف الحقيقة ، أما الشعب فكان لايعرف سـوى الاشاعات !

فهل نقول الحقيقة وأمرنا لله ! ؟

ومرة ثانية — أو ثالثة لا أدرى — عدت الى كومة الخطابات أنقل بصرى بين سطور بعضها .. ان أصحاب الخطابات يريدون الحقيقة .. يريدون أن يعرفوا .. هـل نجيب اختلف معنـا لأنه ديمقراطى ويريد الدستور ، أم لسبب آخر ! ؟

ان المسألة لم تعد تحتمل السكوت .. فهى مسألة الشعب وليست مسألة شخصية ..

ونجيب ان كان على صواب ، فالشعب سوف يعرف الحقيقة اليوم أو فى الغد .. وان كان قد أخطأ ، فالشعب سيعرف أيضا كيف أخطأ سواء قلنا له نحن الحقيقة أو قالها التاريخ فيما بعد

وبين الرسائل التى أمامى واحدة يصرخ صاحبها ، وتكاد صرخاته تقفز من بين سطور الرسالة ... انه يقول لى :

« قل لنا الحقيقة كلها ، فمن حقى ومن حق كل مواطن أن يعرفها .. لماذا قلتم لنا أن محمد نجيب هو قائد الثورة ، ولماذا حملتموه على أكتافكم الى الوجه البحرى ثم الى الوجه القبلى ، ثم قدمتموه الى الدنيا كلها شرقها وغربها على انه قائدكم .. وبعد ذلك تبين انه كان يتآمر على هذه البلاد ، ثم لايلقى جزاءه .. نريد أن نعرف الحقيقة ! ؟ »

وقد مرت علىّ لحظات بعد أن قرأت تلك الرسالة ، وكانت لحظات مليئة بالحيرة والتأمل ، ثم قررت أن أروى قصة محمد نجيب كلها .. قررت أن أرويها لكى نسدل الستار نهائيا على هذا الموضوع .. ثم نستريح ونريح !

وأمسكت بالقلم وتوكلت على الله ..

من أين أبدأ ؟

هل أبدأ قصة اللواء نجيب بتاريخ أزمة ٢٦ فبراير عام ١٩٥٤ التى قبل فيها مجلس الثورة استقالة نجيب ثم لم يلبث أن أعاده ! ؟

أم أبدأ بيوم ٢٥ مارس وقراراته المشهورة .. ! ؟

ان عشرات من المواقف تتبلور أمامى الآن .. وكل موقف منها يصلح

ليكون بداية لقصة رهيبة .. لأضخم قصة فى تاريخ هذه الثورة !

هناك مثلا موقف ٢٧ مارس عام ١٩٥٤ .. وكنا يومها قد ذهبنا الى مطار ألماظة لنودع صاحب الجلالة الملك سعود ، وكان الوقت فى الصباح الباكر، وعرجنا على ميس ضباط الطيران لتناول طعام الافطار على مائدتهم ، وما كدنا نمسك بأقداح الشاى حتى اقتحم « الميس » خمسة من ضباط الطيران على وجوههم الحنق الشديد ، وكانوا يلهثون وهم يقولون لنا :

ـ تعالوا ... الحقوا نجيب .. ! ؟

وبداية أخرى لقصة نجيب .. يوم أن عثرنا على تقرير فى قصر عابدين بين أوراق حافظ عفيفى ، والتقرير مرفوع الى السدة العلية الملكية قبل الثورة بيومين اثنين فقط .. فمن الذى أرسله الى القصر .. الى السدة العلية الكريمة ؟ !

انه بطل هذه القصة .. اللواء نجيب !

ان خيوط القصة تتجمع الآن كلها فى يدى .. ها هو الخيط الأول ..

ها هو جمال عبد الناصر يذكر لنا اسم نجيب لأول مرة قبل قيام الثورة ، ولم يكن نجيب وحده الذى رشحه جمال ليوضع على رأس الثورة ، بل كان هناك شخصان آخران رشحا لهذه المهمة مع نجيب ، فلماذا وقع الاختيار على نجيب ! ؟

الايام الاولى

اننى أرى الآن أمامى وجه نجيب وهو جالس معنا فى الأيام الأولى للثورة ... انه كان وجها طيبا يفيض بالاخلاص الشديد للثورة !

كانت تصرفات نجيب تبدو لنا رائعة للغاية فى الأيام الأولى ، عندما كنا نعمل جميعا فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، ننام هناك ونأكل ونشرب هناك أيضا

كان نجيب يتوجه الينا بالحديث بمناسبة وبغير مناسبة قائلا :

ـ أنا أشعر بالخجل من نفسى ، لأنى أراكم تنسون أنفسكم تماما ، وأنا

لم أفعل شيئا ، لكنكم تنسبون الى كل شيء ، وكل شيء قد تم بمجهودكم أنتم ..

وكانت تلك الكلمات التى سمعناها من اللواء نجيب ـ بمناسبة وبغير مناسبة ـ كافية لكى تبعث فينا الثقة المطلقة به ، مما دفعنى الى أن أخرج الى الناس ذات مرة وأخطب فيهم متحدثا عن نجيب وزعامة نجيب !

بل ان عبد اللطيف بغدادى تأثر ذات مرة الى الحد الذى قال فيه لنا :

« اننى أحب هذا الرجل كأبى تماما ، وأخشى أن يكون حبى له أكثر.. »

فماذا حدث بعد كل هذا .. وبعد أن وقف عبد الحكيم عامر فى قريته « اسطال » يبايع نجيب أمام أهله ، وبخطاب حماسى رائع كان عبد الحكيم عامر خلاله متأثرا الى حد انه تشنج !

لقد كنا جميعا نشعر بالحب لذلك الرجل ، لأنه كان فى الأيام الأولى لايترك مناسبة دون أن يبدى فيها خجله منا ، ويعبر فيها عن دهشته لأننا نسى أنفسنا ، وننسب كل شيء له ، وهو الذى لم يفعل شيئا ! ؟

ان قصة اللواء نجيب مليئة بالأحداث والغرائب ..

انها أعجب قصة فى تاريخ مصر الحديث ، انها الاسطورة الكبرى التى ظهرت على ضفاف النيل فجأة ثم تلاشت أيضا فجأة كضباب الضحى ..

انها قصة الصراع الهائل الخالد بين من يؤمنون بحرية الشعوب ويعملون لتحقيقها وبين الذين لايؤمنون الا بأنفسهم ، حتى اذا كانت وسيلة ذلك هى تضليل الجماهير !

انها قصة الثورة المصرية وكيف تمت وكيف قرر قادتها المضى بها حتى نهاية الشوط رغم كل العقبات ..

وهى أيضا قصة الذين كانوا يرهبون كلمة « ثورة » ويحاولون وقفها بأكذوبة الدستور والانتخابات والأحزاب

وهى نفسها قصة الصراع الخالد المجيد بين جيل ثائر يريد أن يبنى مصر فتصبح دولة عظمى .. وجيل عفن مهزوم عاش فى كنف الخنوع وأصبح لايعنيه أن يتطور الشعب أو يتحرر ، أو تنشق الأرض فتبتلع أفراده جميعا

انها قصة القيادة المؤمنة الباسلة التي تقدمت الصفوف بلا وجل، وخاضت أعنف المعارك ، وصمدت ثم أثبتت ان الشعب سينتصر على الدوام .. !

هى باختصار قصة الثورة الديمقراطية ..

وسوف يقرأ الشعب القصة كاملة ، فأنا أعدها منذ اليوم

أعدها من أجل الحائرين الذين رأونا نحمل نجيب على أكتافنا الى قبلى ثم الى بحرى . ورأونا ونحن ننكر أنفسنا ونذكره ، ورأونا ونحن نصنع منه زعيما ، وهو يحفر للثورة قبرا .. !

نجيب يدخل من ابواب التاريخ

كيف دخل اللواء نجيب من أبواب التاريخ ! ؟

من فتح تلك الأبواب أمامه وقال له : تفضل ... أنت زعيم ! ؟

وعلى أى أساس قامت زعامته وقيادته لثورة شعب ! ؟

لقـد هتف الشعب والجيش له من الأعماق ، وتردد اسمه على أفواه الناس فى مصر وفى كل شبر من العالم لأنه القائد الذى انتصر وحرر بلاده ..

لقد كان نجيب رمزا لبطولة اسطورية بهرت العالم كله

وفى كل بيت فى مصر علقت صورته ، صورة البطل الذى ظهر فجأة فى أرض النيل ، ليحرر العبيد ، ليطعم الجياع ويبرىء المرضى وينشر العلم والعدل والحق والمساواة ..

الجميع قالوا له : انت زعيم ، انت بطل ، انت منقذ الشعب .. انت محرر الوادى

لم يختلف أحد من أفراد الجيش أو الشعب على زعامة نجيب وبطولة نجيب وقيادة نجيب ، وكان عليه أن يتقدم الصفوف ليحقق آمال البلاد فى قائد ثورتها ..

لم يكن ينقصه شيء أو يعطله شيء .. فكل مقومات الزعامة والبطولة والمجد والولاء قد وضعت تحت أقدامه ، فماذا حدث ! ؟ لماذا لم يتقدم فى الطريق الى النهاية .. وماذا كان يعطله ! ؟

لقد أخلينا أمامه الطريق تماما ، ووضعناه على رءوسنا ، ثم أنكرنا ان

هناك أبطالا غيره .. كان مجرد الاشارة الى بطل آخر غير نجيب جريمة فى رأينا ..

كنا نؤمن بأن الذى حدث فى مصر يوم ٢٣ يوليو يجب أن ينسب الى رجل واحد ، رجل يصبح زعيما يقود الشعب فى الطريق الطويل الوعر حتى النصر ..

كنا نؤمن بأن كل الذى صنعناه طوال أعوام نضالنا قبل ٢٣ يوليو هو من أجل هذا الشعب .. من أجل ثورته على أعدائه ، وكل ثورة يجب أن يقودها زعيم

ونجيب أصبح الزعيم .. ثم ماذا حدث ؟ ..

لماذا انهارت زعامته .. لماذا اختفت الاسطورة سريعا كضباب الضحى ؟..

هل لأن مجلس الثورة يريد الدكتاتورية ، ونجيب يريد الديمقراطية ؟ .. ومن أجل هذا عزلناه وأبعدناه من الطريق ؟ ..

اننى هنا أنشر الحقائق كلها ، ليعرف العالم كله شرقه وغربه حكاية اللواء نجيب .. وليعرف الشعب هنا فى مصر من كان يريد الديمقراطية ومن هو الديكتاتور ... وليعرف الشعب من هم الثوار ، ومن هم الحكام ؟..

***

وقبل أن أبدأ القصة أود أن أسجل هنا خاطرا مر بذهنى وأنا أمسك بالقلم لأبدأ القصة ... تخيلت جمال وعبد الحكيم وصلاح وبغدادى وجميع الرفاق فى تنظيم الضباط الأحرار ، وقد بطش بهم نجيب فى أزمة مارس الماضى ، وأصبح هو الحاكم على البلاد ..

فماذا كان سيحدث فى مصر ، بعد البطش بالذين صنعوا نجيب ؟ ..

هل كان نجيب سيطلق الحريات والعدالة والحق .. وباختصار هل كان سيجىء للشعب بالديمقراطية ... وعلى يد من ؟ ..

هذا هو السؤال ..

على يد من كان نجيب سيحقق أهداف الثورة المصرية ؟ ..

على يديه وحده .. أم كان سيكمل اتصالاته فى مارس المشهور ويجىء

بابراهيم عبد الهادى وبالهضيبى وبالنحاس وبسراج الدين وبكل أقطاب الرجعية المصرية ليحكموا البلاد من جديد ؟ ..

على أى حال ، الله وحده الذى كان يعلم ماذا كان سيصنع نجيب بالبلاد بعد أن يبطش بنا ؟ !

والذى كان معروفا انه كان ينوى تكوين مجلس لرئيس الجمهورية يضم الاخوان والسعديين والوفد والأحرار الدستوريين ، ويلغى مجلس الثورة

الثورة والدستور

قلت ان الأحزاب لم تفهم معنى الانذار الذى وجهناه اليها بضرورة تطهير نفسها .. وكان مفروضا أن تسرع تلك الأحزاب فتغير من برامجها ، ومن أشخاص قادتها ومن معتقدات أفرادها — اذا استطاعت — لكن تبعد عن الأذهان الفكرة السائدة عنها — بالرغم من حسن نوايا الثورة — وهى ان هؤلاء الناس ليسوا سوى تجار سياســة ، وان الشىء الذى يعنيهم سواء أكانت فى مصر ثورة أم أسرة مالكة هو أن يحكموا البلاد

والواقع ان موقف الثورة من الأحزاب كان خاطئا من البداية .. فهى — أى الثورة — كان حتما عليها ، أن تقضى على كل التركة التى خلفها لنا العهد الماضى ، والأحزاب بشكلها الموجود كانت شيئا مخالفــا لمفهوم الثورة .. وما حدث فى البلاد من مآس ومن ظلم وغدر واستبــداد منــذ وجدت فيها تلك الأحزاب لا تقع مسئوليته على النظام الذى كان قائما ، بقدر ما تقع هذه المسئولية على القيادات السياسية التى تولت زمام الأمور بالتتابع فى كنف دستور اقطاعى ملكى يحفظ لهذه القيادات السياسية حقها فى البقاء والحكم والاستبداد بالشعب

***

أقول انه كان مفروضا بعد أن مدت الثورة يدها البيضاء الى القيادات السياسية الموجودة فى البلاد ، أن تفهم تلك القيادات أن ما حدث فى مصر ليس انقلابا ســوف يزول بين وقت وآخر ، بل الذى حدث هو تطور

اجتماعى محتوم يفرض على كل القيـادات السياسـية اذا كانت حقـا ـ ديمقراطية ـ أن تؤمن به وتعمل على تحقيقه ببرامج مدروسة تتفق مع الاتجاه الذى سار فيه التطور الاجتماعى المذكور ، بل كان مفروضا أن تنظر فى بعض القيادات السياسية فتضع برامج تهدف الى القفز بركب التطور فى البلاد الى أبعد مدى ، لا الى تعطيله ووقفه كما أرادت بعض تلك القيادات

ويبدو ان رفض الأحزاب الوقوف الى جانب التطور الاجتماعى كان من صالح البلاد .. فلو كانوا قد فعلوا لظهرت بعد توليهم الحكم حقيقة شعورهم ومدى ايمانهم بالثورة المصرية واتجاهها الانسانى نحو التحرر والعدالة

فكل القيادات السياسية التى مارست الحكم والسياسة فى مصر طوال ربع القرن الأخير، كان كل أفرادها من طبقة معينة لا تتفق مصالحها على الاطلاق مع مصالح طبقات الشعب الكادحة والمتوسـطة التى استمدت الثورة أهدافها الحقيقية من مصالحها

وبالرغم من تراجع الأحزاب عن خط الثورة المصرية ، وبالرغم من رفض قيادات تلك الأحزاب التطهير المطلوب الذى يحتمه معنى الثورة ، فاننـا ظللنا نؤمن بامكان التعاون مع الجميع فى نطاق الوضع الثورى الذى وجد بعد ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، فأردنا أن تكون فى البلاد أحزاب ، وأن تجرى انتخابات ، وأعددنا قانون الأحزاب فعلا ، وكان الهدف الأساسى لذلك القانون هو أن تسجل الأحزاب الجديدة برامجها الجديدة بشرط استبعاد الأشخاص الذين ثبت انهم أفسدوا فى الحياة السياسية ، وهم أكثر من أن نحصيهم هنا ...

النحاس وسليمان حافظ

وبدأ الوفد يناور ويحاور، ثم وقع حادث صلاح الدين، وسليمان حافظ وهو حادث مشهور ولم تكن لنا فيه يد على الاطلاق

فقد ذهب محمد صلاح الدين ، وزير خارجية الوفد لمقابلة وزير الداخلية

فى ذلك الوقت ، وذلك ليسجل حزب الوفد الجديد هيئته التأسيسية .. وفى مكتب سليمان حافظ جلس صلاح الدين يتحدث مع الوزير .. وفجأة قال سليمان حافظ لصلاح الدين :

ــ مصطفى النحاس ده عبارة عن دمل ولازم يتفقع

وطلب سليمان حافظ أن لايشترك النحاس بصفة فعلية فى ادارة حزب الوفد الجديد

وهرول صلاح الدين الى سراج الدين وأبلغه الحكاية ، وذهب سراج الدين الى النحاس وروى له ما قاله سليمان حافظ ، ثم بدأت المعركة بين الوفد وسليمان حافظ

وكما قلت : لم يكن للثورة دخل فى الموضوع ، لكن الحملة التى شنها الوفد على سليمان حافظ امتدت الى الثورة نفسها .. فكتب أحمد أبو الفتح سلسلة مقالات تحت عنوان « الى أين ... » وقد أظهر فيها بطولة خارقة ، فبدأ يتكلم عن الثورة بأسلوب عجيب ، واعتبرها انقلابا من انقلابات الأقليات السياسية ، وكان ذلك خطأ كبيرا وقع فيه الكثيرون من رجال السياسة والقلم فى البلاد

وأذكر اننى كنت فى ذلك الوقت مسـئولا عن الرقابة على الصحف وسمعت زملائى فى مجلس الثورة يتساءلون :

ــ هل من المصلحة أن يقال مثل هذا الكلام ؟ .. اننا لم نقم بما قمنا به لمصلحة حزب معين ، بل لمصلحة الشعب كله ، فمالنا نحن وسليمان حافظ وأحمد أبو الفتح وباقى الناس الذين ليس لهم وضع فى الثورة ، والذين ان جد الجد وأحسوا برقابهم تتأرجح فوق أجسادهم ــ كما حدث لنا ليلة ٢٣ يوليو ــ لفزعوا وولوا الادبار ..

تجاهل الوضع الثورى ..

وسمعت كلاما كثيرا من الزملاء الثوار ، وبعضهم قال : ان هذا الكلام فيه تضليل للشعب ، لأن أحمد أبو الفتح اعتبر اننا حكاما وتجاهل الوضع الثورى

وقلت يومها لزملائى : دعوه يكتب كيف يشاء .. ودعوه يفرغ كل ما فى رأسه من كلام ، ولنرَ صدى كلامه عند الرأى العام ..

وفعلا لم يكن لتلك المقالات صدى معين لأنها كانت تأخذ نفس الشكل القديم لمقالات الصحف المصرية التى تسيطر عليها الأحزاب .. مدح فى هذا وقدح فى ذاك ولا شيء غير ذلك .. لا موضوع ولا رأى ولا توجيه ثورى ، أو على الأقل يستهدف الصالح العام ، لا مصالح حزب الوفد فقط ...

كانت مقالات « الى أين ... » كلها مدحا فى مصطفى النحاس ، كأن مصطفى النحاس هو القضية ، وليس الشعب

وكان الناس لايزالون يذكرون موقف النحاس أثناء توليه الحكم آخر مرة ، من القصر ... وكيف تحالف حزبه معه الى أبعد مدى ، وتنازل عن شكله الشعبى من أجل أن يبقى فى الحكم ... لهذا كان مدح النحاس ــ آخر حليف سياسى لفاروق والاقطاع ــ شيئا غير مستساغ بالمرة فى وقت رأى الناس فيه صاحب العرش يطرد من البلاد

واحد وعشرون زعيما

وانتهت زوبعة « الى أين ... » وبدأت اخطارات الأحزاب الجديدة تترى وخيِّل الينا أن مصر سوف تشهد عهدا غريبا يتصارع فيه آلف حزب سياسى من أجل كراسى الحكم ...

وأحصينا الرقم الأخير فوجدنا أن هناك واحدا وعشرين زعيما فى مصر ، تقدم كل واحد منهم باخطار عن حزب جديد ، وبينهم زعماء لم يسمع بهم أحد ... وكأن الأرض قد انشقت عنهم فى غفلة من الشعب

مبادىء من كل لون ، وبرامج غير مفهومة وكثير جدا منها متشابهة بل تكاد تكون نسخة طبق الأصل من بعضها

وجلسنا نفكر ، هل هذا هو ما تريده الثورة المصرية ؟ .. وهل هؤلاء الزعماء الواحد والعشرون هم الذين سيسيرون بالثورة المصرية الى نهايتها؟

ومن هم ؟ !

ما هو ماضيهم ؟ !.. ما هو كفاحهم ؟ !

رحلة ملكية لرشاد مهنا

ولم نكن ندرى ماذا يدور فى رأس رشاد مهنا بالتحديد ، ورأيناه يدلى بأحاديث صحفية وينظم حملة دعاية عجيبة حول شخصه ، فيذهب الى مسجد السيدة ليصلى الفجر « حاضرا » ومعه مصورو الصحف الذين لم يصلوا الفجر « حاضرا » مرة واحدة من قبل !

ولم نبـال بهذه التصرفات الغريبة ، فقد كنا نتوقع أن يذهب كرسى « العرش » بلب رشاد مهنا الى حد ما ... لكن فوجئنا ذات يوم برشـاد وهو يأمر ادارة قصر عابدين باعداد العدة لقيامه برحلة الى واحة سيوه ؛ وكانت الأوامر التى أصدرها رشاد تطابق تماما الأوامر الملكية التى كانت تصدر فى مثل هذه الأحوال ... سيارات من جميع الماركات والأشكال وحاشية وخدم ومصاريف ... وعندما بلغنا النبأ نظرنا الى بعضنا وقلنا :

ـ الله ... ايه الحكاية ! ؟

كنا نعرف ان رشاد مهنا لايؤمن بمعنى الثورة ولا يفهمها ، لكننا لم نكن نتوقع أبدا أن يعين رشاد مهنا نفسه ملكا هكذا ببساطة ... وكأن طرد فاروق كان حبرا على ورق ...

ويبدو أن سراى عابدين ومناظرها والأبهة الشائعة فى حجراتها وكل مكان فيها و « الجو » الملكى الذى يطبع ذلك القصر بوضوح . كل هذا قد ذهب بلب رشاد مهنا فطار عقله ونسى انه ليس من أسرة محمد على

***

ويبدو أيضا ان سراى عابدين كانت شؤما على كل من حكم منها البلاد.. وأذكر ان جمال عبد الناصر فى ابريل عام ١٩٥٤ كان يجلس فى مكتب اللواء نجيب بعابدين ، وقال جمال للواء نجيب :

ـ أنا حاسس ان القصر ده شؤم على كل من يجلس فيه ، فايه رأيك .. تقعد لك فى مكتب تانى فى مكان آخر ، ونخلى القصر ده متحف ؟

ورد اللواء نجيب على جمال قائلا بالنص :

ـ ياسيدى ... ما شؤم الا الشؤم

وسكت جمال ...

أنا أملك واحكم

وأعود الى الموضوع ... الى « الهيصة » فأقول ان الأمور تطورت بسرعة بعد حكاية رحلة رشاد الملكية الى سيوه ، ففى ذات يوم استدعى رشاد مهنا اللواء نجيب الى مكتبه فى عابدين ، وفى حضور سليمان حافظ أخذ رشاد مهنا يعنفه ، وكان رشاد وهو يفعل هذا يضرب المكتب بقبضة يده ويقول لنجيب :

ـ أنا لا أسمح بهذا ، ولا أرضى بذاك ، ثم صرخ قائلا وبصوت عال جدا :

ـ أنا مش زى فاروق ... أنا هنا أملك واحكم !

وكانت مفاجأة أخرى لنا .. فنحن نعمل ليلا ونهارا من أجل اعداد خطوات الثورة المصرية ، ورشاد فى قصر عابدين يصرخ ويريد أن يملك ويحكم ..

ولم يقف طموح رشاد مهنا عند حد ، وبدأ يصطدم بنا

حدث ان الملك المخلوع كان قد اغتصب ـ كالعادة ـ سيارات تابعة للجيش ، وبعد الثورة طلبت ادارة الجيش من سراى عابدين اعادة تلك السيارات الى وحداتها ، وفوجئنا بأن « مولانا » رشاد مهنا يرفض اعادة تلك السيارات ... وكان هذا الموقف كفيلا بأن يقنعنا تماما بأن الثورة فى خطر وان البلاد توشك أن ترى ملكا جديدا من أسرة أخرى غير أسرة محمد على

يد الثورة تنقذ الموقف

وأمام هذا كله عقدت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار اجتماعا سريعا ، أصدرت فيه قرارا باقالة رشاد مهنا من منصبه كوصى للعرش والاكتفاء

بالأمير السابق محمد عبد المنعم فى مقعد الوصاية الى أن يبت فى مسألة العرش ، وكنا قد أجلنا هذه العملية الى أن تأتى الفرصة المناسبة

وخرج رشاد من قصر عابدين الى بيته وذهب اليه جمال عبد الناصر وعرض عليه فى كرم شديد أن يختار لنفسه أى منصب فى السلك الديبلوماسى لكن رشاد رفض ... كان يريد أن يظل ملكا على البلاد

وبدأ رشاد ينشط مستغلا كرم الثورة وعطفها عليه ... فبدأ يتصل بالأحزاب وبالاخوان بصفة خاصة ، وكان الوفد يأمل فى ذلك الوقت فى العودة بشكله القديم ، ورأى الوفد فى خروج رشاد مهنا فرصة ذهبية ..

وظنوا ــ جميعا ــ ان وراء رشاد مهنا تكتلات داخل صفوف القوات المسلحة ، لهذا كبر الأمل فى صدورهم واعتقدوا ــ جميعا ــ ان رشاد هو منقذهم من الثورة ...

تكتل الاقطاع مع رشاد مهنا

وحدث ما كان لابد أن يحدث ... ففى كل بلاد الدنيا عندما تقوم ثورة يتكتل أعداؤها الذين تهدد الثورة مصالحهم فى جبهة واحدة ليقاوموها ... وقد حدث فعلا أن لاحظنا بوادر هذا التكتل ... الأحزاب والاقطاع ورشاد ــ جميعا ــ بدأوا يتحفزون للقضاء على الثورة ... وتتابعت الأحداث ورأينا ان حسن نية الثورة قد يقضى عليها ، كما رأينا ان عطفنا واستعدادنا للتعاون مع الجميع وايماننا بكل مصرى مخلص يريد أن يعمل فى نطاق الثورة مهما كان لونه ومعتقداته ، كل هــذا قد يطيح ... لا بالثورة ، فثورات الشعوب لا يمكن القضاء عليها ... بل قد يطيح بكل ما صنعناه نحن من أحداث تاريخية كان حتما على الثورة أن تجتازها لتبدأ فى صنع مستقبل الشعب

أحسسنا أن تكتل تجار السياسة ، مع رشاد مهنا ، ومع الاخوان ومع الاقطاع ، قد يعطل من سير الثورة ، وهذا ما لم نكن على استعداد للتهاون فيه ... وفى مثل هذه الحالات يبدو الأمر مضحكا اذا لم نضرب بيــد الثورة الحديدية لا البيضاء المسالمة العطوفة التى مددناها للجميع

وجاء يناير عام ١٩٥٣ ، وكان قد مضى على الثورة ستة شهور ، فوجدنا أنفسنا أمام جبهات تتآمر علينا فى الخفاء وتظهر لنا الود فى العلن ... وجدنا أنفسنا أمام أحزاب تريد طعننا من الخلف ، وأفراد ينشطون فى الظلام لحساب الاقطاع ، ورشاد والرجعية المصرية المتحجرة ... وكنا فى واد ، وجميع الأحزاب والهيئات فى واد آخر ... كنا نريد ثورة ونحمل رقابنا على أكفنا من أجل هذه الثورة المصرية التى بدأت زحفها منذ يوليو ... وهم ماذا كانوا يريدون ! ؟

من يحتاج الى العدل ؟

هل كانوا يريدون الحرية ! ؟

هل كانوا يريدون العدالة ... فى الريف والحضر ! ؟

أم تراهم كانوا يريدون الحق والعدل والسلام ! ؟

وأين كانوا اذن قبل أن نصنع ما صنعنا ! ؟

ومن هم ؟ !.. هذا هو السؤال ...

ان الحق والعدل والسلام آمال تملأ صدور الكادحين والعاملين ، وتدفعهم الحاجة اليها دفعا الى العمل على تحقيقها .. اما أن يطالب اقطاعى بالحرية وبالحق والعدل والسلام .. فهذا أمر يبدو مضحكا .. بل ويدعو الى السخط الشديد

فهو ليس فى حاجة الى عدل ولا الى حق ولا الى سلام .. هو يحتكر كل هذه الحقوق ويسلبها من البشر ... اذن فالذين تكتلوا ضد الثورة مع رشاد مهنا لم يكن هدفهم عودة الحياة الديمقراطية المزعومة ، ولا عودة الحق والعدل والسلام ... فتلك أشياء لم يكن لها وجود قبل الثورة للشعب — جميعا — ويجب على الثورة سحقهم بلا رحمة .. بل وسحق الذين يقفون الى جوارهم فى انتظار الجريمة .. ولكن الجريمة لم تقع .. فقد امتدت يد الثورة الحديدية وقبرت الجريمة فى مهدها ، فانتهى الأمر بمحاكمة رشاد مهنا ، والغاء الأحزاب .. وتحديد فترة انتقال تبدأ من يناير عام ١٩٥٣ وتنتهى فى يناير عام ١٩٥٦ ...

أسقطنا الدستور الاقطاعى

ضربت الثورة ــ كما قلت ــ بقبضــتها الحديدية فألغت الأحزاب وحددت فترة انتقال ، وذلك عندما أطل عليها خطر التكتل الذى تم بين رشاد مهنا ، والاقطاع ، والاخوان والأحزاب ... وكان حتما على الثورة أن تضرب هؤلاء الأعداء منذ اللحظة الأولى التى خرج فيها كبيرهم ــ فاروق ــ من البلاد ... فالقيادات السياسية التى كانت فى مصر قبل يوليو لم تكن تريد ــ ثورة ــ كما ذكرت ، بل كان هدفها دواما هو الحكم والسيطرة على الشعب ، لصالح القصر والنظام الذى كان قائما . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى .. فالثورة ــ أى ثورة ــ لا يعقل أبدا أن يتولى توجيهها نحو أهدافها العديدة جماعة من السياسيين لم يشتركوا ــ على الاطلاق ــ فى قيامها أو فى التمهيد لها ... بل على العكس ، كانت الثورة المصرية التى تهدف الى تحرير الشعب من القوات المحتلة والنظام الملكى ، وتصنيع المجتمع الاقطاعى المهلهل ، لا تجد فى واحد من رجال الأحزاب عونا لها قبل أن تقوم ، فكيف يمكن لهذه الثورة أن تجد العون فى هؤلاء السياسيين بعد أن قامت فعلا وبعد أن بدأت تزحف على أعداء الشعب ؟

هل كانت الثورة الأمريكية أو الروسية أو الصينية تنجح لو أن رجالها لجأوا الى السياسيين القدامى وعهدوا اليهم بتوجيه الثورة . وما هو دور الذين صنعوا الثورة نفسها ؟ ! يترهبنون ويطلقون لحاهم ، أو ماذا يصنعون ؟ ..

كنا ــ اذن ــ على حق عندما ضربنا بيــد الثورة الحديدية وقبرنا الجريمة فى مهدها ، قبل أن تتم على أيدى رجال الأحزاب ، ورشــاد مهنا وباشوات البلاد ... ومشعوذيها !

ان الغاء الأحزاب المصرية بعد يوليو عام ١٩٥٢ ، كان عملا ثوريا ينبع من أصول الثورة المصرية .. ومن اتجاهها الانسانى الشعبى

فلم يحدث فى تاريخ الثورات أن قام جمــاعة من النــاس بثورة على

الطغيان والاستبداد والاستعمار والاقطاع ، ثم تركوا ــ الثورة ــ وهى لم تزل وليدة لم تقف بعد على قدميها للرجعيين والاقطاعيين والمشعوذين ليحفروا لها قبرا .. هذا هو الوضع الجديد بالتحديد بالنسبة لثورتنا عند ما قررت الغاء الأحزاب ، وتحديد فترة انتقال واسقاط الدستور ..

نحن نحمى الدستور

لقد قلنا بعد أن طردنا زعيم العصابات السياسية فى مصر الملك السابق فاروق اننا نحمى الدستور .. وكنا فعلا نعنى ما نقول ، لكن الأحزاب المصرية وليدة النظام الملكى الاقطاعى ترجمت هــذا الشــعار بما يتفق ومصالحها ، فطالبت بالحكم وباجراء انتخابات ... أى بدفن الثورة المصرية فى أعماق الأرض ، ليبقوا هم سادة للعباد والشعب حيث هو فى الحضيض يمرض ويجوع ويموت ... هذا شىء لايعنيهم ، فسراج الدين وغيره من قادة « الشعب » فى عهد فاروق يريد أن يحكم ويحكم ويحكم ، اما العدالة والحرية والنور فهو وغيره من القادة الكبار ليسوا فى حاجة الى شىء منها ، فالعدالة والحرية والنور أشياء موجودة فى حياته هو .. فى قصره وفى مكتبه وحيث يكون ، انه يملك كل شىء وليس فى حاجة الى شىء .. فقط هو يريد أن يحكم العباد ، فاذا لم يستطع فالأمر اذن ديكتاتورية وفاشية وحكومة ضباط وعساكر .. وكان علينا ونحن نعد خططنا للزحف الأبيض على أعداء الشعب ، أن نتردد ألف مرة قبل أن نضرب بيد الثورة الحديدية ، فكما قلت من قبل كنا لا نريد أن نخوض معارك دموية ، ما دامت الثورة تستطيع استرداد الأرض من الاقطاعى بالحسنى ، حتى اذا لم يخضع لمشيئة الثورة ، كنا فى حل من استعمال القوة ، ذلك كان قانون الثورة ... وكل ثورة ، سواء أكانت فى مصر أم فى آخر الدنيا ...

***

وأعود الى الدستور .. كنا نعنى كما قلت ان الثورة تحمى الدستور ، والدستور الذى وضع للبلاد فى ابريل عام ١٩٢٣ يتكون من ١٧٠ مادة

وتنص المادة الأولى منه على أن « مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وهى حرة مستقلة وملكها لا يتجزأ ولا ينزل عن شىء منه ، وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابى »

ذلك هو نص المادة الأولى من ذلك الدستور ، وكما قلت كانت الثورة تحسن الظن بجميع المواطنين ، وتريد أن يتعاون معها كل الناس ، وعندما مدت الثورة يدها للأحزاب ثم طالبت تلك الأحزاب بأن تثور أيضا مثلما ثار تنظيم الضباط الأحرار تبين للثورة خطؤها ، وكادت جريمة القضاء على الثورة تقع فعلا .. لولا أن ضربت ــ كما قلت ــ بيدها الحديدية ، فلم تتم الجريمة .. وانتهى الأمر بحل الأحزاب ومحاكمة رشاد مهنا ... وكذلك باسقاط الدستور

كنا نريد أن تتعاون اذن مع الجميع فى نطاق الوضع الموجود ، ثم بعد ذلك يشترك معنا الجميع فى اعداد خطوات الثورة ، بنفس حماسنا ، وبنفس فهمنا للثورات .. وبنفس رغبتنا فى تحرير هذا الشعب من كل قيوده ... وعندما تراجع رجال الأحزاب ورفضوا أن يثوروا مثلنا ، رأينا أن نعيد النظر فى خططنا ... رأينا أن نعتمد على أنفسنا ، وعرفنـــا فى الحال ان الثورة لايمكن على الاطلاق أن تنجح بغير رجالها ، هم وحدهم الذين يمكنهم حمايتها والذود عنها ، وقطع الطريق على المتآمرين والمتربصين وأعداء التطور

لا ثورة بلا ثوار ..

كان ذلك هو شعارنا بعد أن اكتشفنا مدى الخطأ الذى وقعنا فيه ، عندما مددنا أيدينا للجميع وطالبنا الجميع بأن يثوروا ، فأرادوا أن يحكموا

ثم رأينا ان الدستور الذى يأخذ علينا أعداء الثورة اسقاطه .. يحمى النظام الملكى كما ذكرت ، ويحمى مالك الأرض وسيد العباد .. وتناقشنا فترة ليست قصيرة ، حول تعديل المواد التى تتعارض مع خطوات الثورة الأولى .. القضاء على تاج محمد على ، وعلى تيجان بشوات مصر فى الريف..

لكن بعد أن درسنا المسألة برمتها وجدنا ــ وقد قررنا العمل بمفردنا كثوار لا كحكام ــ ان بقاء دستور ١٩٢٣ ليس فى مضمون الثورة على الاطلاق ... فهى ثورة اجتماعية قبل كل شىء ... ثورة تستهدف تغيير الوضع الاقتصادى وهذا أمر يتنافى مع الدستور ، وكذلك طرد الملك واسقاط النظام القائم أمر لا يجيزه الدستور أيضا ، فكيف اذن نبقى عليه ؟ ومواده الباقية تحمى الأحزاب ورجالها ، الذين هم أعداء للثورة ، والذين بدأوا يتآمرون عليها ! ؟

وكان لابد للثورة المصرية بعد يوليو أن تسقط الدستور، ثم بعد ذلك تضع الثورة دستورا ينبع من حاجات الشعب لا من مصالح الحكام أو الطبقات المسيطرة على الاقتصاد وكل شىء .. فقد كان من أسس ثورتنا القضاء على سيطرة رأس المال وعلى جهاز الحكم ، وأعلن عن هذا المبدأ فى منشورات الضباط الأحرار قبل الثورة بزمن طويل ، ثم أعلنه مرة ثانية الرئيس جمال عبد الناصر ضمن مبادىء الثورة الستة .. فكيف كان اذن يمكننا الابقاء على الدستور، وكثير جدا من مواده يتعارض مع أهداف الثورة المصرية النابعة من مصالح الطبقات الكادحة والعاملة والمتوسطة ! ؟

وقد كان اللواء نجيب يعارض فى اسقاط الدستور مثل باقى الأحزاب والهيئات التى كانت تريد الحكم ولا تريد أبدا أية ثورة ، ثم ما لبث نجيب أن وافق على رأينا .. تماما مثلما حدث عندما قررنا الغاء النظام الملكى ، فقد عارض اللواء نجيب فى هذا أيضا ثم ما لبث أن عدل عن رأيه ، وأذكر اننى ذهبت اليه يومها فى منزله ... ثم خرجت وعقدت مؤتمرا صحفيا فى خيمة الحرس أمام المنزل وأذعت من هناك البيان

تلك كانت قصة اسقاط الدستور ... ففى مصر ثورة ولها أهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية يقف الدستور كجدار عال أمامها .. وهنا ــ أيضا ــ تمتد يد الثورة لتهدم الجدار ... ولتعد دستورا ينبع من فلسفتها دستورا يحمى الشعب فى عصر ما بعد الثورة ، ويحفظ للشعب كل كسب

حصل عليه من أعدائه ... وقد كان دستور ١٩٢٣ يحمى مكاسب أعداء الشعب فقط !

مقاييس اليوم ومقاييس الامس

أعتقد ان المصلحة العامة ، تقضى بوضع النقط على الحروف ، ليدرك الذين تلتبس عليهم بعض المسائل ، وتختلط عليهم بعض الأمور ، ان المقاييس التى اعتادها الناس فى العهود الماضية ، لم تعد تصلح لهذا العهد ، ولم تعد متفقة مع السرعة التى دارت بها عجلة الزمان

ان مصر اليوم ، ومنذ أكثر من ست سنوات تعيش فى ثورة ، والثورة التى انبثقت من أعماق الشعب المصرى وعبرت عن ارادته ، لم تكن ثورة على جانب من الفساد دون آخر ، ولم تكن ثورة على فرد دون سواه ، وانما هى ثورة شاملة على كل عنصر من عناصر الفساد .. أيا كان .. وأينما كان ..

وقد اضطلع بقيادة هذه الثورة لفيف من أبناء مصر، عاشوا سنوات عديدة قبل الثورة وبعدها ، مجتمعين تحت راية المبادىء السامية التىأعلنوا عنها منذ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وما زالوا يلتفون حولها ، ويضعونها موضع التنفيذ فى عزم وتصميم وايمان ، وقد تبينت متانة الرابطة التى جمعت بين هؤلاء الثوار حينما دقت الساعة وحانت اللحظة الحاسمة التى تعرضوا فيها للمحنة الفاصلة بين النجاح والفشل ، أو بعبارة أخرى بين انتصار المبادىء وأعواد المشانق ، فكانت وقفتهم المجيدة صفا واحدا ، وكتلة متراصة هى حجر الزاوية فيما حققوا لبلادهم من عزة ومجد

لقد اجتمعوا اذن على مبادىء لا علاقة لها بالأشخاص ، ولا صلة لها بالرابطة التى كانت تجمع الأحزاب المنحلة البائدة ، رابطة الغنائم والأسلاب

ومثل هذه الرابطة ، رابطة المبادىء المجردة من المطامع والأسلاب ، لا يسهل ولا يمكن أن تنفصم . وليس من الميسور ولا من الممكن أن تنقطع أواصر العلاقات الشخصية التى تقوم على هــذه الرابطة النبيلة ، مهما

يحدث من خلاف أو تعارض بين وجهات النظر ، وذلك لأن جوهر الخلاف لا يتعلق بنزاع على مغنم ، أو تهافت على منصب

قد يحدث ، بل لابد أن يحدث بين أفراد أية جماعة من الناس ، تباين فى زوايا النظر الى مسألة معينة أو أكثر ، ولكن هذا التباين بين أفراد وحّدت بينهم المبادىء السامية لايمكن أن يفض ما بينهم من رباط مقدس ، فهذا الرباط هو الجوهر النقى الطاهر الذى لا تنفصم عروته ، وأما الخلاف ، وتباين وجهات النظر فهو عرض لايمكن أن ينال من روعة الجوهر

على ضوء هذا التحليل الواقعى الواضح ، يجب أن يطبق الناس مقاييس جديدة فى الحكم على تطور الحوادث فى عهد الثورة ، وقد انتهى الزمن الذى كانت فيه الاعتبارات الشخصية ، والمنافسات الحزبية هى المقياس أو المفتاح الذى يفسر مظاهر الوحدة والخلاف بين المسئولين عن مصائر البلاد

ان كل فرد فى هذا العهد الثائر لا يشغل نفسه ولا يشغل الرأى العام بالمكان الذى يحتله ، والمغنم الذى يكسبه والصف الذى يوضع فيه ، وانما يقف وقفة الجندى الذى يؤدى واجبه أيا كان مكانه بين الجنود العاملين

وهذا مقياس آخر لم يكن له وجود فيما مضى من عهود الحكم ، ولكنه أحد المقاييس التى لايصلح سواها للحكم على الأشياء والأحداث فى هذه الأيام



فهرس

صفحة

ملتزم التوزيع
مؤسسة المطبوعات الحديثة